موجــز

تاريخ الحركة النقابية العالمية



تأليف
وليم ز. فوستر

ترجمة
عبد الحميد الصافي

موجز

تاريخ الحركة النقابية العالمية

تأليف
وليم ز. فوستر

ترجمة
عبد الحميد الصافي

الفصل الثاني

النقابات والرأسمال الاحتكاري

١٨٧٦ - ١٩١٤

مرحلة نضوج الاستعمار

١٣ ـ الاستعمار والامية الثانية

ان العقود الاربعة التي نبحثها في الفصل الثاني ، من نهاية الامية الاولى وحتى الحرب العالمية الاولى ، تتميز بنهوض ، وتطور ، وبداية افول الاستعمار العالمي . ففي حوالي ١٨٧٠ بدات البلدان الراسمالية القائدة في العالم ، تترك المرحلة الاولى للراسمالية ، مرحلة المنافسة الحرة ، لتدخل في مرحلة الاحتكار والاستعمار . وأشار نشوء الاستعمار الى انتهاء المرحلة التقدمية للراسمالية ، وانتقالها نحو الصفات الاسوأ للرجعية . لقد عجل ذلك التطور بتشديد الصراع الطبقي ، وتوج في نهاية المرحلة بأول انكسار للراسمالية العالمية . وكان فاتحة لعصر الحروب الكبرى وللثورات البروليتارية .

تطور الاستعمار العالمي

تكلم لينين عن الاستعمار فوصفه « بالمرحلة الاحتكارية للرأسمالية » و « المرحلة الاخيرة للرأسمالية » و « الرأسمالية المحتضرة » . وحلله بالنقاط التالية « ١ ـ تمركز الانتاج والرأسمال ، الذي وصل الى درجة متطورة عالية ، خلق الاحتكار الذي يلعب دورا حاسما في الحياة الاقتصادية ، ٢ ـ دمج الرأسمال البنكي بالرأسمال الصناعي ، ونشوء أوليغارشية مالية على قاعدة رأس المال المالي هذا ، ٣ ـ تصدير رأس المال يكتسب ، بخلاف تصدير البضاعة ، اهمية ضرورية خاصة ، ٤ ـ تكون اتحادات رأسمالية احتكارية عالمية تقاسمت العالم ، ٥ـ انتهاء تقسيم العالم بين القوى الرأسمالية الكبرى . »(1)

ففي نهاية السبعينات كان تمركز رأس المال في اتحادات ،

اخذت تكبر بأستمرار وتتحول الى اتحادات احتكارية ، ظاهـــرة واضحة في كل البلدان الرأسمالية المتقدمة . جنكس وكلارك اعتبرا الانعطاف العام في الولايات المتحدة يتميز بالشكل التالي : « ارتفع معـــدل رأسمال مراكـــز الانتـــاج ، خلال ٥٠ ســـنة ، من ١٨٦٠ـ١٩١٠ ، اكثر من ٣٩ مرة ، وعدد مستلمي الاجور فيهـا حوالي ٧ مرات ، وقيمـــة انتاجهـــا اكثر من ١٩ مرة »[٢] . وان شركة ستاندارد أويل كومبنى سيطرت عام ١٨٧٧ على ٩٥٪ من منتوجات النفط . وقد تم تكوينها عـام ١٨٦٥ ، فحـذت حـذوها كثير من الكونسرنات الاخرى . ووصف لينين عام ١٩٠٠ ، بانـــه نقطة الانطلاق التي يمكن للمرء ان يقول بموجبهـا عن الاستعمار ، بانه تطـور تماما . وقد ذكـر مودى Moody فى تقريره عـــن الولايات المتحدة انذاك ، بان ٤٤٥ « تروستا فعالا » ،عملت فى مجالات الصناعة والخدمات العامة والنقل ، كان رأسمالها الكلى (٢٠ر٣٧٩ر١٦٢ر٥٥١) دولار . وتقوى ذلك الانعطاف بشكل كبير جدا خلال الحرب العالمية الاولى واصبحت الصناعة الامريكية تحت سيطرة الرأســمال الاحتكاري . « وازدادت الثروات المقـــدرة لكل الشركات ، التي ليست مكفلة مصرفيـــا ، حوالي ١٠٨٪ في الفترة من ١٩٠٩ ـ ١٩٢٩»[٣] .

وجنبا الى جنب مع الصناعة ، فقد كبرت وتقوت البنـــوك الامريكية سريعا ، واصبح اصحاب المصارف قوة متسلطة فـــى الشركات الصناعيـــة . فشركة مورغـان كومبني ، التي تأسست عام ١٨٦٣ ، بلغت أقيام موجوداتها في ١٩٠٤ اكثر من بليوني دولار (حسب مودى) ، وفى ١٩١٢ كان هـــذا الرقم قد صعد الى ١٠ بلايين دولار (حسب روشستر) . واصبح الكثـــير من كونسرنات المصارف الكبرى تملك ايضا ثروة ضخمة .

وقد جرى التطور نفسه ، مع بعض الفوارق ، فى جميع البلدان الرأسمالية الاخرى . ونشأت بمرور عشرات السنين كونسرنـــات صناعية وبنكية ضخمة . وبجانب ذلك نشـــأ انعطاف عام نحـــو اختلاط الرأســـمال المصرفي بالرأسمال الصناعي ، وجعله بالتالي رأسمالا ماليا . على هذا الاساس فقد استطاعت تلك الاتحـــادات الاقتصادية والتروستات من بسط نفوذها ـ كما استنتج لينـــين ـ

على العالم كله ٠ أما ايتون فذكر بان « ٤٠ كارتلا عالميا كانت عام ١٨٩٧ قائمة ، ولكنها ازدادت الى ١٠٠ في ١٩١٠ والى ٣٢٠ في ١٩٣١ »(٤) ٠

وكعلامة أخرى للاستعمار ، كما شخصها لينين ، هي تصدير رأس المال ٠ ففي هذا المجال استلمت بريطانيا العظمى زمام المبادرة، باعتبارها البلد الرأسمالي الاقدم والمالك لاكبر تراكم من رأس المال ٠ فالرأسماليون البريطانيون رأوا ، عندما تضخمت ثرواتهم ، بان بلدهم الام يصبح بأستمرار ، أضيق من ان يوظفوا رأسمالهم المتراكم فيه ، وخاصة بعد الازمة الاقتصادية العميقة والشاملة لعام ١٨٧٣ ، ولهذا تحولوا الى توظيف رأسمالهم في الخارج بغرض الحصول على اكبر الارباح ٠ وحتى عام ١٨٨٠ كانت بريطانيا قد وظفت في الخارج ما قيمته خمسة بلايين دولار ، وارتفع هذا الرقم عام ١٩٠٥ الى ١٠ بلايين وأصبح ٢٠ بليون دولار عام ١٩١٣(٥)٠ وبهذا الصدد أشار ايتون الى « احتمال تخطي الرأسمال السائل الموظف في الخارج جميع مبالغ التوظيفات الصافية لرأس المال في البلاد » انذاك ٠ وواصل ايتون قوله ، عن فرنسا ، فذكر بان توظيفاتها في تلك الفترة ، في ما وراء البحار ، كانت اكثر من ٢ر١ بليون دولار والمانيا حوالي ٧ر١ بليون دولار ، والولايات المتحدة ٤٠٠ مليون دولار ، الا ان تلك الارقام ارتفعت خلال السنين القليلة اللاحقة بشكل كبير جدا ٠

وبمرور السنين صارت الميزة الاكثر تأثيرا لنمو الاستعمار هي الاستحواذ التام على البلدان المتخلفة من قبل الدول الرأسمالية ٠ وكونت المستعمرات الجديدة اسواقا ومصادر للمواد الخام لا تقدر ٠ فخلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر كانت قد تمت عملية سرقة وتقسيم البلدان ، ولم يبق مكان في العالم لم يستول الاستعماريون عليه ٠ وحسب هوبسون فان انكلترا استولت خلال الفترة من ١٨٨٤ ــ ١٩٠٠ على مساحات تبلغ ٧ر٣ مليون ميل مربع(*) ، في افريقيا واسيا وفي مناطق متفرقة اخرى ، وكان يعيش فيها ٥٧ مليون نسمة(٦) ٠ واستولت فرنسا على ٦ر٣ مليون ميل مربع

(*) الميل المربع يساوي ٧ر٥٦ كم٢ ٠

بسكان يبلغون ٣٦ مليون انسان ، اما المانيا فاستولت على مليون ميل مربع بسكان تعدادهم ١٦٫٧ مليون ، وبلجيكا ٩٠٠٠٠٠ ميل مربع بـ ٣٠ مليون انسان ، والبرتغال ٨٠٠٠٠٠ ميل مربع بـ ٩ ملايين انسان ٠ وقد توسعت روسيا ايضا ، فأخضعت لسيطرتها بوخارا وخيفا (خوارزم) واستولت على قسم كبير من منشوريا ٠ اما اليابان ، التي دخلت لتوها في قائمة الدول الرأسمالية ، فقد غزت كوريا اثناء حروبها ضد الصين ١٨٩٥ ، وروسيا ١٩٠٤ ٠ وقوت الولايات المتحدة نفسها في الحرب الاسبانية ـ الامريكية ١٨٩٨ ، بالسيطرة على الفلبين وكوبا وبورتوريكو ، ولم تجعل مناوئيها الاستعماريين يغلبونها في هذا المجال ٠ وبسبب من سياستها العدوانية الاستعمارية المتطرفة استولت اثناء الحرب العالمية الاولى على كل منطقة الكاريبي بأمريكا اللاتينية ٠

وادت الصدامات المتزايدة الحدة بين القوى الاستعمارية الغاشمة والساعية باستهتار للاستيلاء على اراضي ومصادر المواد الخام وتجارة الشعوب الاخرى ، ادت الى نشوب الحرب الاستعمارية الكبرى ١٩١٤ـ١٩١٨ ٠

تأسيس الاممية الثانية

ان التوسع السريع للرأسمالية في نهاية السبعينات وفي الثمانينات ، واشتداد الانعطاف الاساسى لتمركز الصناعة ورأس المال ، وضعتا اسس النمو السريع لجميع اقسام الحركة العمالية : النقابات ، التعاونيات والاحزاب السياسية ٠ وقد اصطدم ذلك النمو بالمقاومة الشديدة للرأسماليين الكبار ، الذين استخدموا احتكاراتهم الصناعية المتوسعة لقمع تطور الحركة العمالية ، وخصوصا تكوين النقابات فى الصناعات الثقيلة ٠

وكانت الاعوام الاخيرة من القرن التاسع عشر ، عموما ، تكون مرحلة التطور السريع فى الوعى الطبقى للعمال ٠ ووجد ذلك النهوض السياسي العارم تعبيره العملي بتأسيس الاحزاب السياسية ، الاشتراكية الديمقراطية ، في جميع البلدان الرأسمالية الرئيسية وتحقق نمو تلك الاحزاب وتوسع النقابات ارتفاعا في عدد الاضرابات والنضالات الاخرى المطالبة بحق الانتخابات للعمال ، وبزيادة الاصوات

الاشتراكية في كل مكان ، ورفع بدرجة اعلى ، من روح التضامن الاممي بين العمال ٠ ومن جراء ذلك قوى مطلب تأسيس أممية جديدة على مواقع جمعية العمال الدولية السابقة ، الاممية الاولى ، التى تـــم حلها في ١٨٧٦ ٠ ولتحقيق هذا الهدف تم عقد كثير من المؤتمـــرات والاجتماعات الموسعة : ١٨٧٧ فـــى Gent ، ١٨٨١ فى شـــور (سويســرا) ، ١٨٨٣ و ١٨٨٦ فى باريس و ١٨٨٨ فى لنـــدن ٠ ولكن المهمة الضرورية والمتزايدة الالحاح لتكوين أممية جديدة لم يتم انجازها الا فى ١٤ تموز من عام ١٨٨٩ فى باريس ٠ ومن الجدير بالذكر ، ان المنظمة التى تاسست هناك لم تحمل فى البداية اسما رسميا ، ولكنها سرعان ما اصبحت معروفة بالاممية الثانية ٠

لقد خلق مؤتمر باريس حركة عميقة بين العمال فى العالم كله٠ ودفع الحركة العمالية ، فى مختلف البلدان ، خطوة جبارة الى الامام٠ ان المحاولة الكبيرة الثانية للعمال ، فى سبيل تحقيق الشعـــــار التاريخى **للبيان الشيوعى** ، « ياعمال العالم اتحدوا ! » قد وضعـت في التطبيق ٠ وكان من بين الـ ٣٩١ مندوبا ، الذين توافدوا على المؤتمر من ٢٠ بلدا ، قادة احزاب ونقابات بارزون فى الحركة العمالية العالمية٠

وكما كانت جمعية العمال الدولية فى السابق ، كانت الاممية الثانية ايضا ، منظمة عامة وشاملة للطبقة العاملة ، فضمت فـــــى عضويتها مباشرة ، ليس الاحزاب الاشتراكية فقط ، بل كذلـــك النقابات والجمعيات ٠ ان الحركة العمالية فى العالم لم تتوصل بعد الى النقطة التى استطاعت المنظمتان الاميتان المذكورتان الوصـــول اليها ٠ ولكن الاممية الثانية كانت بالنسبة لسابقتها ، تنظيميا ، مفككة القيادة ٠ ولم يـكن لها ، فى البداية ، مقر ثابت (كما كان للأممية الاولى) ، ولامركز قيادى فى العالم ، وليس لها مجلة اممية ولا نظاما داخليا نظاميا ، ولا برنامجا امميا محددا ، ولم يخضـــع تطبيق قراراتها لأى اجراء انضباطى ، وليس لها حتى اسم معين ٠ لقد عاشت ١٢ عاما قبل ان تتمكن مشاكلها من القضاء عليها ٠

ومن الملاحظات الهامة التي ينبغي ذكرها هي أن النظرة الماركسية كانت الغالبة في المؤتمر التأسيسي ٠ فأغلب التيارات الانعزاليـــة التى اثقلت كاهل الاممـــــية الاولى ، البرودونيـــة ، البلانكيـــة واللاسالية ، كانت قد اختفت او ضعفت كثيرا ٠ لقد صفيت عمليا

بفضل منطق Logik الماركسيين ومن خلال الواقع المرير للصراع الطبقي · ولكن اقلية فوضوية نشأت من تلك المجموعات الصغيرة القديمة ، وتحولت في السنين اللاحقة الى شكل من اشكال السنديكالية الفوضوية ، ولعبت دورا معينا في الحياة العمالية · ورغم ذلك بقيت الايديولوجية الماركسية ، عموما (وليست بلا ثغرات) ، هي السائدة في عالم العمال · وعكس مؤتمر باريس صورة لذلك الوضع · ولم تكن اعمال الاممية الاولى ، وقادتها البارزين ، ماركس وانجلس ، بلا فائدة ، فقد سقطت بذورها على ارض خصبة ·

وكانت في المؤتمر اتجاهات تخريبية للأنتهازية اليمينية ، ومعترف بها مع ذلك ، فسببت ، في النهاية ، تحطيم الاممية الثانية · انه ، بالأساس ، تأثير برجوازي في منظمة العمال · ففي حين قطعت الاحزاب الاشتراكية المختلفة علاقاتها ، وبالتحديد التنظيمية، مع الاحزاب السياسية الرأسمالية ، لكنها لم تقطع معها الوشائج الايديولوجية تماما ، وقد اشار المستقبل الى ما يعكسه اسلوب عملها اليميني · فالاتجاهات الانتهازية اليمينية في المؤتمر الاول ، تمثلت بمجموعة راديكالية برجوازية صغيرة ، دفعت الى الحركة من قبل عناصر معينة في قيادات النقابات ، وخصوصا ، في انكلترا ، لكي تنادي « باعادة تفسير » الماركسية بما يعني اخضاع مصالح العمال لمصالح ارباب العمل ·

ولان المؤتمر التأسيسي للاممية الثانية لم يتخذ ، كما اتخذت الاممية الاولى ، برنامجا مقبولا بصورة عامة من قبل القيادة ، فقد بدأ نشاطه بمعالجة القضايا والواجبات السياسية التي تجابه عمال العالم ، واحدة واحدة · لقد اعرب المؤتمر عن تأييده لجعل يوم العمل ثمان ساعات ، واقترح تأسيس جيوش المليشيا الشعبية ، ودعم الاقتراحات الداعية لتشريع قوانين عمل دولية ، ولكنه رد اقتراحا فرنسيا يدعو الى الاخذ بأسلوب الاضراب العام كوسيلة لمواصلة الثورة البروليتارية · وكان من أهم الاجراءات التي اقرها المؤتمر ، هو تثبيت الاول من ايار يوما امميا يرمز الى نضالات الطبقة العاملة في العالم كله ، وكان هذا القرار قد أتخذ بناء على اقتراح فرنسي - امريكي مشترك ، وهو بمثابة احياء لتقاليد الاضراب الكبير الذي

حدث فى اول ايار ١٨٨٦ فى الولايات المتحدة من اجل يوم عمل من ثمان ساعات ، وبتأثيره ظهرت هناك صفة الاسناد الفعال للنضال العام المبرمج فى سبيل تحقيق مطلب ثمان ساعات عمل فى اليوم في ١ ايار ١٨٩٠ • وبسبب المقاومة الشديدة للحكومة وارباب العمل ، فقد تدرجت نضالات الاول من ايار ، من المظاهرات البسيطة الى الاضراب العام ليوم واحد ، حتى اصبح هذا اليوم ، بمرور السنين يوما عالميا للعمال ، الا ان الولايات المتحدة كان لها وضع استثنائى بهذا الخصوص • فهناك كان اتحاد العمل الامريكى المحافظ الذى اتخذ من كل أول اثنين من شهر ايلول يوما للعمل •

لقد تنظمت الاممية الثانية على اساس المبادرة الخاصة للحزب الاشتراكى الديمقراطى الالمانى • كما ان فردريك أنجلس ساهم بنشاط فى بنائها(٧) • وكانت المانيا انذاك مركزا ماركسيا قويا جدا• وتنظيم المؤتمر ، مع غيره من الاعمال ، كان التعبير المحدد الاول للدور القيادى الذى لعبته المانيا فى حياة عمال العالم أبان الاممية الثانية وحتى قيام الحرب العالمية المأساوية الاولى • فالطبقة العاملة الانكليزية التي كونت في الاممية الاولى القوة القائدة ، كانت في الاممية الثانية مشلولة بسبب التأثير المفسد للاستعمار البريطاني على ارستقراطية العمال وعلى قادتها •

دور النقابات فى الاممية الثانية

ان الحركات النقابية ، في مختلف البلدان ، كونت فيما بينها وبعد جدل طويل عن المسألة ، اولى الاتحادات الاممية البسيطة عام ١٩٠١ ، ولكن اممية حقيقية تكونت ، على اساس تلك الاتحادات البسيطة ، خلال اعوام ١٩١٤ـ١٩١٩ (انظر القسم التاسع عشر)• وخلال ذلك الوقت وجدت ، فى اطار المؤتمرات العامة للأممية الثانية ، مجموعات نقابية عديدة أبدت تأييدها وتضامنها المتبادل • وعلى مستوى كل تلك اللقاءات اجتمعت وفود هامة من نقابيين كانوا جميعهم تقريبا كوادر قيادية ، والتقى فيها كذلك كثير من ممثلي الاحزاب الاشتراكية ولو لم يكن جميعهم مندوبون ، الا انهم كانوا بطبيعة الحال اعضاء في نقابات •

لقد كرست الاممية الاولى خلال وجودها (١٨٦٤ ـ ١٨٧٦) كل

جهودها للمسائل النقابية ، كجزء من اجراءاتها السياسية لمصلحة الطبقة ، لا سيما وانها امية النقابات بنفس الوقت · ولم يعمل كارل ماركس في جمعية العمال الدولية لوضع الاسس النظرية للنقابات فقط ، تلك الاسس الصلدة التي ما زالت حتى وقتنا الحاضر تتمتع بحيويتها في المنظمات والنشاطات النقابية ، بل ان الاممية بفضل مساهماتها الفعالة ايضا ، عرفت اهمية الاضرابات والنضالات النقابية الاخرى ، ومارستها فعلا نقابات مختلف البلدان في ذلك الوقت · وقد اشار لوسوفسكي في مقتبسه عن بروتوكول المجلس العام لجمعية العمال الدولية ، الى ، كيف كانت تلك الاممية قوية ، والى ، ان عشرات الاجراءات والقرارات المسهبة برزت من خلال المباحثات لدعم وتوسيع الاضرابات في مختلف البلدان(٨) · تكون تلك المراجعة المعينة للاممية الاولى ضرورية ، لان النقابات المحلية في مختلف البلدان حينذاك ، كانت في العموم ، لا هي منظمات مهنية وطنية ولا هي روابط عمالية وطنية ·

والاممية الثانية ، بعكس جمعية العمال الدولية ، لم تهتم بالقضايا النقابية الخاصة · واذا حصل اهتمام جزئي فيعود الى تقدير معين لاهمية النقابات من قبل كثير من قادة الاشتراكي والديمقراطي الالماني · ولكن الشيء المهم الذي تحقق خلال فترة قيام الاممية الثانية ، هو نشوء نقابات وطنية ، واتحادات عمالية عامة محلية ووطنية في جميع البلدان الرأسمالية الرئيسية ·

ان النقابات باعتبارها منظمات شاملة لكل الطبقة العاملة ، اهتمت بالطبع بالغ الاهتمام بجميع البرامج العامة ، النظرية والعملية وساهمت في مؤتمرات الاممية الثانية ، وشاركت في مجموعتها القيادية · كما ان المؤتمرات اهتمت ، وبحماس ايضا ، بالمسائل التي تخص النقابات ، ومنها النضال لجعل يوم العمل ثمان ساعات ، هذا المطلب الذي اولته الاممية اهمية كبيرة ، والنضال لمواصلة تظاهرات ايار في مختلف البلدان ، تلك التظاهرات التي لم تكن غير نضالات حقيقية · فخلال نشوء الاممية لم تترك الانتهازية ، وخصوصا في المانيا ، اية مناسبة لاضعاف اهميتها او الغائها · وفضلا عن ذلك فقد كان التحضير لاضراب عام

في سبيل منع الحروب التي كانت تشتعل خلال فترة انعقاد المؤتمرات، شأنا من شؤون النقابات المباشرة .

واندمجت النقابات ، بعمق ايضا ، فى النضالات الايديولوجية التى كانت تهز الاممية الثانية بين فترة واخرى ، واصبح قادتهـــا الرئيسيون وكذلك كوادرها المتقدمة عموما ، قوة فعالة لتغذيـــة الانتهازية الاصلاحية التى كونت فى الاممية الثانية اتجاها تخريبيا . وبخصوص نشاط النقابات داخل الاممية الثانية ، فقد حصلت الفكرة الداعية لعدم فسح المجال لتكوين اممية نقابية خاصــة عـــلى نفوذ ملحوظ . ولهذا فان تاريخ النقابات خلال تلك الفترة لايوجد الا فى حياة الحركات العمالية فى مختلف البلدان .

لقد وجدت فى الاممية الثانية ، فى مؤتمراتها وفى حركتها عموما ، ثلاث تيارات نقابية رئيسية . الاول والاكثر سذاجـــة كان تيار صاموئيل غومبرس الذي تميز بعد ذلك «بالنقابية الخالصة». وقد اعتمد ذلك الطراز من النقابية على العمال المتعلمين بشكل رئيس، وكان شكلا من اشكال المنظمات المهنية . ورضا اعتياديا بالنظـــام الرأسمالى ، علنا كان ذلك الرضا ام بالسكوت . وكان شعـــار « لا سياسة في النقابات » يعنى بالنتيجة لا سياسة للطبقة العاملة . وليس غريبا ان يكون مؤيدو هذا الاتجاه ، عموما ، مرتبطين سياسيا بالاحزاب البرجوازية الليبرالية . وحيثما ظهر هذا التيار فى سياسة الطبقة العاملة، فانه لم يظهر من قبل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية، بل من الاحزاب العمالية الواسعة Labour - Parteien . وكانت بريطانيا موطن ذلك الطراز من النقابات ، كما انه وجد فى الـــدول الخاضعة لها وفى الولايات المتحدة الامريكية ايضا .

وكان الشكل الرئيس الثاني للحركة النقابية فى الاممية الثانية هو الفوضوية ـ السنديكالية . وكانت نقطة ارتكازها انذاك فـــى البلدان الرومانية ، فرنسا ، اسبانيا ، ايطاليــا والبرتغال . وقـــد استمدت الفوضوية ـ السنديكالية اغلب وجهات نظرها البرنامجية والتاكتيكية من مصادر الفوضوية لباكونين ، الذى نقل عن الماركسية بعض مبادىء الصراع الطبقي بتحريف . وكان هدفها خلق منظمة طبقية عريضة ، تتجنب الاعمال السياسية ، والارتباطات الحزبية المنسقة ، حتى يمكنها تصفية الرأسمالية تدريجيا وتحل منظمتها ،

التى تقيم مجتمع المستقبل للعمال ، مكانيا ٠

أما الطراز الثالث والاكثر نفوذا في الحركة النقابية في الاممية ، فكان الطراز الماركسى ٠ وقد كان مركز الثقل لذلك الاتجاه فى المانيا والنمسا والبلدان السكندنافية ومؤخرا فى روسيا وفى بلدان البلقان ٠ وتميزت تلك النقابات بمركزية وضبط عاليين ، وبتطورها كنقابات صناعية ، باعترافها العام بالقواعد الاولية وبالنظرة والمبادىء التاكتيكية الماركسية ، وبالقيادة السياسية للاحزاب الاشتراكية الديمقراطية القائمة ٠ ولكن كثير منها انحرفت بشكل خطير ، ومن خلال الصراعات الطبقية ، عن المبادىء الماركسية للحركة النقابية ، والى ارستقراطية العمال فمارست سياسة انتهازية ، كما سنرى ٠ اما النقابات المسيحية (الكاثوليكية) ، والتى لم يكن اتجاهها مهما ، فلم تنضم الى الاممية الثانية ٠

ان تاريخ النقابات خلال عمر الاممية الثانية لما قبل الحرب العالمية الاولى ، يكمن بصورة اساسية ، فى تلك الاشكال الرئيسة المتباعدة الثلاث في الحركة النقابية ، التي خاضت فيما بينها نضالا مكشوفا فى سبيل السيطرة على النقابات ٠ وقد ضعف الطراز الماركسى وتراجع لأسباب كثيرة ٠ ولكن من الضرورى تتبع ذلك التطور في تاريخ الحركة العمالية في العالم خلال تلك الاعوام ، والبحث فى التجارب النقابية فى مختلف البلدان الرأسمالية المتقدمة ٠ علاوة على ضرورة الرجوع الى ما قبل ١٩٠٠ ، حيث سار العمال المنظمون لتأسيس منظمتهم الاممية الخاصة ، ووقفت الحركة العمالية ايضا امام كثير من القضايا الجديدة والملتهبة التى وجدت بنضج الاستعمار ٠ وسنبدأ في المانيا ، حيث قادت حركتها العمالية ، خلال فترة قيام الاممية الثانية ، الطبقة العاملة العالمية سياسيا وكذلك نقابيا ٠

١٤ـ بسمارك والنقابات الالمانية ١٨٧٨ ـ ١٩٠٠

أعد الدوق أوتوفون بسمارك « مستشار الدم والحديد » لالمانيا المتحدة ، وواحد من اليونكر البروسيين المتغطرسين ، برنامجا لقهر الطبقة العاملة الاخذة في القوة والنمو • وقد تضمنت بعض نقاط ذلك البرنامج على : الاعلان في مجال الضمان الاجتماعي، عن وعود ليست ذات أهمية كبيرة للعمال ، وعن تكوين أو افتعال تكوين ، نقابات برجوازية ومسيحية (كاثوليكية) ، أي ماسميت بالصفراء ، والابقاء على حق الانتخاب الطبقي البروسي ، وتصفية كل مجموعات الحركة الاشتراكية الديمقراطية(*) • واتخذ ذلك على اساس الاسلوب الكلاسيكي لتسوكر برود وبايجه : اصلاحات صغيرة للعمال من جانب ، نشر الرعب بين صفوفهم من الجانب الاخر • وبواسطة ذلك البرنامج العام ، وتحت استغلال المؤامرات المزعومة على حياة القيصر فلهلم الاول ، منع بسمارك عام ١٨٧٨ ، وبسرعة ، الحزب الاشتراكي الديمقراطي • كذلك واصل ارباب العمل تشديد هجماتهم على النقابات ، محتذين حذو الحكومة ومستفيدين من الفرصة المناسبة التي هيأتها لهم • وكانت النتيجة هزة مزدوجة للطبقة العاملة • وراقب الرأي العام الاشتراكي العالمي كله بانتباه تام وباهتمام بالغ ذلك الصراع المتطور •

القانون الاجتماعي (الاستثنائي)

لقد وضع قانون « مكافحة المكائد الخطرة للاشتراكي الديمقراطي » في ٢١ تشرين الاول من عام ١٨٧٨ موضع التنفيذ ، وكان تحت عنوان القانون الاجتماعي • وبموجبه تم منع الحزب الاشتراكي الديمقراطي وصحافته • واثناء مناقشة ذلك القانون في

(*) بفضل حق الانتخاب الطبقي ذاك يصبح بامكان مالكي الارض الكبار التمتع باصوات برلمانية أكثر بكثير من الطبقة العاملة • وبسببها حصل الحزب الاشتراكي الديمقراطي عام ١٩٠٠ على ٦ مقاعد فقط من مجموع مقاعد البرلمان البالغة حينذاك في بروسيا ٤٢٠ ، رغم انه حصل على نسبة من اصوات الناخبين بلغت ٢٣٪ • (الناشر الالماني) •

الرايخشتاغ (البرلمان الالماني ـ المترجم) ، تعهد بسمارك بعدم المساس بالنقابات التى تسعى الى تحسين الوضع الاقتصادى للطبقة العاملة • ولكنه تنكر لوعوده فى التطبيق • وقد ذكر تسفنغ بأن « النقابات عانت في الحقيقة من القانون ، واصابها من جراءه اكثر مما أصاب الاحزاب السياسية بكثير »[1]• واكد فارفيغ بان نقابة عمال التبوغ قد حلت في ٢٣ تشرين الاول ، اي بعد يومين فقط من تنفيذ القانون • وبعد ايام قليلة جرى حل العديد من النقابات الواحدة تلو الاخرى ، نقابة عمال الزجاج ، النجارين ، عمال التعدين ، عمال الاحذية ، عمال المناجم والخ • وخلال وقت قصير جدا اعلن رسميا عن حل ١٧ نقابة عامة و ٧٨ منظمة محلية • وفضلا عن ذلك فقد تم غلق ٣٣ صندوقا لاعانة المرضى كان الاشتراكيون الديمقراطيون يديرونها[2] • الا ان النقابات المسيحية والبرجوازية لم تتعرض بالطبع للمضايقات الحكومية •

كان الاشتراكي الديمقراطي ، حينذاك ما يزال منظمة نضالية باسلة ، دافعت بشجاعة ضد الاضطهاد الحكومى بعكس المنظمة التى أعقبته • وزفع شعار النضال ضد القانون الاجتماعى فى الوقت المناسب ، اي اثناء مناقشة الرايخشتاغ له • فاعلن براكه بظل عاصفة من التصفيق والحماس الذى ابداه رفاقه الاشتراكيون الديمقراطيون : اننا سنقاوم القانون ككل » • وذلك ما قام به الحزب فعلا[3] • وفى ايلول ١٨٧٩ صدرت صحيفة الحزب السرية الاولى في سويسرا ، وسرعان ما صدرت غيرها من الصحف • وفي سويسرا ايضا عقد الحزب عام ١٨٨٠ أول مؤتمر له فى الخارج ، واعقبه مؤتمر فى ١٨٨٣ وآخر فى ١٨٨٧ • ونظم الحزب العمل السري ، فكون في المانيا ذاتها شبكة واسعة من المنظمات •

أما النقابات فقد نجحت فى العمل العلنى رغم كل الصعوبات، ولغرض المحافظة على تأثيرها ،اتخذت اشكالا متنوعة من النضال ، منها انشاء صناديق المساعدة ومنتديات التثقيف • وقد اضطرت بسمارك على اعادة تفسير قانونه ، فصرح بانه ، يسمح للنقابات المحلية بمواصلة العمل شرط عدم قيامها بأي نشاطات سياسية • واستفاد العمال من ذلك التعديل ، ومارسوا نشاطاتهم باندفاع اكبر • وبفضل المرونة التي تحلى بها العمال في عملهم النقابي ، اصبحوا

في وضع يمكنهم من الحفاظ على نقاباتهم وممارسة نشاطاتهم اليومية من خلالها • فشنت ، في فترة منع الاضرابات ذاتها ، عدة اضرابات • ونتيجة لذلك النضال القاسى ،حصلت الحركة النقابية على ميزتين مهمتين لتركيبها ولايديولوجيتها : اصبحت اكثر من السابق ملتزمة بالمركزية وبالضبط ، وتعنى بالسياسة ، كما توثقت رابطتها بالقيادة السياسية للحزب الاشتراكى الديمقراطي • اما النقابات الصنيعة والملتزمة (بفتح الزاي) ، المسيحية والبرجوازية، فقد خمدت في غمرة الاحداث •

ان النضالات العمالية العديدة تلك لم تمر ، بطبيعة الحال ، دون خسائر جدية لحقت بالحزب وبالنقابات ، فمنعت الدولة صحفها رضيقت على العمال • حتى ان عدد الصحف التى عطلت بلغ ١٥ صحيفة ، والقى القبض على اكثر من ١٥٠٠ اشتراكى وزجوا بالسجون ، كما ان الكثيرين أبعدوا او اضطهدوا بصور مختلفة ، وهاجر قسم كبير من العمال الى الولايات المتحدة • ورغم كل ما حصل ، فان النضال العمالى استمر بنجاح • واخذت اصوات الاشتراكيين الديمقراطيين تزداد في الانتخابات من سنة الى اخرى ، وارتفعت من ٤٩٣،٠٠٠ فى عام ١٨٧٨ الى ١،٤٢٧٠٠٠ فى ١٨٩٠ ، اى بزيادة حوالى ٢٠٠٪ • كما ان النقابات توسعت من حيث العضوية وازداد تأثيرها السياسي • فالنقابات التي بدأت نضالها التاريخى بتنظيم بسيط يضم ٥٠،٠٠٠ عضوفقط ، تمكنت من السير قدما فى نضالها الباسل ، واصبحت بمرور ١٢ عاما تتكون من ٥٨ نقابة وطنية منظمة تنظيما جيدا ، وتضم بصفوفها ٣٠٠،٠٠٠ عضو •

لقد اوكل للقانون الاجتماعي تحقيق هدف هو ، تصفية الاشتراكي الديمقراطى فى المانيا ، ولكنه اخفق فى تحقيق ما اريد منه • واضطر بسمارك ، الذي لم يعد متمسكا بسياسة « الدم والحديد » ، للاذعان • فالغى قانونه الفاضح في الثلاثين من ايلول ١٨٩٠ بقرار حكومي • وكان ذلك نصرا عظيما للطبقة العاملة الالمانية ، استقبل بالترحاب من عمال العالم • واعطى ذلك النصر (للحزب وللنقابات في المانيا) زخما كبيرا وضع الحزب الاشتراكي الالماني والنقابات في طليعة كل الحركة العمالية العالمية • واستطاعت القيادة

العمالية ان تحافظ بكل امانة على حركتها حتى عام ١٩١٤ ٠

برنامج ايرفورت

بعد التغلب على الظروف الصعبة التى خلقها القانون الاجتماعي ، سار القادة الاشتراكيون مباشرة لتجديد الخط العام للحزب ٠ ولهذا الغرض صدر في تشرين الاول ١٨٩١ برنامج ايرفورت٠ وكان ذلك البرنامج وثيقة سياسية بارزة كتبها في الاصل فلهلم ليبكنشت واوغوست بيبل فى مدينة غوتا عام ١٨٧٥ ، وهى خلاصة للاتفاق الذى تم بموجبه اتحاد اللاساليين والحزب الماركسى فى حينه ٠ ولكن برنامج غوتا امتلأ بالاخطاء ، بسبب مواقف اللاساليين مما حدا بماركس انتقاده بصورة عميقة(٤) ٠ وقد صحح برنامج ايرفورت ، الذي اضطلع كارل كاوتسكي عام ١٨٩١ بصياغته ، اغلب تلك الاخطاء ، وصار نموذجا بالنسبة للاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في جميع البلدان تقريبا وجرى العمل به لـ قدين من الزمان بأعتباره برنامجا رسميا للاممية الثانية(٥) ٠

نشأ برنامج ايرفورت من قسمين : حدد الاول الهدف النهائى للاشتراكية ، وثبت الثانى برنامجا بالمطاليب اليومية الثانوية التى يمكن تحقيقها بظل الرأسمالية ٠ واوقف في الشطر الاول من بين المطاليب اليومية ، «حق الانتخاب العام والتصويت المتساوى المباشر ،والسرى ، لكل من بلغ او يبلغ العشرين من العمر ، دون التقيد باختلافات الجنس » ٠ وكان مطلب حق التصويت للنساء فى برنامج ايرفورت ، تجاوزا لخط برنامج غوتا ٠ ولهذا فقد اعتبرته النقابات خطوة كبيرة الاهمية اكد عليها برنامج ايرفورت ، وتراجعا لتصورات لاسال حول « قانون الاجر المعدني » ، النظرية التي اضرت الحركة النقابية مباشرة ، وجعلت نشاطاتها شيئا عديم الجدوى ٠ وطالب البرنامج بتحديد يوم العمل بثمان ساعات ، في حين اهمل برنامج غوتا هذا المطلب ايضا ٠

لقد اصبح برنامج ايرفورت الدليل السياسى العام للنقابات الاشتراكية الديمقراطية ، رغم انها لم تشغل نفسها عن قرب بالمسائل النظرية ٠ ولكن خطأ البرنامج الكبير يكمن ، كما في سابقه برنامج غوتا ، فى كونه لم يعول على الدور العالمى للنقابات فى الصراع الطبقى ٠ ونفس الشىء يجب ان يقال عن المؤتمرات «السرية»

الثلاث التي عقدت في فترة سيادة القانون الاجتماعي ، حيث لم يجر بحث المسائل الملتهبة للحركة النقابية فيها ٠

تكوين اللجنة العامة للنقابات الالمانية

تقدمت الحركة العمالية بعد ازاحة القانون الاجتماعي سيء الصيت ، خطوة واسعة اخرى تمثلت بتاسيس اللجنة العامة التي ضمت النقابات الالمانية في اطار وطني واحد ٠ وكان ذلك الاجراء منتظرا منذ ١٨٧٨ ، ولكن بدء الاضطهاد البسماركي جعل اي تحضير لمثل هذا العمل امر غير ممكن في حينه ٠ وبعد فترة الارهاب عقد اول مؤتمر نقابي ، وكان في آذار ١٨٩٢ بمدينة هلبرشتات ، وحضره ٢٠٨ مندوب يمثلون ٦٢ نقابة تضم بين صفوفها ٣٠٣٠٠٠ عضوا ٠ وفي ذلك المؤتمر تم انتخاب اللجنة العامة لنقابات المانيا ، التي تكونت في البداية من ٧ اعضاء يمثلون كل الحركة النقابية ٠ وانتخب كارل ليغن رئيسا ، وظل حتى وفاته عام ١٩٢٠ ، عميد الحركة النقابية الالمانية واستطاع ان يلعب دورا حاسما في العمل الاممي ٠

لقد عملت النقابات ، بظل القانون الاجتماعي ، كمنظمات محلية في العموم ، والجدير بالذكر ان معارضة عنيفة حصلت عندما عرض اقتراح في مؤتمر هلبرشتات لتكوين منظمة دولية مركزية واحدة ٠ ولكن رفض ذلك الاقتراح ادى الى حدوث انشقاق صغير ، ونشوء منظمة فوضوية ـ سنديكالية المانية بعد ذلك ٠ كما حصلت ايضا معارضة ضد اعطاء اللجنة العامة الجديدة صلاحيات كبيرة ٠ وافنصرت واجبات المؤتمر عليها في : العمل لتنظيم العمال الذين ما يزالون غير منظمين ، تلخيص الاحصائيات العامة للحركة ، اصدار مجلة تعكس الوقائع والتقارير التي تردها من النقابات ، تنظيم العلاقات الدولية ٠ ولكن تلك الواجبات الباهتة اخذت تتوسع سريعا من خلال المؤتمرات التي عقدت بعد ذلك ، حتى شملت صلاحيات مثل : وضع التقارير العامة للحركة النقابية ، الحكم في المنازعات الناجمة عن العمل التأسيسي النقابي ، جمع وصرف الاموال اللازمة للاحتفال بأول ايار ٠ والحقيقة هي ، ان اللجنة بعدد اعضائها الذين اصبحوا ١٣ ، تطورت تحت سيطرة ليغن البيروقراطية القوية الى قيادة اوتوقراطية ٠

لقد اصطدمت النقابات الالمانية خـــلال العقد الاول باوهام خطرة نابعة من ذات الروحية العدائية التي مارسها قـــادة حزبيـــون مختلفون • فوجهات النظر السلبية تلك ، والناتجة عن اخطاء فـــي برنامجي غوتا وايرفورت وعن نقص في قرارات المؤتمرات الحزبيـــة السرية ، لم تهتم بالمسائل العامة للحركة النقابيـــة بسبب بقـــايا ايديولوجية اللاساليين ومنطلقاتهم المعادية للنقابية ، وبسبب الخوف الشديد من تمكن القيادة النقابية على ان تصبح ندا للحزب • كما اثر ايضا على بناء النقابات سيادة توقع تحقيق الاشتراكية سريعا • فغيورغ فون فولمار كان مقتنعا بحصول الحزب عـــلى عدد متزايد باستمرار من الاصوات الاشتراكية الديمقراطيـــة فى الانتخابات ، وبالتالى الحصول على الاكثريـــة فـــى الرايخشـــتاغ عند حلول الانتخابات فى عام ١٨٩٨ •

ووصل النقاش حول دور النقابات ذروته فـــى مؤتمر الحزب الاشتراكى الديمقراطى المنعقد فى تشـــرين الاول ١٨٩٣ بمدينـــة كولون • وقد تشكى ليغـــن هنـــاك بمـــرارة من الاراء المعاديـــة للنقابية بين القيادة ، وخصوصا من تلك التي نادى آور بها • ورسم ذلك الخلاف صورة اللجنة العامة للنقابات بعد ان طورت معارضتها ضد رئاسة الحزب (وتحولت تلك المعارضة بمرور الوقت الى عمل)• اما بعض المندوبين ، ومن بينهم اوغوست بيبل وكلارا تســدكن ، فقد ارتابوا من اعتدال النقابات نظرا الى نمو الروابط والاتحـــادات الصناعية الضخمة • وسارت تلك المعارضة فى نهجها ابعد ، عندما دعيت النقابات لاصدار قرار يفرض على جميـــع اعضـــاء الحـــزب الانضمام الى نقابات مهنهم ، ولكن دعوتهـــا رفضت بأغلبيـــة ١٦٩ صوت ضد ٢٩(٦) • الا ان المؤتمر عبر فى النهاية عن تعاطفه مـــع النقابات ، وابتداء من ذلك الموقف المتشائم الذى وقفه الاشتراكى الديمقراطى تجاه النقابات ، دخل فـــى تناقض حاد مع وجهـــة نظر ماركس ، وانجلس ، اللذين كانا مدافعين عن النقابات •

وحققت النقابات الالمانية ، خلال التسعينات ، تقـــدما جزئيـــا فقط ، وذلك بسبب اندلاع الازمة الاقتصاديـــة والمقاومـــة المشتدة لارباب العمل • والحقيقة ان العدد الكلى لاعضاء النقابات ســـجل ارتفاعا فى عام ١٨٩٦ ، بلغ ٣٢٩٢٣٠ عضوا ، على ما كان عليه عام

١٨٩٢ • وأدى ذلك الركود بالنسبة للنقابات ، مقابل النمو المتزايد في عضوية الحزب ، الى تصور خاطىء ، وبعيد التأثير على الحركة النقابية •واصبحت المعارضة ضد النقابات قوية حتى ان مؤتمر النقابات المقرر عقده في ١٨٩٥ اجل الى عام ١٨٩٦ ، ولم يعقد الا بعد التغلب على كثير من الصعوبات[٧] • كما اثير في الحزب ، وعلانية ايضا ، اتجاه يقول بعدم ضرورة اللجنة العامة ، بل ودعا لتصفيتها ، ورأى بان نقابات منفردة ، غير موحدة ، تكفي للعمل النقابي • ولكن النقابات الالمانية واصلت عملها على الرغم من كل ذلك ، بل وحققت بالتدريج وضعا اقتصاديا احسن ، واصبحت بالنسبة لنموها متقدمة على صعيد الحركة النقابية العالمية • وقد بلغت عضويتها عام ١٩٠٠ ، ٦٨٠٤٢٧ عضوا ، أما في ١٩٠٥ فاصبحت تضم ١٫٣٤٤٫٨٠٣ ، وفي ١٩١٠ ، ٢٫٠١٧٫٢٩٨ ، وفي ١٩١٤ ، ٢٫٥٥٦٫٢٥١ عضوا[٨] • وكانت النقابات «المستقلة» المسيحية والبرجوازية ، تكون حوالي ثلث ذلك العدد •

التروستات(*) والنقابات الصناعية

ان تكوّن الرأسمال الاحتكاري في المانيا وضع النقابات ، كما هو الحال في جميع البلدان الراسمالية المتقدمة الاخرى ، امام قضايا جدية وجديدة تخص قدرتها على البقاء ، وتمس عملها وتوسعها • فعدد العمال المشتغلين في الكونسرنات الكبيرة ازداد خلال الفترة من ١٨٨٢ ـ ١٩٠٧ حوالي ٢٠٠٪[٩] • بينما لم يزد عددهم في المعامل الصغيرة الا ٢٥٪ فقط • واخذ الحيز الصناعي الضخم لكروب وغيره من الاقطاب الكبار يتوسع بسرعة بالغة • كما نشأ عدد كبير من الكارتلات : في ١٩٠٥ كان ٣٨٥ كارتلا يسيطر على ١٢٠٠٠ شركة ، وقد تضاعف هذا العدد بنشوب الحرب مرتين • وازداد عدد اتحادات ارباب العمل بدرجة قوية ، واصبحت عام ١٩١٤ تضم ١٤٥٠٠٠ رب عمل، منضمين لاتحادات روابط ارباب العمل الالمانية الاستفزازية ، ويستخدمون ٤٫٦٤١٫٣٦١ عاملا •

ان الاتحادات الرأسمالية الجديدة ، المسندة بقوة من قبل

(*) اتحادات احتكارية متكونة من عدة شركات احتكارية •

الحكومة ، كانت منظمات مقاومة مؤثرة ضد النقابات ، وهى ذات تأثير أكبر بكثير مما كان لدى الرأسماليين كافراد · وكما في البلدان الاخرى ورغم الاختلافات فى قوة الاجراءات ، فانها اظهرت ايضا اتجاهات معادية للعمل النقابى بشدة ، وعملت باسلوب « اخلاء المعامل من النقابيين » · وقد اعلن السيد كروب دون خجل ، بانه يريد ان يصبح «السيد فى بيته الخاص» ، وتصرف فعلا على هذا الاساس · ومارس أرباب العمل اسلوب غلق المعامل الواحد تلو الاخر بغرض الحؤول دون تلبية مطاليب العمال المنظمين في النقابات ·

وعلى اثر تلك الاجراءات التعسفية ، جرت عدة اضرابات ، ولكن دون جدوى ، وكانت النتيجة هى ، ان اضطرت النقابات عموما الى اتخاذ موقف الدفاع خاصة فى الصناعات الاحتكارية حيث ضعفت امكاناتها هناك كثيرا ، وقد ذكر فارفغ بأن جميع العقود الجماعية تقريبا شملت ، حينذاك المعامل الصغيرة والمتوسطة فقط(١٠) · واصبحت المشكلة مع مرور الايام ، وحتى نشوب الحرب العالمية الاولى ، تتزايد حدة وتعقيدا · ان الحركات العمالية فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وغيرها ، عانت ايضا من نفس المشكلة ، بشكل أكثر او أقل حدة ·

وبينت النقابات المهنية القديمة عدم قدرتها على ايقاف التمركز الكبير للرأسمال الآخذ في النمو ، عند حده · وفقد العمال الفنيون بسبب تخصص العمل ، موقعهم المفضل في الصناعة · ولم تعد اضراباتهم مؤثرة ضد ارباب العمل الكبار ، الذين يملكون احتياطي كبير وطريقة سهلة لممارسة وسائل الضغط بدعم من الحكومة ، والذين تمكنوا من السيطرة على جماهير من العمال المهرة وغير المهرة ، بامتلاكهم الامكانات للحصول على عدد كاف من كاسري الاضرابات المحترفين · وقد اختصت الصناعة الاحتكارية بجعل شكل النقابة المهنية يعتق بالتدريج ·

وباعادة تنظيم الحركة العمالية على اساس النقابات الصناعية تمت اولى الاجابات على تلك المشكلة الجدية · اي بوضع الحركة النقابية على القاعدة الطبقية بدلا من الاسس المهنية الضيقة · اما

النقابات البريطانية فقد نمت ، بعكس غيرها من نقابات البلدان الاخرى ، جنبا الى جنب مع نمو التروستات ، وكانت لها جذور في عدد من معاملها ، ولهذا تمكنت ، قبل غيرها ، من حل تلك المشكلة من خلال عملية بطيئة لاتحاد النقابات المهنية • ولكن النقابات المهنية الاميركية، التي وقفت التروستات بوجهها خالقة مشاكل اكثر حدة وتعقيدا لها ، امتنعت عن الانتباه لتلك المشاكل ، واستمرت على اشكالها التنظيمية المهزوزة الى ان ازيحت تماما من الصناعات الاحتكارية • ومنيت الحركة العمالية هناك بسبب ذلك النهج بانقسامين كبيرين فيما بعد : تكوين منظمة العمال الصناعيين العالمية عام ١٩٠٥ ، ومؤتمر اتحاد الصناعة عام ١٩٣٥ •

أما النقابات الالمانية فقد بدأت ، رغم المقاومة الشديدة التي مارسها محبذو الاتحادات المهنية والذين لم يتمكنوا النظر الى ابعد من أرنبة انوفهم ، تدرك تدريجيا وبالوقت المناسب منطق الوضع . وتحركت باتجاه تكوين النقابات الصناعية • وقد طرحت المسألة على المؤتمر العالمي المنعقد عام ١٨٦٨ لاول مرة ، ولكنها رفضت(١١) • واصبحت ، فيما بعد ، عملا خاصا من اعمال مؤتمر هلبرشتات لعام ١٨٩٢ • وظلت تبرز في الاعمال التحضيرية للمؤتمرات اللاحقة حتى الحرب العالمية الاولى • ان النقابات الصناعية لاتعتبر فقط اداة لتكوين منظمات كفاحية فعالة ، بل وايضا للتحكيم في المنازعات القانونية الدورية التي تحدث بين الاتحادات المهنية ، وللتقرب من الجماهير العمالية الواسعة المتعلمة وغير المتعلمة ، ومن ضمنهم العدد الكبير من النساء • لقد كانت نتيجة ذلك المسعى (تكوين نقابات صناعية) ان تقلص عدد النقابات الفرعية الالمانية من ٩٢ الى ٤٦ نقابة خلال الفترة من ١٨٩١ ــ ١٩١٤ ، وازداد العدد الكلي للعضوية حتى بلغ ، في نفس الفترة ، ٥٢١ر٥٥٦ر٢ عضوا ، وانتشرت النقابات في كثير من مجالات الصناعة الجديدة • وكانت فترة تميزت بالاضرابات والاعتصامات المتصاعدة : ١٨٩١ حدث ٧٣ اضراب واعتصام ، ١٩٠٦ بلغ عدد الاضرابات (بتأثير الثورة الروسية) ٣٤٨٠ ، وفي ١٩١٣ حصل ٢٦٠٠ اضراب(١٢) •

تحريفية بيرنشتاين

لقد بدأ الكثير من الانتهازيين بالتحرك داخل احزاب ونقابات

الاممية الثانية ، ابتداء من عام ١٨٨٠ وما بعده • واخذوا يدعون ، بدهاء وخبث ، لمفاهيمهم التي منها واخطرها ، التبشير بامكانية حل جميع مشاكل العمال الحياتية بنطاق النظام الراسمالى • ولهذا فسيكون من الحماقة ودون جدوى ، النضال من اجل الاشتراكية •
وقد تكونت وجهات النظر والاستنتاجات الخاطئة تلك على اساس تصورات من قبيل : ان الثورة البروليتارية المنتظرة تبدو غير مبررة ، وان العمال فى انكلترا وفى غيرها من الاقطار سيحصلون بالتدريج على حق الاقتراع ، وستحرز بعد ذلك ، مختلف الاحزاب الاشتراكية ارتفاعا مضطردا فى عدد الاصوات • كما سادت اوهام مثل ، ان العمال سيحصلون على اغلبية برلمانية فى اغلب البلدان الراسمالية ، ومن ثم سيستلمون السلطة• واستشهد التحريفيون بالمستوى المعاشي للجماهير ، حيث أخذ بالارتفاع البطيء ، واعتبروه برهان على صحة برنامجهم •
ان انتشار الراسمالية وتوسعها فى البلدان المستعمرة ، حقق للرأسماليين ارباحا اقتصادية ضخمة ، وقد اتفق ان تسقط بعض فتات ذلك «الرخاء» على بعض العمال وخصوصا على عمال المهن فى البلدان الرأسمالية الرئيسية • وقد اشار كوتسينسكي الى نسبة زيادة الاجر الفعلى فى بريطانيا العظمى من ٧٤ فى اعوام ١٨٦٩ــ ١٨٧٩ الى ٩٩ فى ١٨٩٥ــ١٩٠٣ (على اعتبار ان عام ١٩٠٠ يساوى ١٠٠ ، اي سنة الاساس)(١٣) • وفي المانيا من ٨٧ في ١٨٦٨ ــ ١٨٧٨ الى ٩٧ في ١٨٩٤ــ١٩٠٢(١٤) • وفي الولايات المتحدة من ٨٧ في اعوام ١٨٦٨ــ١٨٧٨ الى ١٠٢ فى ١٨٩٧ــ١٩٠٨(١٥) • وكان العامل الحاسم فى تحقيق ذلك التحسن النسبى بمستوى المعيشة هو ، النضال المتصاعد للعمال • ولكن هذا المستوى المعاشي ظل دائما يؤدى الى افقار وتجويع جماهير واسعة من العمال ، واصبح فضلا عن ذلك ، وبسبب التشديد من اساليب استغلال العمال ، مكسبا لارباب العمل •
وبدأت عناصر مشابهة تنادي بافكار انتهازية جديدة ، وتردد الايديولوجي المركزي في داخل جميع احزاب ونقابات الاممية الثانية •

١٥ـ بريطانيا العظمى :
التوافق الطبقي والحركة النقابية
١٨٧٦ ـ ١٩٠٦

كانت الاعوام من ١٨٥٠ـ١٨٧٥ (عصرا ذهبيا) بالنسبة للرأسماليه البريطانية ، فخلالها نمت بسرعة فائقة وبسطت سيطرتها على الكثير من اسواق البلدان الاجنبية . وكانت كذلك عصر توسع النقابات . فمن تاريخ تأسيس مؤتمر النقابات عام ١٨٦٨ وحتى ١٨٧٦ تضاعف عدد عضوية النقابات اربع مرات . ولكن الازمة الاقتصادية العالمية الحادة التي بدأت في ١٨٧٣ وجهت للرأسمالية البريطانية وكذلك للنقابات البريطانية ضربة موجعة . فتراجعت الصادرات البريطانية من ١٨٧٢ ـ ١٨٧٩ حوالي ٢٥٪ ، ولم تصل مرة أخرى الى السابق الا بعد عام ١٨٩٠[١] . كما تخلفت بريطانيا في مجال الانتاج الصناعي عن الولايات المتحدة كثيرا . ومنيت النقابات ايضا باضرار فادحة بسبب البطالة الجماعية الواسعة التي سببتها الازمة الاقتصادية ، وهجمات الاستغلاليين المشتدة ضدها . ولم يرتفع عدد عضوية النقابات خلال الفترة من ١٨٧٦ ـ ١٨٨٦ شيئا يذكر .

النقابات البريطانية المحافظة

لقد سيطر العمال المتعلمون وقادتهم على النقابات بشكل تام ، وكان الاعضاء المنضمون لها انذاك ٥٨٠ر٩٧٦ عضوا فقط من مجموع طبقة عاملة كبيرة تعد بأضعاف ذلك العدد ، من بينهم اعضاء مؤتمر النقابات في ١٨٨٥ . فتلك المجموعات التي حصلت على امتيازات في شروط الاجر وكونت ارستقراطية العمال ، لم تستلهم شيئا من الروح الثورية لكارل ماركس ولا حتى من سلفه الشارتيين . وبوعي تام روج ارباب العمل لذلك التيار المحافظ وقدموا للعمال المتعلمين امتيازات فيما يتعلق بالاجور ، على حساب جماهير العمال غير المتعلمين وغير المنظمين. وقد كرس ماركس وانجلس كثيرا من الوقت والاهتمام لتلك الظاهرة التي بدأها ارباب العمل عندما دخلوا في المرحلة الاحتكارية للرأسمالية، واتبعوا اسلوب رشوة الفئة العليا من الطبقة العاملة بشكل منظم . ففي رسالة له الى ماركس ذكر انجلس في ٧ تشرين الثاني ١٨٥٨ بان

« البروليتاريا الانكليزية تتكفل اكثر فاكثر ، ويبدو انها تريد في الاخير ، نقل التبرجز الى جميع الامم ، والحصول على ارستقراطية برجوازية وبروليتارية برجوازية بجانب البرجوازية »[٢] ٠

وفي عام ١٨٨٠ جُردت النقابات البريطانية ، بظل القيادة المحافظة ، من كل صفاتها النضالية والراديكالية السابقة ٠ واتجهت بقوة نحو التعاونيات ، واخذت على عاتقها تطبيق نظام معقد من الاعمال سمي بـ « جمعيات الود » Friendly Societies للحماية من المرض والبطالة والخ ٠ وكان ذلك برهان للحنين الى الروابط المهنية في كل العالم الرأسمالي ، النقابات الالمانية ، والبلغارية ، والاميركية وغيرها من نقابات ذلك الصنف ، والتي بقيت تفضل « الحماية الذاتية » كثيرا ، واعتبرت الطريقة الاجتماعية تلك ضرورة لصيانة ونمو النقابات ، وكلما حصل منها اكثر واكبر ، كلما كان ذلك احسن للنقابات ٠

لقد كان النقابيون المحافظون اعتياديا ضد وجهة النظر الحكومية بتأسيس ضمان اجتماعي ، حيث اعتبروا ذلك منافسا للحركة النقابية ٠ فخلال تلك الاعوام ، كما قال روثشتاين ، حصل عدد من القادة النقابيين ، في الانتخابات ، على مقاعد في البرلمان ، ولكنهم ، رغم البطالة الواسعة ، لم يطرحوا داخله شيئا للدفاع عن قضية العمال العاطلين[٣] ٠ ان قادة تلك النقابات المهنية لم يهتموا مطلقا بمصير ومستقبل الجماهير الواسعة من العمال العاطلين ، طالما كانت مصالحهم المهنية الضيقة الخاصة « مصونة » ٠ وقد انسحبت الروحية نفسها على القادة الرجعيين لاتحاد العمل الامريكي ، المعادين لكل نوع من الضمان الاجتماعي الاتحادي ، وهم انفسهم الذين وقفوا ، ابان الازمة الاقتصادية الكبرى لعام ١٩٢٩ ، بكل عنف ضد الضمان الحكومي عن البطالة ، وكانوا على الدوام مع كل اجراء معاد للنقابية ٠

ان النقابات البريطانية ، بطريقتها الاجتماعية المعقدة ، أصابت معونة دعم الاضرابات ايضا ٠ وبسبب الوضع المالي الجيد عموما ، لقادتها بالقياس الى ما تعاني منه جماهير العمال ، ادانت الاضرابات على طول الخط ٠ فقد أعلن آلان ، الذي كان فيما مضى قائدا جريئا لنقابة صناعة المكائن ، امام احدى الهيئات الملكية : « ان كل الاضرابات ما هي الا تبديد للاموال »[٤] ٠ وكان هذا الرأي نموذجيا

بالنسبة للعمال المتعلمين في ذلك الوقت • اما النقابات الثورية فقد تميزت ، في عقود لاحقة من السنين ، بالاعتراف ، بـان على اضرابات العمال ألا تكسب بواسطة النقود ، بل بواسطة القدرة الاقتصادية ، التي بيد العمال • وعلى هذا الاساس ناضلت بشجاعة في سبيـل ان تتحمل الدولة كل التكاليف المالية للضمان الاجتماعي •

لقد هاجم اليساريون البريطانيون بين اعوام ۱۸۷۰ ـ ۱۸۸۰ قادة النقابات المحافظين الذين سببوا ضررا للحركة العمالية بتمسكهم بنظام الحماية الذاتية ، ووصفوا نظامهم بـ « معاهد الدفن ومستودعات التوابيت » • وأكد القائد النقابي الراديكالي دوننغ بأن « الجمعية المتحدة للمهندسين الميكانيكيين القوية فيما مضـى اصبحت الان غير قادرة على الدخول في اضراب واحد ، وكأنها اتحاد من اتحادات الحماية الذاتية »[٥] • كان ذلك انتقادا لطيفا جدا ، ولكنه مبالغ فيه نوعا ما • فرغم انظمتها الاجتماعية المشلولة ورغم قياداتها المحافظـة ، الا ان النقابات المهنية شنت بعض الاضرابات الحادة ايضا • ومع ذلك كانت غير قادرة على الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة ككل • انها حقيقـة تكشف عن نفسها بشكل صارخ •

الاضراب الكبير لعمال صناعة السفن

عندما بدأت بريطانيا العظمى تقترب في الثمانينات من الاحتكار العالمي في الانتاج الصناعي وفي التجارة ، بدأ ارباب العمل يشددون من هجماتهم على النقابات وعلى المستوى المعاشي للجماهير • ودخل الجناح اليساري في الحركة النقابية المتزايد قوة وتماسكا ، بتوجيه رجـال مثل توم مان ، بن تاليت وجون بورنس ، في نضال بطولي من أجل الحركة النقابية • ولكن الطغمة البيروقراطية المحافظة وريثة « اللجنة السياسية » (اليونتا) ، سيطرت على مؤتمر النقـابات البريطاني ، وكونت قيادة ، كان سكرتيرها هنري برودهورست مع جون بورنيت وغيورغي شيتون وغيرهم ، تجاهلت سمة المرحلة وتشبثت باستماتة بسياسة النقابات المهنية المعرقلة •

وفي نفس الفترة نشب الاضراب الكبير لعمال المسافن اللندنيين ، وكان كالاعصار • وبتأثيره قامت اضرابات صغيرة عديدة لعمال معامل الثقاب وعمال مصنع الغاز وغيرهم ، بقيادة توم مان وغيره من عناصر

القوى الاشتراكية · وكانت جميع تلك الاضرابات ناجحة ، فوصفها أنجلس بقوله « ان تلك الدفعة البسيطة دحرجت كل الجليد معها » · وعلى الاثر تكونت نقابة عمال الغاز العامة وبدأت تنمو بسرعة بالغة · كما دخل عمال المرافىء اللندنية في المعركة · وبسبب تنكر القيادات المتعالية للنقابات المهنية ، فقد ظل السفانون يعملون بظل ظروف سيئة للغاية وعاشوا حياة فقر مخيف · ولكن بعد انعقاد المؤتمر التأسيسي للاممية الثانية المنعقد في باريس في ١٣ آب ١٨٨٩ بشهر واحد بدأ النضال التاريخي في المسافن · وقد نشب ذلك الاضراب بسبب نزاع على الاجور ، ولكن توم مان ومناضلين اخرين ، ممن كانوا نشطين منذ سنوات عديدة ، مدّوا ايديهم على الفور الى العمال المضربين ، وساعدوهم بتأسيس نقابة عمال الموانىء ، وحرضوا في المسافن الاخرى على الاضراب · وسرعان ما انتشر الاضراب على طول السواحل كالنار في الهشيم · فخلال ثلاثة ايام اصبح عدد العمال المضربين ١٠٠٠٠ عامل · وبعد اسبوع واحد اصبح الاضراب ، القرار الجماعي لكل عمال المرافىء · ولاول مرة في تاريخ العمال صار ميناء لندن الكبير مشلولا · وتعلم عمال الموانىء المضطهدون والمستغلون درسا كشف لهم عن قوتهم الاقتصادية ·

لقد قاد مان وتاليت بورنس وغيرهم من القوى اليسارية اضراب عمال احواض السفن · وكانت اليانور آيفلنغ ، ابنة ماركس ، سكرتيرة لجنة الاضراب · ونال الاضراب بفضل البيانات الكفاحية والمسيرات والتظاهرات العمالية ، الاحترام الكبير ، وحصل على عطف شديد ليس في صفوف العمال فقط ، بل وبين أوساط الفئات المتوسطة ايضا · وحضي بتقدير وتأييد العالم · فمن بين المبلغ الذي جمع لمعونة المضربين ، والبالغ ٤٨٠٠٠ جنيه استرليني ــ وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت ــ كان ما لا يقل عن ٣٠٠٠٠ منها من النقابات الاسترالية · وكانت تلك المشاركة التضامنية القيمة عاملا فعالا في تصعيد الاضراب وتحقيق النصر ·

كانت وحدة عمال المرافىء تامة ، والتعاطف الجماهيري مع حركتهم عاما وكبيرا · ولهذا اضطر ارباب العمل ، بعد اربعة اسابيع لبحث تلبية مطاليبهم · وكان العمال يطالبون بستة بنسات لكل ساعة عمل ، وبالغاء العمل على اساس التعاقد ، وبرفع الحد الادنى

لاستئجار الملاحين الى اربع ساعات · وقد تحققت عمليا جميع مطاليب العمال · وكسب عمال المرافىء واحدا من اهم الاضرابات في كل تاريخ بريطانيا العظمى[٦] ·

ووجد النصر الكبير لعمال المرافىء اللندنيين صدى قويا بين الجماهير الواسعة للطبقة العاملة والتي كانت حتى ذلك الحين متجاهلة أو مُهملة من قبل قادة النقابات المهنية ، الذين فكروا فقط بمصلحتهم المهنية الضيقة · وقد انعكس نجاح الاضراب على عمال بلدان أخرى ، فحدث عام ١٨٩٠ اضراب لعمال الموانىء في استراليا وفي نيوزيلاندة · وفي مختلف الصناعات البريطانية تطورت بين اوساط العمال غير المنظمين ، المتعلمين وغير المتعلمين ، حملة واعية للتنظيم · ونمت نقابة عمال المرافىء ، التي انتخبت توم مان رئيسا لها[٧] ، بشكل كبير جدا وامتد نفوذها الى مناطق مهمة جديدة ، ووصل عدد اعضاء نقابة عمال الغاز ٧٠٠٠٠ كان اغلبهم من العمال غير المتعلمين ، ونقابة البحارين والوقادين ، التي تأسست عام ١٨٧٧ ، ارتفع عدد اعضائها في عام ١٨٨٩ الى ٦٥٠٠٠ عضو ، واتحاد عمال المناجم الذي تأسس عام ١٨٨٨ بـ ٣٦٠٠٠ عضو فقط ، صار في عام ١٨٩٠ يضم ٢٠٠٠٠٠ عضو ، كما نشأت نقابة لعمال السكك ·· والخ[٨] · ومن المهم ملاحظة التقدم الذي حصل بين النساء الشغيلات والعمال الزراعيين · كما ان مؤتمر النقابات البريطانية الذي لم يضم جميع النقابات ، حقق هو الاخر نموا ملحوظا في العضوية ، فزاد عدد اعضائه من ٥٨٠٩٧٦ عام ١٨٨٥ الى ١٩١ر٤٧١ز١ عام ١٨٩٠ ــ ان مثل ذلك النمو السريع للنقابات لم يسجل مثيلا له في بريطانيا العظمى حتى ذلك الوقت ·

كان للنصر الذي حققه عمال المرافىء تأثيرات كبيرة على النقابات القديمة ايضا · وبدأت تقديراتها تجاه العمال المتعلمين تتخلخل ، وكثير منها خاضت حملة منظمة نشطة ، واظهرت روحية نضالية جديدة · ووجهت ضربة الى الاسطورة السحرية القديمة Fetisch حول ضمان للمرض وعند الوفاة · فاعلنت الرابطة العامة لعمال السكك الحديد بجلاء بانها « سوف لا تتحمل نفقات المرض أو الحوادث » · وخلال ١٨٨٩ ــ ١٨٩١ تكون ، كما ذكر هوت ، اكثر من ٦٠ مجلس مهنة محليا جديدا · وفي أول مظاهرة لندنية احياء للاول

من ايار تجمع عام ١٨٩٠ بهايدبارك ، اكثر من ٢٠٠٠٠٠ عامل ٠ وكان الشعار المركزي للمظاهرة هو المطالبة بسن قانون تحديد يوم العمل بثمان ساعات ، ذلك الهدف الكبير الذي ابعده القادة النقابيون المنادون بنقابات « بلا سياسة » ٠

ان الحركة المتقدمة للعمال ، والتي دفعها ورفع من شأنها اضراب عمال المرافيء اللندنيين ، حققت للحركة العمالية البريطانية امتيازات جذرية ٠ وبدأت النقابات تنتقل من الاساس المهني الضيق السائد الى القاعدة العريضة للطبقة العاملة ٠ وأدى ذلك ايضا الى تكوين طراز متقدم للقيادة ٠ واضطر برودهورست ، زعيم « العصابة القديمة » Old gang للنقابات البيرقراطية (كما سميت) ، اضطر في المؤتمر النقابي المنعقد في ليفربول عام ١٨٩٠ ، ان يتخلى عن عمله كسكرتير وبنفس الوقت ادى النهوض الجماهيري الى اندماج الحركة العمالية في العمل السياسي ٠ ومارست تلك « الحركة النقابية الجديدة » ، بجانب تأثيرها العميق في بريطانيا ، تأثيرا منها في المانيا وفي الولايات المتحدة وبلدان مختلفة أخرى ٠

تأسيس حزب العمال البريطاني

نحو ١٨٦٨ وقف القادة النقابيون البريطانيون على العموم في جبهة سياسية متحدة مع الليبراليين ٠ فالحزب الليبرالي ، الذي مثل الرأسماليين الصغار والبرجوازية المتوسطة ، حصل في نضاله الطويل ضد حزب المحافظين ، وهو المنظمة الرئيسة للرأسمال الكبير ولمالكي الارض الكبار ، على تأييد جمهرة العمال المتعلمين ٠ وكان وليام أي غلادستون هو القائد الرئيس لللبراليين ، وخلال حياته (٦١ سنة) صار عضوا في البرلمان واربع مرات رئيسا للوزراء ٠ وفي سبيل الفوز بتأييد الطبقة العاملة شرع غلادستون باجراء بعض الاصلاحات القانونية الثانوية ، وسمح ، بين الحين والاخر ، بانضمام مرشحي العمال في القائمة الانتخابية الليبرالية ، وساعد الذين يتقاضون اجورا جيدة ممن يسمون بعمال ، باحتلال مراكز سياسية ، واخيرا عين عام ١٨٨٦ اثنين من « القادة العماليين » ، هما برود هورست وبوزت ، وكلاء وزارات في حكومته ٠ وبشكل أوضح من بسمارك ، كان غلادستون خبيرا بافساد وشل قادة الطبقة العاملة ٠

كانت تلك الايام توصف بأيام التحالف « السياسي بين السياسيين الليبراليين والعماليين » Lib - Lob ، بينما استدفأت الكوادر النقابية برضى على التكرم الحكومي على حساب الطبقة العاملة • وعكسوا بهاء العصر الفكتوري « العظيم » ، ولم يدخروا وسعا للاستهانة بالماركسية ، وبالمناضلين « غير المهذبين » في الحركة الشارتية • فذكر ويب بان « جميع المراقبين في تلك الفترة اتفقوا على ان النقابات في بريطانيا العظمى ، اقامت حاجزا منيعا ضد الاهداف الاشتراكية »(٩) • وقد هلل الرأسماليون في المانيا والولايات المتحدة على المقاومة « الاصيلة » التي ابداها العمال البريطانيون ضد الافكار الاشتراكية •

ولكن الطبقة العاملة البريطانية سرعان ما بددت أحلام الرأسماليين المندهشين ، وانتفضت بصورة « فطرية » لاحباط مشاريع المحافظين ، وكان أعلى تعبير لذلك هو اضراب عمال السفن اللندنيين • اما انجلس فلم يندهش لما حدث ، حيث كان في عام ١٨٨٥ قد كتب بمجلة « العصر الجديد » حول الوضع البريطاني العام قائلا « كلما يطول أمد الاحتكار الرأسمالي في انكلترا ، كلما تتقاسم الطبقة العاملة الانكليزية بدرجة معينة منافع ذلك الاحتكار • وتقسيم تلك المنافع بينها يجري بصورة غير متساوية جدا : فالاقلية المفضلة تعبىء القسم الاكبر ، لكن الجماهير الواسعة لا تنال الا قسما ضئيلا من ذلك • وهذا هو الاساس الذي جعل المساعي الاوينية لم تقدم الاشتراكية في انكلترا • وستفقد الطبقة العاملة الانكليزية ـ بانهيار الاحتكار ، ذلك الموقع المتميز • وستجد نفسها (دون استثناء الاقلية المفضلة والموجهة) في يوم من الايام ، بنفس مستوى عمال الخارج • وهذا هو الاساس الذي ستتحقق الاشتراكية في انكلترا بفضله »(١٠) •

في آب ١٨٨٤ تأسس أول حزب ماركسي في بريطانيا العظمى . هو الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي ، أي بعد ٢١ سنة على تأسيس الحزب في المانيا و ٧ سنوات على تأسيس حزب العمال الاشتراكي لاميركا الشمالية • وتعود اسباب ذلك التخلف الى التأثيرات المعوقة على العمال من جانب الاستعمار البريطاني الجشع • وكان قائد ذلك الحزب الجديد هو أج• أم• هندمان ، ابن احد الليبراليين الاثرياء ، والسياسي القلق والماركسي المزيف الذي تذبذب

من اقصى اليسار في البداية الى تأييد الحرب العالمية الاولى في النهاية • وكما اصطدم في السابق مع ماركس اصطدم بعد ذلك مع انجلس ايضا • ومارس الحزب الجديد خلال الانتفاضة الكبرى التي اثارها اضراب عمال المرافىء تأثيرا جديرا بالتقدير ، غير انه ، وبسبب سياسته الانعزالية ، سرعان ما صار الى موقع ليس هاما • وكان توم مان عدوا في تلك المنظمة كما دخلها جون بورنس ايضا •

وفي نفس العام (١٨٨٤) أسست مجموعة ليبرالية يسارية . سمت نفسها اشتراكية ، الجمعية الفابية ، وكانت بقيادة سدني وبياتريك ويب وجورج بيرنارد شاو وكثير غيرهم من المثقفين • واقترحت تلك المجموعة المعادية للماركسية وللصراع الطبقي جملة اصلاحات لا يتعدى تأثيرها ازالة الشوائب القبيحة للاستعمار البريطاني المتوحش • واعطى الزوجان ويب لكتاب هنري غيورغ « التقدم والفقر » لدى تكوين الجمعية اهمية كبيرة[١١] • وواصلت الجمعية الفابية ، بدرجة متزايدة بمرور الوقت ، اساليبها التشويشية • كما استقبلت من قبل البيروقراطيين في النقابات بترحاب بالغ ، وذلك لانها استطاعت تزويدهم بعللاء سهل الاستعمال لاسلوب « اشتراكي » ، تمكنوا بواسطته تضليل الطبقة العاملة البريطانية النامية • وكانت الجمعية الفابية مصدرا ايديولوجيا للانتهازية الاشتراكية الديمقراطية اليمينية الحديثة في بريطانيا العظمى •

وفي ١٨٩٣ جرت محاولة جديدة بقيادة كاير هاردي لتأسيس حزب شامل للطبقة العاملة ــ حزب العمال المستقل ــ ، وكان يميل بالخصوص الى الاهتمام بالنقابات • وطرح ذلك الحزب برنامجا اصلاحيا في الجوهر ، لم تغير من محتواه بعض الجمل الاشتراكية • وبعث الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي والجمعية الفابية وفودا الى مؤتمره التأسيسي دون أن ينضم احد منهم الى الحزب الجديد • وفي ١٨٩٤ اصبح توم مان سكرتيرا لحزب العمال المستقل[١٢] • وفي ١٨٩٥ قدم الحزب ٢٨ مرشحا للبرلمان خسروا جميعهم • ورغم نقاط الضعف التي تميز بها الحزب ، لكنه لعب دورا هاما ، بعد ذلك ، في الحركة العمالية البريطانية ، باعتباره حزبا « ممركزا » • ويعني ذلك انه كان حزبا قويا في تعابيره الراديكالية ، ولكنه ضعيف في اعماله للطبقة العاملة •

وتحت ضغط الازمة الحادة في "الامبراطورية البريطانية تحتم على الطبقة العاملة البريطانية ممارسة الاعمال السياسية والالتزام بالتنظيم • ووجد ذلك تعبيره في ضرورة ايجاد حزب عمالي عام ، كانت قاعدته النقابات • ولم يستطع الحزب الماركسي بأيديولوجيته الثورية ان يخدم مثل هذه المنظمة بسبب الوضع السائد • فقد توجب على الحزب الجماهيري للعمال ، في تلك الفترة ، ان يصبح منظمة عريضة تحتوي النقابات ايضا بأيديولوجيتها التي ما تزال غامضة • وكان الواجب الرئيس للماركسيين يكمن ، قبل أي شيء آخر ، بالسعي للعمل من داخل ذلك الحزب الجماهيري لنقله ، ما أمكن ، الى مواقع التفكير الماركسي وجعله يمارس سياسة ماركسية •

لقد تمثلت الخطوة الاولى ، المباشرة والمنظمة ، لتأسيس حزب العمال البريطاني ، بتكوين لجنة لممثلي العمال في شباط ١٩٠٠ بلندن ، وهي على غرار ما سبق ان تكون في بلايموث ١٨٩٩ لمؤتمر النقابات البريطانية • وكانت وفود الجناح اليساري تلح منذ سنوات عديدة على اتخاذ مثل هذه الخطوة • وفي الكونفرنس الذي انعقد في لندن شارك ١٢٩ مندوبا يمثلون ٣٠٠٠٠٠ نقابي من بينهم ممثلو منظمات اشتراكية تضم اكثر من ٧٠٠٠٠ عضو • وانتخب سبعة نقابيين في اللجنة التنفيذية المنتخبة ، اثنان منهم اعضاء في حزب العمال المستقل واثنان اعضاء في الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي وعضو واحد من الجمعية الفابية • كما تم انتخاب ج• رمساي ماكدونالد سكرتيرا(١٣) • ووافقت المنظمة الحزبية على برنامج المطاليب الملحة ، ولكنها اكتفت باشارات غامضة حول الاشتراكية كهدف نهائي •

واتخذت المنظمة الجديدة ، في البداية ، خطوات محدودة فقط ، فالعادات القديمة للنقابات ، والتي يدعمها ويغذيها الحزب الليبرالي ، لا يمكن التغلب عليها بيسر • كما لم ينجح من المرشحين العماليين الخمسة عشر غير اثنين فقط في انتخابات البرلمان عام ١٩٠٠ • ولكن الحركة الجديدة أتت عام ١٩٠١ تحولا صائبا بسبب محاكمة تاف ـ فاله المشينة(١٤) • ففي سود ـ ويلز نشب اضراب تاف ـ فاله للسكك الحديد ، فقدمت الشركة تلك القضية الى المحكمة العليا (كما قامت كونسرنات السكك الحديد الاخرى بحملة معادية محمومة ضد الحركة النقابية) ، وهناك قررت المحكمة حكما ادانت بموجبه

النقابات وفرضت عليها غرامة قدرها ٣٥٠٠٠ باون[١٥] ٠ وخلق ذلك الهجوم الجبهوي المباشر على النقابات غضبا عارما بين العمال ، لا سيما وانه عمد الى تقويض تام للقوانين النقابية لسنوات ١٨٧١ و ١٨٧٥ ٠ مما جعل كثيرا من النقابات تدخل ، عند انعقاد المؤتمر النقابي التالي في سنواسي Swansea ١٩٠١ ، في لجنة ممثلي العمال التي كانت تضم ٨٤٧٣١٥ عضوا(*) ٠ ومن هذه النقطة الحرجة بدأ انعزاليو الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي يتراجعون ، كما أكد هوت ، عن حركة حزب العمال ٠

لقد تكلم العمال البسطاء في البداية عن لجنة ممثلي العمال « كحزب العمال » ، ولكنها في الحقيقة أخذت ذلك الاسم بعد عدة اعوام ٠ وفي أثناء ذلك نما حزب العمال كثيرا ، واصبح عدد النقابات في ١٩٠٢ (١٦٥) نقابة تضم ٩٦٩٠٠٠ عضو(**) ٠ وبدأ الحزب يسجل نجاحات سياسية ايضا ٠ ففي ١٩٠٢ فاز واحد من مرشحيه في الانتخابات التكميلية ، وفاز في السنة التالية اثنان اخران ٠ وفي انتخابات مجلس العموم عام ١٩٠٦ فاز ٢٩ من مرشحي العمال ، مقابل ١٤ فقط من مرشحي التحالف العمالي ــ الليبرالي ٠ واصبح حزب العمال قوة سياسية للجماهير ٠

حزب العمال في البلدان التابعة

اتبعت الطبقة العاملة في البلدان الواقعة تحت النفوذ البريطاني ، ايرلندا ، استراليا ، نيوزيلاندة وافريقيا الجنوبية ، طريق تطور حزب سياسي جماهيري ، أي حزب عمال واسع ٠ فتأسس حزب العمال الايرلندي على قاعدة الحركة النقابية عام ١٩١٩ ، على أساس قرار اتخذ بهذا الشأن عام ١٩١٣ ، وكانت عضويته تزيد على ٢٢٥٠٠٠ ونظم العمال في استراليا عام ١٨٩١ ، بتأثير اضراب عام غير ناجح حدث في كوين لاند ، نيو ــ سود ــ والز وفكتوريا ، حزب عمال على قاعدة النقابات ٠ وفي انتخابات ١٨٩١ فاز ٣٥ مرشحا من بين مرشحيه الـ ٤٥ ٠ وحصل حزب العمال في كوين لاند عام ١٨٩٩ على الاغلبية ،

(*) دخلت تلك اللجنة في تمثيل مستقل للعمال في البرلمان (الترجمة الالمانية) ٠

(**) وصل عدد اعضاء لجنة ممثلي العمال عام ١٩٠٥ ، ١٫٥٤١٫٠٠٠ عضو (الترجمة الالمانية) ٠

وفي نيو ـ سود ـ والز شكل أول حكومة عمالية عام ١٩١٢[١٦] ٠ وحكمت استراليا ككل حكومة عمالية عام ١٩٤١ ٠

وتأسس حزب العمال في نيوزيلاندة عام ١٩١٦ ، فشكل أول حكومة عمالية عام ١٩٣٦[١٧] ٠ كما ان الماركسيين في نيوزيلاندة وكذلك في استراليا لعبوا دورا حاسما وقياديا في تنظيم حزب العمال ٠ أما في اتحاد جنوب افريقيا ، فلم تلعب الحركة النقابية حتى الى ما بعد حرب البور ١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ ، دورا كبيرا ، ولكن وجدت في الوقت نفسه اتحادات نقابية عديدة وحزب عمالي قوي نسبيا ٠ وفي كندا جرى التطور السياسي للطبقة العاملة على طريقة مختلفة عما في استراليا ونيوزيلاندة وجنوب افريقيا ٠

وقد تأسس الحزب الاشتراكي عام ١٩٠٤ والحزب الشيوعي عام ١٩١٩ ، ولم ينشأ حزب عمالي واسع على قاعدة النقابات ، يمكن ان يقارن بمثله في اوستراليا ونيوزيلاندة ٠ ويرجع ذلك في الجوهر الى التأثير المحافظ لاتحاد العمل الامريكي المعادي برعونة للاعمال السياسية المستقلة للطبقة العاملة ، والمعرقل دوما تطور الحركة العمالية الكندية ٠

× × ×

١٦ـ نضالات نقابية حادة في الولايات المتحدة ١٨٧٦ ـ ١٩٠٠

تميز الربــع الاخير من القرن التاسع عشر بالنمو الشديد للحركة النقابية في جميع البلدان الرأسمالية المتقدمة • وكمـا راينا ذلك في المانيا وبريطانيا العظمى ، فاننا سنبحث في هـذا القسم كيف تطورت الطبقة العاملة في الولايات المتحدة • فخلال تلك الفترة شهدت النقابات الاميركية صراعا طبقيا هو في حدته وعنفه اقوى من كل النضالات التي حصلت في البلدان الرأسمالية الهامة الاخرى • لا سيما وان جماهير العمال في صناعات الصلب والفحم والنسيج وفي الصناعات المختلفة الاخرى كانت اجنبية •

وكانت الطبقة الرأسمالية في اميركا ، والتي اصبحت بسرعـــة مذهلة الاغنى في العالم ، جائرة ومتعسفة كذلك • وبسبب انتصارها على مالكي العبيد خلال الحرب الاهلية اصبحت قوية جدا ، وتوسعت كثيرا بسرقة سهول ووديان الامة ، وبسرقة غاباتها وثرواتها المعدنية ، مستعينة بموظفي الحكومة الطيعين • وتمكن الرأسماليون من السيطرة على الحكومة سيطرة شاملة • فجلبوا جيوشا جرارة من المهاجريـن الى البلاد (دخل البلاد من ١٨٧٠ـ١٩١٤ ، ٤٥٧ر١٢٣ر٢٥ مهاجرا)[١]، وزجوا بجماهير واسعة منهم في معاملهم ومصانعهم ، وشغلوهم فيها تحت ظروف عمل سيئة للغاية •كما قاد الرأسماليون نضالا صارما ضد محاولات العمال لتنظيم انفسهم • ونهبوا المزارعين الفقراء دون ادنى خجل او حياء • وكونوا الشركات الاحتكارية الضخمة (تروستات)، وتصارعوا فيما بينهم كالوحوش المفترسة متقابلين مثل ما تفعـــل عصابات الغانغستر او اى عصابات وضيعــة اخرى ، لأغتصاب خطوط السكك الحـديد والصناعات من الاضعف بينهـم • وكانت تلك هى الرأسمالية الاحتكارية ، هى الاستعمار الذى تطور فــى الولايات المتحدة •

فرق عسكرية ضد العمال المضربين

خلال ذلك الربع قرن حصلت اضرابات كثيرة ، وكانت درجة حدتها وعنفها لا تختلف كثيرا عن مستوى الحرب الاهلية المحلية ، فقد وقف العمال المناضلون بوجه الفرق الحكوميـة العسكريـة

والقوات المسلحة الخاصة بأصحاب الاعمال • وفي الجبهة الامامية وقف عمال السكك الحديد فى الطليعة من تلك النضالات الطبقية الشاملة • وكان الاضراب العاصف الذى شنوه عام ١٨٧٧ ، بواقعه ، انفجارا ضخما ، وهو اول اضراب قومى فى التاريخ الامريكى • ولم تستطع نقابات السكك الحديد ان تلعب دورا مهما فى ذلك الاضراب ، فقد كانت حينذاك ضعيفة جدا ، الا ان الاضراب ، الذى بدأ فى ١٦ تموز ، انتشر فى البلاد كلها بسرعة مذهلة ، منطلقا من مارتنسبورغ (أهيو) ، وشارك فيه ، بسبب تقليص الاجور ، عمال سود وبيض غير منظمين • وبسببه توقفت خطوط رئيسية كثيرة ، وتوقفت حركة القطارات بين نيويورك وكاليفورنيا ومن كندا حتى خليج المكسيك • ولغرض ضرب ذلك الاضراب الفريد ، والذى لم يحدث مثله من قبل ، اتخذ رجال الحكم اجراءات عنيفة ضد المضربين وجندوا الفرق العسكرية لهذا الغرض • ولكن عمال السكك بالاعتماد على دعم العمال الاخرين ، وقفوا موقفا شجاعا وقاوموا السلطة بكل اجهزتها • وقد قتل اثناء المعارك الاضرابية الكثير من العمال والجنود ، وكذلك من مرتزقة شركات السكك الحديد ، كما جرح المئات غيرهم • واعتقلت السلطات اعدادا غفيرة من العمال المضربين ، ولكن جزءا كبيرا من معدات السكك الحديد تحطم بسبب المعارك التي دارت هناك • « لم يكن الذى حدث اضرابا ، بل ثورة •• » ، هكذا ناحت الصحافة البرجوازية وحذرت من النهوض العمالى • وفعلا فقد تمكن العمال بقيادة الاشتراكيين من السيطرة على مدينة لويس اسبوعا كاملا • ولكن ذلك الاضراب العظيم ضرب فى الثانى من آب مخلفا للشعب كله ، ولأول مرة ، درسا اساسيا عن القوة الضخمة للطبقة العاملة(٢) • ولكن الرأسماليين هم ايضا تعلموا من ذلك الدرس ، وبدأوا يعبئون ، في جميع المدن الكبيرة ، قواتهم المسلحة ، وينسقون لاقامة ترسانات محصنة للكتائب المسلحة التي كانت بمثابة نقاط حماية لهم ضد العمال ، وهو اجراء لا زال حتى اليوم مطبقا ايضا •

وكان اضراب عام ١٨٩٤ الذي قاده اتحاد عمال القطارات في امريكا ، وهو منظمة مستقلة تزعمها قائد الحزب الاشتراكى فيما

بعد ، أوغن أف ديبس ، واحدا من الاضرابات الكبيرة والعديدة لعمال السكك فى ذلك العقد العاصف من السنين • ففى البداية سعى اتحاد عمال القطارات الامريكى للأعلان عن تضامنه مع عمال معامل صناعة العربات التابع لشركة بولمان بالاس كار المضربين في شيكاغو ، للقيام بأضراب تضامنى فى ٢٦ تموز • ولكن الاضراب توسع من جديد بسرعة غير منتظرة رغم الموقف السلبى للقادة المحافظين فى منظمة تآخى عمال القطارات • ولم يبق فى المؤخرة (متأخرين عن المشاركة فى الاضراب) غير اقل من ثلث عمال السكك البالغ عددهم ٨٥٠٠٠٠ عامل • وكالعادة سارت الحكومة والرابطة العامة لارباب العمل باتجاه تحطيم ذلك الاضراب بالقوة • وأستدعوا كتائبا عسكرية اتحادية لشن هجمات محمومة ضد المضربين • كما صدر أمر اتحادى بتحريم الاضراب بموجب قانون عرقلة بريد الولايات المتحدة ، واعتقلت السلطات ديبس وغيره من قادة الاضراب • استطاعت السلطة ، مرة اخرى ، ضرب الاضراب ، ومما ساعدها فى ذلك ان غومبرس وقادة تآخى عمال القطارات تخاذلوا عن دعم النضال الداعى لأضراب قومى عام(٣) •

خلال ذلك الربع قرن الحافل بالنضالات ، خاض عمال مناجم الفحم ايضا نضالات اضرابية عديدة وكبيرة وحادة • وكان أولها قد حدث اثناء الحرب الاهلية ، وهو ما سمى ب « الاضراب الطويل » حيث بدأ في كانون الاول ١٨٧٤ وانتهى في حزيران ١٨٧٥ ، وكانت مناطق فحم الانتراسيت فى بنسلفانيا ميدانه الرئيس • لقد انتهى ذلك الاضراب بواحدة من اعظم التراجيديات في التاريخ العمالي الامريكي ، انتهى بشنق عشرة من قادة عمال المناجم الايرلنديين وبالاعتقال الطويل لأربعة عشر غيرهم بحجة انتمائهم الى منظمة ارهابية سرية للعمال الايرلنديين (Molly Maguires)(٤) • وفى ١٨٩٤ خاض ١٢٥٠٠٠ من عمال مناجم القير في أوهيو وفي المناطق المنتشرة حولها نضالا ضد اجراءات تقليص الاجر الشاملة ، التى اتخذت بسبب الازمة الاقتصادية الحادة • وقد فشل الاضراب جراء الاساليب الارهابية المعهودة للحكومة وارباب العمل ، ولكنه كان رغم ذلك ، واحدا من

المعارك الطبقية التى ساهمت بوضع أسس خلق النقابة المتحدة لعمال المناجم[٥] ٠

وكان النضال الكبير الثالث لعمال المناجم الـ ١٤٥ ألف قد حدث فى بنسلفانيا عام ١٩٠٢ ٠ ففى تلك المنطقة ، وبالضبط فى مدينة لاتيمور حيث سبق لمسيرة سلمية غير مسلحة قام بها العمال عام ١٨٩٧ ان ضربت من قبل قوة المناجم المدججة بالسلاح ، وقتل فيها ١٩ عاملا وجرح ٤٠ غيرهم ، حدث اضراب عام ١٩٠٢ ٠ بدأ الاضراب فى الثانى من تموز واستمر طيلة خمسة اشهر ، وانتهى بفعل ظروف نموذجية من الارهاب ٠ فقد « تحولت المناجم الى معسكرات محاطة بأسوار وبأسيجة من الاسلاك الشائكة » ٠ واعلن الزعيم الاوتوقراطى غيورغ أف٠ باكر لأرباب العمل المنجمين ، بان « حقوق ومصالح الرجل العامل لا تصان ولا تراعى من خلال هياج العمال ، بل من خلال الرجال المسيحيين الذين وهبهم الله بحكمته اللانهائية حق الاشراف على مصالح المالكين لهذا البلد » ٠ ورغم ذلك فقد حمل التضامن العمالى للمضربين النصر لولا نجاح مناورة ايداع موضوع الاضراب لدى هيئة تحكيم اتحادية، حيث استطاعت تلك الهيئة سرقة القسم الاكبر من انتصار العمال ٠ ولكن ذلك الاضراب التاريخى ادى فى النهاية لتأسيس النقابة المتحدة لعمال المناجم والتى تمكن جون متشل من السيطرة على قيادتها ٠ ومعروف ان متشل صار فيما بعد واحدا من النقابيين الرجعيين الاكثر استهتارا في التاريخ العمالي الامريكي[٦] ٠ وظلت حقول الفحم فى الباما وفى غرب فرجينيا وغيرها ساحات قتال دائمة خر على اديمها حتى الحرب العالمية الاولى المئات من العمال صرعى ٠

وفى تلك الفترة سجل عمال الصلب فى بتسبورغ فصلا مجيدا اضافوه الى سيرة الطبقة العاملة ٠ ففي ٣٠ حزيران ١٨٩٢ ، وبقصد تقليل اجور العمال ومنع رابطة اتحاد عمال الحديد والصلب القوية ، أقدمت كارنغ ستل كومبني، وهي سلف اليونتد ستيتس ستل كوربوريشن ، على حجز ٨٠٠ عامل ماهر فى هوميستيد وهو حى فى ضواحى بتسبورغ ٠ ولكن الباقين من العمال وعددهم ٣٠٠٠ ، وهم من العمال غير المنظمين ، وقفوا الى جانب المحتجزين ٠ وقد

وجه هوك أو· دونل ذلك النضال · وأرادت الشركة ، بعد ان غطت مصانعها بتحصينات ، هدم انتفاضة العمال بالقوة المسلحة المألوفة · وجلبت لهذا المغرض ٣٠٠ من المرتزقة والمخبرين من أوهيو على المونونغالا · ولكن العمال الذين عاشوا عام ١٨٨٩ حالة مماثلة ، احتلوا مصانع الحديد واستقبلوا المخبرين والمرتزقة بنار البنادق · وفي تلك المعركة قتل الكثير من العمال ومن المخبرين على حد سواء ، واجبر المرتزقة على التسليم وغادروا المدينة · ورغم ذلك الانتصار الباهر الذى حققه العمال ، استطاعت الشركة فى النهاية تصفية الاضراب بمساعدة الكتائب العسكرية الحكومية والمحاكم وعصابات الشقاة ، وبعد نضال مرير دام خمسة اشهر · لقد كسرت تلك الهزيمة العمود الفقري للحركة النقابية في مصانع الحديد ، وسببت لها شللا دام جيلا كاملا ، ولكنها على أية حال تركت للعمال المنظمين واحدا من اكبر التقاليد النضالية · وسجلت منطقة هوميستيد ، والى الابد ، فى صفحة العمال الاميركيين بحروف من ذهب[٧] ·

كذلك فى الغرب البعيد شهدت تلك المرحلة اضرابات مسلحة عديدة وعنيفة قام بها عمال مناجم الفلزات فى الجبال الصخرية · وتحت راية اتحاد عمال مناجم الغرب البطولية ، الذى تأسس عام ١٨٩٣ بقيادة وليم د·هايوود وفنكنت جون ومناضلين ثوريين غيرهم ، واصل العمال نضالهم الطبقي العادل · فخلال التسعين سنة وحتى بداية العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، ناضل عمال المناجم فى مونتانا وكولورادو وأيداهو بحماس متواصل ضد محاولات مالكى المناجم البربريين ، الذين عملوا لتصفية النقابات واجبار العمال على قبول وضع شبيه بالعبودية · وتطورت تلك الاضرابات بمرور السنين الى معارك حقيقية منظمة خاضها عمال المناجم ضد كتائب الحكومة العسكرية وضد حراس المناجم المسلحين ، الذين ما فتئوا يعلنونها ضد العمال بحجة امتلاكهم السلاح[٨] ·

ويعتبر النضال العام من اجل يوم عمل من ثمان ساعات ، والذى حدث فى ١ ايار ١٨٨٦ ، اعلى نقطة للنضالات الطبقية المريرة في ذلك العقد من السنين · وكان ذلك الاضراب التاريخي

قد اقره الاتحاد الامريكي للعمال في مؤتمره المنعقد عام ١٨٨٤ كواحد من قراراته • وقد جاء في ذلك القرار بان يوم العمل يجب ان يصبح ابتداءا من ١ ايار ١٨٨٦ ثمان ساعات ، ومن اجل تحقيق مطلب تقصير يوم العمل ، ستبدأ في بداية التاريخ المذكور حركة اضرابات عامة على النطاق القومي • وقد اتفق على ذلك القرار بناء على اقتراح قدمته منظمة تآخي العمال الصناعيين التي عملت طيلة عشر سنوات ، واهتمت بمواصلة النضال لتحقيق مطلب يوم العمل المحدد بثمان ساعات ، من خلال اضراب عام • ومنذ نهاية الحرب الاهلية عام ١٨٦٥ صارت مسألة ، ثمان ساعات يوم عمل ، مسألة حياتية مستديمة للعمال ، والآن بدأت المساعي الفعلية والمنظمة لحلها • وبهذا الخصوص لابد من ذكر تيرنس ف• بودرلى كقائد رجعي لمنظمة فرسان العمل وعدو الاتحاد الامريكي للعمال الذي مثل نمطا خيانيا ضد الحركة كلها •

لقد نشب اضراب الاول من ايار ١٨٨٦ في المركز الرئيس بشيكاغو حيث كان التأثير اليساري على النقابات قويا ، وشارك فيه ٣٥٠٠٠٠ عامل • وبالنسبة لحوالى ١٨٥٠٠٠ عامل، وخصوصا في المهن الانشائية ، تحقق يوم العمل بثمان ساعات • لقد أثر الانقلاب على الحركة العمالية تأثيرا ايجابيا كبيرا ، وتكونت من خلاله نقابات جديدة كثيرة • وخلق ايضا وزنا معتبرا للأتحاد الامريكى للعمال فى نضاله العنيد ، حينذاك ، مع فرسان العمل • ومن ذلك النضال ايضا تعينت ساعة مولد الاول من ايار كيوم عالمى للعمال ، كما قرره المؤتمر التأسيسى للأممية الثانية عام ١٨٨٩ في باريس(٩) •

وحصلت اثناء الاضراب العام الكبير ١٨٨٦ واحدة من ابشع الجرائم الرأسمالية ضد الطبقة العاملة • فقد القى شخص مجهول قنبلة في هوى ماركت (سوق الدريس) بشيكاغو في الرابع من ايار ، على اجتماع احتجاجي ضد القتل الوحشي لستة من العمال المضربين من مصنع ماك كورميك ـ هارفستر ، قتل من جرائها سبعة شرطة واربعة عمال وجرح الكثيرون •• وكانت مناسبة للشرطة كي تعتقل العديد من قادة الاضراب • وزعمت بانها قامت بذلك ضد الفوضويين ، او كما قيل بالضبط ، ضد الفوضوية

النقابية · وبعد حملة مفتعلة هستيرية منفلتة العنان ، وبعد لعبـة اعدت جيدا وبتدبير ، حكم على اثرها في ١١ تشـرين الثاني ١٨٨٧ على كل من بارسون وشبي وفشر وأنجل بالاعدام شنقا ، وعلى نيبه وشواب وفيلدن بالاشغال الشاقة المؤبدة · كما وجد لنـغ ميتا في زنزانته ، وقد ادعت الشرطة انتحـاره · ودوت ، ضـد تراجيديه هوي ماركت البربرية ، صرخة احتجاج في العـالم كله · ولم تنفع الجهود اليائسة التى بذلتها المحاكم لتصفية الحركـة العمالية الامريكية ، بل بالعكس فقد نزلت تلك المحاكم الى مستوى كاسرى الاضرابات والعصابات العادية ·

وحدثت فى تلك المرحلة اضرابات عنيفة وكثيرة اخرى ، فمثلا الاضراب العام للزنـوج وللعمـال البيض عـام ١٨٩٢ في أورليان ، واضراب عمال النقل فـى شيكاغو ١٩٠٥ ، حيث قتل اثنائها ٢٠ عاملا وجرح ٤٠٠ غيرهم واعتقلـت السلطـات ٥٠٠ من خلال الاعمال السياسية المستقلة الجريئة · وكان الاتحـاد الوطنى للمزارعين الملونين واحدا من قطاعاتهم الفعالة ، وقد ضم شخصا · وكان الدانع الرئيس لمئـات الاضرابات المريـرة التي نشبت فى الولايات المتحدة خـلال الفترة من ١٨٧٥ـ١٩٠٠ ، هو المحاولات الدائمة لأرباب العمل المنظمين فى سبيل عرقلة انشـاء النقابات · لقد كان نضالا قاسيا فرض على الطبقة العاملة خوضه طوال عقود عديدة من السنين ، نضالا استمر بقوة عاصفا حتى تمكن العمال في الثلاثينات من هذا القرن خلق منظمـات نقابيـة ثابتة في الصناعات الاساسية المتلاعبة بالاسعار وبالاجور ·

العمال والمزارعون فى اتحاد سياسـى

كان للأضرابات العديدة فى الفترة من ١٨٧٦ـ١٩٠٠ زادها فى الحركات السياسية الكبيرة ، تلك الحركات التى اصبحت فى المشترك ضد الرأسمال الاحتكارى ، تكونت منظمة الجبهة الشعبية الفترة ذاتها بقيادة الجماهير الشغيلة · وكون وجود تلك الحركات عوامل تعرية للحزبين الرئيسين · وثبتت وضعها باتحاد متطـور بين العمال والمزارعين وبرجوازية المدن الصغيرة ، وكان ذلك دون شك ، شكلا امريكيا خاصا تميز عن كل ما وجد فى اوربا حينذاك·

وبروحية اتحاد تلك القوى الديمقراطيـة فى سبيل النضـال وخاضت نضالاتها فى الثلاثينات وكانت امتداد تاريخي له • لقد كانت الحركة كلها متوجهة ضد الاضطهاد والسلب الذى مارسته التروستات المتجبرة • ومر نضالها بثلاث موجات كبرى : منظمة المزارعين (Grangers) فى السبعينات ، حركة الاحتجـاج للعمال والمزارعين الصغار فى الولايات الغربية من الولايات المتحدة الامريكية ، والتى توجهت ضد السياسة المالية للحـكومة فى الثمانينات ، وحزب الشعب في التسعينات[١٠] •

وكون المزارعون الفقراء في الغـرب الاوسط وفي الجنـوب العمود الفقـرى للحركـة النقابيـة كلهـا • فتحت ضغط البنوك المتنامية ، وشركات الخطـوط الحديديـة الباحثـة عن الذهب ، والتروستات الاخرى وبسبب الخداع السياسـى لقادة الاحزاب البرجوازية المنافقين ، فكر المزارعون الفقراء فى ايجاد طريقهـم ٢٥٠ر١٠٠٠ عضو ، ونشأ فى الجنوب المرتعب من عصابـات الكو ــ كلوكس ــ كلان[١١] • اما العمال الصناعيون الذين يئسوا من جدوى الجبهة الصناعية ضد التروستات ، واستطاعوا النظر مرة اخرى الى تقليد حزب العمال ، تحولوا كذلـك الى ممارسـة الاعمال السياسية المستقلة ، ولو ان قادة نقاباتهم لم يعطوا الامر الاهمية التي يستحقهـا • واحست البرجوازيـة الصغيرة كـذلك بضغط التروستـات المتزايد ، فأنجرت ، بدافع مصالحها ، الى الاتحاد السياسى للعمال والمزارعين •

كان للحركة الجماهيرية العريضة مطلب مركزى ، هو اصدار نقد « رخيص » من قبل الحكومة ، على شكل فيض من الدولارات الورقية ، ومن ثم ، كما وصف بعد ذلك ، سك عملـة حرة مـن الفضة بسعر يعادل كل ١٦ أونسا فضة منها اونسا واحدا مـن الذهب • وظهر ذلك للمزارعين كوسيلة عظيمـة مثلى لتحرير انفسهـم من الديون الضاغطـة ، في حين كان وهـم اساسي في حقيقته • اما العمال ، والذين ما كانوا متحمسين كثيرا للأصلاح النقدى ، فقد طرحوا المسألة رغم ذلك فى الصدارة ، وعلى اساس النظريـة القائلـة ، ان نقـدا اكثر في التـداول يعني اوقات احسن

وعملا اكثر . ووجهت الحركة نارها ضد شركات السكك الحديدية المخاتلة ، وطالبت فى البداية بتنظيم الاسعار ، وبعد ذلك ناضلت فى سبيل ان تمتلك الحكومة السكك الحديدية وخطوط الهاتف . وكان الاتحاد السياسى للشعب قد اتجه ايضا للمطالبة بتمليك المهاجرين الحقيقيين الاراضي الزراعية العامة ، وبان تسري الديمقراطية فى الحكومة .

وقد حصلت حركة العمال والمزارعين فى تلك الفترة على ١٫٠٥٠٫٠٠٠ صوت ، اى حوالى ١٢٪ ، من مجموع عدد الاصوات في انتخابات الكونغرس عام ١٨٧٨ ، وهي اعلى نتيجة انتخابية حصلت عليها . وبقيت الحركة فى الولايات ذات الاقتصاد الزراعى ، فى الجنوب والغرب ، سنوات عديدة بعد ذلك قوة حاسمة . وكانت احدى نضالاتها الكبيرة فى الشرق قد حدثت عام ١٨٨٦ اثناء المعركة الانتخابية لأنتخاب هنرى غيورغ رئيسا لبلدية نيويورك . وكما ظهر فان غيورغ فاز فى الانتخاب ، ولكنه ابعد عنها بالخداع السياسى . وسارت الحركة كلها بثبات ، الى ان حلت اثناء انتخابات الرئاسة عام ١٨٩٦ ، عندما وحد وليم جونينغس برين قائمة مرشحى حزب الشعب والحزب الديمقراطى في الانتخابات من أجل عملة الفضة الحرة .

كانت انتخابات ١٩٠٠ ، بالنسبة للجيل اللاحق ، محاولة اخيرة ، ولكنها كبيرة ، للعمال والمزارعين من أجل تكوين حرب سياسى مستقل وواسع . الا ان القائمين على تلك المحاولة لم يكونوا اقوياء بدرجة يستطيعون معها تحطيم القيود السياسية التي فرضها ضدهم حزبي الجمهوريين والديمقراطيين عملاء التروستات . وحققت التروستات المتنامية بسرعة في المجال الصناعي ، نصرا كبيرا على الطبقة العاملة وحلفائها فى المجال السياسى ، نصرا ما زالت اثاره السلبية باقية حتى اليوم .

فرسان العمل والاتحاد الامريكى للعمال

خلال العقود الثلاثة العاصفة قبل عام ١٩٠٠ ، إستطاعت الطبقة العاملة الى جنب مع قيادة النضالات الاضرابية والمعارك الانتخابية العديدة ، تطوير إتحادين عماليين قوميين كبيرين :

منظمة فرسان العمل والاتحاد الامريكي للعمال . بدأت منظمة فرسان العمل تنظيمها عام ١٨٦٩ فى نفس الوقت الذى تكون فيه الاتحاد الوطنى للعمال فى فلاديليفيا ، ولكنها لم تستطع تثبيت اقدامها قبل الانتفاضة الكبرى للعمال اثناء اضراب عمال السكك الحديدية التاريخي عام ١٨٧٧ . وبدأت ، في اوائل الثمانينات ، تنمو بسرعة مذهلة من خلال الاضرابات الهامة ، وبلغت عضويتها ٦٠٠٠٠٠ عضو . وفي نهاية ١٨٩٠ حلت هذه المنظمة[١٢] .

وتحت ضغط الجماهير المشتد اخذ فرسان العمل ، حينذاك ، يعملون لهدف هو : « تحت راية واحدة لفروع العمل المبجل يتجمع الكل دون تمييز للقومية ، والجنس ، والمعتقد أو اللون . » وكان شعارهم : « الاجحاف ضد واحد هو اجحاف ضد الجميع » . وهدفهم « التحرير الشامل لكل الذين يرزحون فى العبودية ، الذين يخلقون الثراء ، والغاء عبودية الاجر . » وقد استندوا فى الجوهر على تصور طبقى . وبروحية ومعدية سلفهم ، الاتحاد الوطني للعمال ، اتجهوا بنشاط لتنظيم ليس فقط العمال المتعلمين ، بل وايضا غير المتعلمين والنساء والزنوج . وحققوا في الجنوب عملا جيدا ، فقد كانت في عضوية فرسان العمل نسبة من الزنوج تبلغ ١٠٪ .

فالمنظمة التى كانت ، فى البداية ، تحيط نفسها بالغموض وبالطقوس المعقدة ، القت ذلك جانبا عام ١٨٨١ ، واصبحت نشطة جدا بين الجماهير . فقادت اضرابات عديدة ودخلت فى الصراع الطبقي بقوة رغم حقيقة كون قيادة فرسان العمل . وخصوصا المعلم (الاسطة) الكبير . ت.ف.بودرلى ، كانت ضد مثل تلك الاعمال بعنف . لقد حاول بودرلى ، وهو مثال نموذجى للقائد العمالى المباع والخاضع للتأثير الرأسمالى ، ان يوقف الاعضاء عن النضال ، والح على السير بخط التعاونيات الانتاجية ، والاصلاح النقدى ، والاصلاح الزراعى ، وبتحريك غير متطرف ، وبضرائب سهلة . وبينما كانت منظمة فرسان العمل منظمة كفاحية ، الا ان بودرلى بشر ، كالواعظ ، بجمع المصالح بين الرأسمال والعمل . واعلن « بان مالكي الرأسمال ليسوا اعداءنا » . كما اكد فونر ، فان الخلاف الفكرى بين الاعضاء الراديكاليين

البسطاء وبين القيادة المحافظة حول الاهداف كان ذا مفعول حاسم على تركيب فرسان العمل • ان خيانة بودرلى اثناء الاضـراب الكبير من اجل يوم عمل من ثمان ساعات عام ١٨٨٦ ، كان لهـا تأثيرات تخريبية على فرسان العمل الذين وافقـوا على سياسـته الانشقاقية • فاصيبت المنظمة بضربة موجعة عميقة بسبب تجاهل قيادتها دور العمال غير المتعلمين • وكما بين فونر ، فان منظمة فرسان العمل كان لديها عدد كبير من العمال المتعلمين ، الذين كونـت روابطهم المهنية القومية تنظيمها • ولكن بودرلى ما انفك يعتبـر ان الدور المهم هو للعمال المتعلمين فى الصناعـة •• واوضح ان « الآلة التى توفر القوى تجعل موقف الميكانيكيين كموقف الاجير اليومي ، وسرعان ما تصفهم في صف واحـد »(١٣) • ولهـذا فقـد ابتعدت نقابات العمال المتعلمين عن فرسان العمل ، وطورت حركة خاصة سرعان ما اصبحت معادية وقد ادى ذلك بمرور الوقت الى تكوين الاتحاد الامريكى للعمال •

تأسس الاتحاد الامريكى للعمال فى ١٥ تشرين الثانى ١٨٨١ بمدينة بنسبورك من اتحاد ستة نقابات مهنية هى نقابات : نقاشى الابنية ، ونجارى الانشاءات ، والصاغة ، وعمال الزجاج ، وصناعة السجاير ، ونقابـة عمال الحديد والصلب والقصدير ، وبلغـت عضويتها كلها ٥٠٠٠٠ • وبالنظر للدور الكبير الذى لعبه فرسان العمل فان المنظمة لم تكون جذبا حقيقيـا ، ولكن اضراب ١٨٨٦ الكبير الذي نظمه الاتحاد الامريكي للعمـال ، والذي عمـل قـادة فرسان العمل لضربه ، جعله ذا اهمية لا تقل عن اهمية فرسان العمل• وسادت بعد ذلك ، ولمدة طويلة ، عـلاقات صداقية بين المنظمتين ، وبذلت الجهود لتوحيدهما • ولكن الجهود فشلت وصفيت المنظمتين قبل تمكنها من تحقيق ذلك ، وكانت التصفية بالنسبة لفرسـان العمل خاصة ، شاملة وتامة •

منذ البداية ادعى الاتحاد الامريكي للعمـال بحقه في تمثيـل العمال الكنديين • وكان هدف قادته تحويل المنظمة المركزيـة فـى البلد الجار الى رابطة عمال ولاية من الولايات المتحدة الامريـكية ، فبعد تأسيس رابطة العمال والمهنيين الكندية ببضعة اعوام ، اى فى عام ١٩٠٢ ، انكر الاتحاد الامريكي للعمال على تلك المنظمة حقهـا

بتأسيس نقابات على الارض الاتحادية والمحلية ، واعطى لنقاباتـه الدولية الخاصة الحق الكامل في الاستقلال الذاتي بكندا[١٤] . وقد اصطدمت النقابات الكندية داخل الاتحاد الامريكى للعمال باستمرار مع قادته حول مسألة حقهم بقيادة شؤونهم الخاصة وكانت تلك الحالة واحدة من حالتين (الاخرى ايرلندة) سيطرت فيها نقابات بلد على نقابات بلد جار ومستقل .

وكان صاموئيل غومبرس ، وهو واحد من المهاجرين اليهود وصانع سيكاير من لندن ، الرأس القائد للأتحاد الامريكى للعمال . وكانت امام نظر غومبرس وجماعته عند تأسيس الاتحاد ، فكرة جعله شكلا من اشكال التنظيم يختلف تماما عن منظمة فرسان العمل . وكان مثلهم هو الحركة النقابية البريطانية التى اعتمدت انذاك على العمال المتعلمين بصورة شاملة ، وعملت سوية مع ارباب العمل على حساب الطبقة العاملة بكاملها . وعمل لجعل خطها السياسى وكأنها جناح عمالى للحزب الليبرالى . وكان النظام الداخلى للأتحاد مستنسخا كلمة كلمة من مؤتمر النقابات البريطانية[١٥] ، وكانت الهيئة القيادية للاتحاد الجديد ولجنته التشريعية صورة طبق الاصل من اللجنة البرلمانية للمنظمة البريطانية . ولسنين طويلة اتجه تصور الاتحاد الامريكى للعمال لتكوين علاقات دولية مع النقابات البريطانية تمثلت بتبادل الوفود والاشتراك فى المؤتمرات القومية .

كان غومبرس ، وماك غوير ، وشتراسر ، ولاورل واخرون غيرهم من مؤسسي الاتحاد الامريكي للعمال ، اشتراكيين قدماء ، او هكذا سموا انفسهم . فغومبرس نفسه اعلن مرة بانه تعلم الالمانية ليستطيع دراسة مؤلفات ماركس بنصها الاصلى . وقال ايضا « ان رأيي مع الافكار المتقدمة ، وبالاخص مع الاهداف النهائية المتضمنة الغاء نظام الاجر »[١٦] . ووصف انجلس وزورغه باصدقائه ، وتحدث عن ماركس باعجاب شديد . وفى رسالة له الى فكتور ديلاهي قال بانه يبحث في تكوين المنظمة التي تهدف الى التحرير النهائي لبروليتاريا العالم »[١٧] . ان نصف المعرفة الماركسية لدى غومبرس واصدقائه ادت بهم الى وضع تسوده

اخطاء مهلكة ، وخصوصا تلك التى اخذوها من قادة فرسان العمل « الامريكية » (منها الاعجاب السابق بالجمعيات التعاونية، والاصلاح النقدي والزراعي ، والاداة العجيبة للضرائب السهلة) ٠ في نحو ١٩٠٠ بلغ عدد اعضاء الاتحاد الامريكى للعمال ٥٤٨٣٢١ عضوا ٠ وكان قد حصل على نمو سريع في هذا المجال ٠ أما فرسان العمل فقد ماتوا عمليا فى نهاية القرن ضحية الاخطاء الفاحشة لقيادتهم (كان لديهم عام ١٩٠٠ ، ١٠٠٠٠٠ عضو فقط) ٠ اما بودرلي نفسه فقد غلب من قبل الجناح اليسارى لفرسان العمل ، وقضى بقية حياته كبيروقراطي صغير في خدمة الحكومة الاتحادية(١٨) ٠

فى بداية حياته دلل الاتحاد الامريكى للعمال على روحية نضالية وطبقية جديرة بالاحترام ، فقد ولد فى غمرة النضالات المعادية للرأسماليين ولكن منظمته تحولت في حوالي عام ١٨٩٠ الى العمال المتعلمين بشكل رئيس ، وعملت على قاعدة الانسجام المصلحي بين الرأسماليين والعمال ، بل وساوت بينهما ، وسارت على طريق ابعاد العمال غير المتعلمين والزنوج والنساء ، وانزلقت في طريق النضال ضد الاشتراكية ، وضد حزب العمال ، وعملت على تسهيل قهر العمال بظل النظام الرأسمالى ، واقتصرت مطاليبها للطبقة العاملة على اشياء عمومية وتافهة ، والتى ظنوا انها نافعة للعمال المتعلمين ٠ لقد اتخذ قادة الاتحاد الامريكي للعمال ذلك النهج المشين ، وساروا به ابعد مما هو في بريطانيا العظمى او في اي بلد اخر متطور ، بسبب الرشوة الشخصية والمنافع الخاصة ٠ وسرعان ما اصبح نهج غومبرس في كل العالم ، رمزا لكل ما هو مباع ورجعى فى الحركة العمالية ٠

دور الماركسيين

كان حزب العمال الاشتراكي في الفترة من ١٨٧٦ ـ ١٩٠٠ اهم منظمة سياسية للماركسيين الامريكيين ٠ وعلى الرغم من قلة عدد اعضائه ، ومن نقاط ضعف ايديولوجي مختلفة فيه ، لعب فى كثير من النضالات الاقتصادية والسياسية الحادة خلال تلك السنين دورا مهما جدا ٠ وكان اغلب اعضائه عمالا مهاجرين كونوا المادة الرئيسية لقوى العمل فى الصناعات الهامة ، وقد جلبوا معهم الافكار الراديكالية التي تعرفوا عليها في اوربا الى

وطنهم الجديد • وعكسوا تلك الراديكالية في النضالات اليائسة التي خاضوها ضد رأسماليي امريكا الجشعين في سبيل هدف مناسب جدا •

لقد وجدت في صفوف العمال ايديولوجيات غريبة مختلفة — فضلا عن الانحرافات المحلية لصراخ السوق على نقد وارض وعلى ضرائب سهلة ، وكذلك الشوفينية البيضاء تجاه الزنوج — فناضل الماركسيون ضدها • وكانت اللاسالية ، التى جلبها عمال المان مهاجرون آخرها • وكان هذا الانحراف ، بتصوره للحركة النقابية ، مصدرا للنضال مدة طويلة ، ليس داخل الاتحاد الامريكى للعمال وفرسان العمل فقط ، بل داخل حزب العمال الاشتراكي ايضا وقد دعم غومبرس الماركسيين في نضالهم ، وحضي ، لاتخاذه ذلك الموقف الصحيح في مجال النقابات في السبعينات والثمانينات على اطراء وتثمين ماركس وانجلس وزورغه ومناضلين اخرين في الجناح اليساري(١٩) •

ولعبت تعاليم باكونين ، وهى الأسفين الذى شق الاممية الاولى ، فى الولايات المتحدة ايضا ، دورها السلبى • وبواسطة جوهان موست ، باعتباره المعبر البليغ عن وجهات نظر تلك التعاليم، استطاع الباكونينيون من الحصول على سيطرة قوية فى شيكاغو وبتسبورغ وغيرها من المدن خلال الثمانينات • وشقوا حزب العمال الاشتراكي • وسببت تراجيدية هوي ماركت لتعاليم باكونين ضربة قوية ، وحمل نمو النقابات وزيادة الاعمال السياسية معهم ضعفا لها اكثر فاكثر •

وكان الانحراف الاشد خطرا ، والذي ناضل العمال وبالاخص الماركسيين ضده حينذاك ، يتمثل بدعوة النقابية الخالصة لغومبرس• وكان التأثير البرجوازى على الحركة العمالية يجد فى تلك الدعوة تعبيره الواضح • وفى حوالى عام ١٩٠٠ تطورت تلك الانتهازية اليمينية كثيرا ، وكونت بالفعل ، العائق الرئيس فى صفوف العمال بوجه تطور حركة عمالية قوية ومتقدمة •

وكانت احدى نقاط الضعف الجدية الكثيرة للماركسيين الاوائل ، هو الانعطاف الانعزالى لدى الاشتراكيين المولودين فى الخارج ، خصوصا لدى الالمان الذين وقفوا بعيدا عن النضالات العامة

للعمال ، واشغلوا انفسهم بصورة رئيسية بشؤون مجموعاتهم القومية الخاصة فقط ٠ وقد هب انجلس ، الذى تابع تطور الحركة العمالية الامريكية بانتباه ، ضد ذلك الموقف الذاتي الانعزالي ، والح باستمرار علىضرورة الاشتراك بكل الحركات الاقتصادية والسياسية للعمال(٢٠) ٠

وزادت تلك الانعزالية المتأصلة باشكال جديدة ، خطورة بسبب دخول الماركسى المزيف دانيال دى ليون فى قيادة حزب العمال الاشتراكى عام ١٨٩٠ ٠ كان دى ليون مثقفا موهوبا ٠ وقد بدأ على الفور بتطوير وجهة نظر وسياسةفوق اليسارية وفوق الثورية ، فدعا العمال الى نبذ المنظمات الجماهيرية النقابية مع فلسفتها البدائية وقادتها المفسدين ، والى تكوين نقابات صناعية ثورية حقا واعتبر جميع النضالات اصلاحات سياسية مضرة بالعمال ، ومن وجهة نظره فقد قدم مطلبا واحدا فقط للعمال هو : الثورة البروليتارية وقاوم بعنف جميع الاتجاهات الداعية لتكوين حزب عمالى ، ووقف ضد اى شكل من اشكال العمل المشترك بين العمال والفلاحين المناضلين ٠ اما المسألة الزنجية لدى دى ليون فكانت ببساطة غير موجودة ، رغم ان محاكمات اعتباطية رهيبة كانت تحدث كل اسبوع فى الجنوب حينذاك ، ويقاسى الزنوج فى البلاد كلها من جور واستغلال بشعين(٢١) ٠

ان انعزالية دى ليون الضيقة الافق ، تقدمت بجمود تحت قناع الماركسية ، واستندت على سيطرة بيروقراطية فى حزب العمال الاشتراكى فأستوجبت معارضة فورية حازمة ٠ ان الحركة الاشتراكية الامريكية ، التى سعت فى تلك الفترة ، للأشتراك النشيط فى النضالات الاقتصادية والسياسية الشاملة للطبقة العاملة ، لم تترك نفسها طويلا مقيدة من قبل الانعزالي دي ليون ، وكانت النتيجة الحتمية لذلك ، انشقاق الحزب عام ١٩٠٠ ٠ وقد مهد ذلك الطريق لتأسيس الحزب الاشتراكى بعد عام بقيادة موريس هلكفايت واي٠ ف٠ ديبس وفكتور بيرغر ٠

١٧ـ المجتمع العمالي المنظم في فرنسا ، ايطاليا واسبانيا ١٨٧٦ـ١٩٠٠

بعد الهزيمة المرة التي منيت بها الطبقة العاملة الفرنسية بسبب انهيار كومونة باريس عام ١٨٧١ (انظر القسم الثامن) بدأ العمال يبنون ببطء شديد نقاباتهم من جديد . وابتداءا من عام ١٨٧٦ عادت المؤتمرات العمالية الوطنية تعقد كل سنة . وقد تمت اعادة خلق النقابات وسط ظروف جديدة مناسبة ، صناعة متوسعة وطبقة عاملة متنامية . ورغم ان انتاج المواد الكمالية ظل يحتل المركز الرئيسي في الاقتصاد الفرنسي ، الا ان نهوضا جوهريا حصل في الصناعة الثقيلة ايضا ، فازداد انتاج الحديد من ٣٨٣٫٠٠٠ طن في عام ١٨٨٠ الى ٤٫٦٣٠٫٠٠٠ طن في ١٩١٣(١) .

نمو النقابات الفرنسية

ان احصاءات العضوية النقابية لذلك العقد هي احصاءات لا يعتمد عليها كثيرا . ففي ١٨٩٠ سجلت تلك الاحصاءات ١٣٨٫٦٩٢ كعدد للأعضاء النقابيين ، ولكن ذلك العدد ارتفع عام ١٨٩٤ الى ٤٠٣٫٤٤٠(٢) . وكان مجموع النقابيين فى فرنسا عام ١٩١٢ ، ١٫٠٦٤٫٠٠٠ عضو ، من بينهم حوالي ٤٠٠٫٠٠٠ عضو في اتحاد النقابات الفرنسي العام (سي. ج. ت) . وحصلت النقابات اعتبارا من عام ١٨٨٤ على الحق الشرعي فى التنظيم .

لقد سارت النقابات المحلية الفرنسية في تطوير اشكال تنظيمية عالية على الطريق المألوف لبناء اتحادات وطنية ومحلية ، وكوّن صانعو القبعات عام ١٨٧٩ أول اتحاد وطني ، او نقابة ، وتبعهم عام ١٨٨١ الطباعون و ١٨٨٣ عمال المناجم . واصبحت في عام ١٩١٠ ، ٦٦ منظمة وطنية قائمة ، من بينها اتحادات مهنية ونقابات صناعية(٣) . ولكن الاتحادات المحلية والقطرية ، اي ما سميت **بالبورصات العمالية** bourses do travail نالت في بدايات الحركة النقابية الفرنسية اهمية كبرى .

لقد اخذت البورصات الفرنسية على عاتقها واجبات بعيدة المدى ، وامتلكت نفوذا نقابيا اكبر مما نالت المجالس العمالية

المركزية فى البلدان الانكلو ـ امريكية • فخصصت اعتمادات مالية للبطالة وللحوادث ولضمانات اجتماعية اخرى ، وعملت كمكاتب لتشغيل العمال ، وكان لديها مكتبات ومكاتب استعلامات ودور راحة ومحلات لاعداد العمال مهنيا ، ونظمت فروع للنقابات في الاحياء ، وطورت العمل الاحصائى ، وشنت الاضرابات • وتلقت البورصات الدعم المالي من الادارات المحلية في المدن • ولهذا اهتم العمال بالبورصات في المرحلة الاولى للحركة اكثر بكثير من اهتمامهم بالاتحادات الوطنية •

وتمثلت اول محاولة لتأسيس حركة عمالية فرنسية عامة للأتحاد الوطنى للنقابات الذى تأسس عام ١٨٨٦ وبالروابط العمالية كذلك • وكانت تلك الحركة بقيادة Jules Guesde وهو اشتراكي ماركسي بنهج « يساري » عنيف • وتكمن وجهة نظره حول النقابات ، فى الجوهر، بكونها يجب ان تخدم الحزب الاشتراكى بشكل نهائى وتتحول الى كتائب مساعدة له وتزوده بالأعضاء وبالنقود • وتحت سيطرته الضاغطة اصطدمت المنظمة الوطنية الجديدة بالعمال ، وانتهت بسبب ذلك عام ١٨٩٤ •

وكانت البورصات المحلية التى اثبتت فاعليتها فى الحياة اول منظمة نقابية وطنية ناجحة • وقد تأسست اول بورصة فى باريس عام ١٨٨٧ وتبعها بسرعة مذهلة تأسيس منظمات مثلها فى نيم ، مارسيليا ، سانت اتين ، ومدن أخرى • ووجدت في عام ١٨٩٢ ، ١٤ بورصة وفي عام ١٨٩٨ ، ٧٤ وعام ١٩٠٨ اصبح عددها ١٥٧ بورصة • لقد نظمت البورصات نفسها على النطاق القطري باتحاد بورصات العمال عام ١٨٨٢ وذلك باجتماع عقد فى سانت اتين(٤) • وكان قائد تلك الحركة هو (فيرناند بيلوتيه) الذي توفي مارسيليا ، سانت اتين ، ومدن اخرى • ووجدت في عام ١٨٩٢ ، ١٤ عام ١٩٠١(٥) •

وتكللت الجهود بمرور الوقت بتكوين منظمة عامة للحركة النقابية بمجموعها • وتمثل ذلك بانشاء اتحاد النقابات الفرنسى العام (سى •ج•ت) فى مدينة Limoges • وبذلك اصبحت فى فرنسا منظمتان وطنيتان ، واحدة تمثلت بالبورصات المحلية والاخرى بالاتحادات الوطنية ، وهي الاولى والاكبر اهمية • وقد ادت

تلك الوضعية المزدوجة في النهاية ، اي في المؤتمر العام المنعقد عـام ١٩٠٢ ، الى انضمام البورصات الى الـ سي· ج· ت · ولكنهما بقيتا رغم ذلك بعيدتان عمليا عن بعضهما حيث احتفظت كل منظمـة بخواصها· وحتى عام ١٩١٢ ظلت الـ سي· ج· ت متكونة من قطاعين، البورصـات والاتحـادات ، ومن سكرتيرين اثنـين بصلاحيتين · وعقدت كل مجموعة مؤتمراتها الوطنية وكونفرنساتها الخاصـة ، ولكنهما بالمقابل كانتا تجتمعان سوية في المؤتمرات السنوية العامـة للـ سي· ج· ت ·

تطور السنديكالية ـ الفوضوية الفرنسية

بدأت الصفات الخاصة للسنديـكالية ـ الفوضوية ، التيار السائد في الحركة النقابية الفرنسية ، تتوضح بعد عام ١٨٩٥ ، وذلك عندما طالب بيلوتيـه الفوضويين بالدخول في النقـابات ، وقد فعلوا ذلك بدورهم ايضا · وتمت الوحدة النقابية على اسس هي : أ ـ توحيد التركيب النقابي (بما فيه وجهة النظر عن النضال اليومي للعمال وعن اسس المجتمع المقبل) ، ب ـ الفلسفة الفوضوية حول المجتمع واسلوب العمل والتنظيم ، ج ـ تحريف التعاليـم الماركسية حول الصراع الطبقي ، د ـ تشويه التقاليد الثوريـة الفرنسية · وقد برهنت التجربة بعد حين ، وخاصة عندما وضعت السنديكالية ـ الفوضوية على المحك العسير ابان الحرب العالمية الاولى والموقف من الثورة الروسية ، بانها شكل آخر من الانتهازية دخلت تحت واجهة من التعابير الثورية ·

لقد وضع السنديكاليون ـ الفوضويون كامل ثقتهم بالنقابات وبالاعمال النقابية فقط · وكانوا عند رأي يتلخص في ، ان النقابات، او السنديكات ، هي المنظمة الوحيدة للطبقة العاملة ، ووحدها فقط تستطيع تنفيذ مصالح العمال · واعتبروا النقابات ، ليسـت كمنظمات نضالية للطبقة العاملة في سبيل الدفاع عن مطاليبهـا اليومية فقط ، بل وايضا كمنظمات انتاج الغد ، اي بعد التغلب على الرأسمالية · ولم تكن جديدة وجهة النظر تلك فقد انتشـرت في ايام حركة آوين في انكلترا (انظر القسم الرابع) وانتسب لهـا

برنامج باكونين فى الاممية الاولى ايضا • وتكشفت بالتدريج ومن خلال الصراع الطبقى كفكرة طوبائية •

كانت السنديكالية الفرنسية ضد اي عمل سياسي ، نبذت جميع الاحزاب السياسية ورفضت اية مساهمة فى الانتخابات والبرلمانات• ان جملة من العوامل تعاونت فى تكوين ذلك النهج الفوضوى الخاطىء • ان غوسيد Guesde وقادة اشتراكيون آخرون ، في تلك الفترة ، قدروا النقابات تقديرا عاليا ، وبالمقابل أسيء الظن بشكل السياسيين من بين العمال • وفضلا عن ذلك فقد انقسمت صفوف الاشتراكيين حينذاك بشدة ، فوجدت في عام ١٨٩٩ خمسة احزاب اشتراكية مختلفة ، حملت جميعها خلافاتها الى النقابات (عكست حالة الانقسام السائدة فيها الى النقابات) • وازدادت الحالة سوءا بدخول الاشتراكي الانتهازى اليمينى ميلران فى حكومة والدك روشيه البرجوازية فى عام ١٨٩٩ • وقد هز ذلك الخائن الاممية الثانية باجمعها بابعاده الحركة النقابية الفرنسية عن السياسة اكثر • وكان السنديكاليون ـ الفوضويون يدعون لعدم الدخول في انسلطة وينادون بوجوب تحطيمها تماما بواسطة الاعمال المباشرة من خارجها •

ان السنديكاليين ـ الفوضويين عملوا فى مجرى النضال اليومى للعمال بسلاح الاضراب ، ومارسوه بقوة • وعلى هذا تمسكوا بممارسة اسلوب المقاطعة واتجهوا نحو التخريب (سابوتاج) • والتخريب يعنى فى العموم « انتاج قليل للنقد القليل » ، واتخذت حركة العمل البطيء في كثير من البلدان اشكالا متنوعة واصبحت تقليدا في المنظمة العمالية • ولكن النقابات الفرنسية لم تتردد عن القيام بالاضراب الضروري وسلكت مختلف السبل « لجعل الآلة مضربة » ايضا • وكان ذلك التطبيق معروفا ومنذ زمن بعيد ايضا فى الحركة العمالية لشتى البلدان ، ومنها اتحاد العمال الامريكي • ان السنديكاليين الفرنسيين دافعوا في نضالهم ضد ارباب العمل القساة ، الذين حاولوا اخضاعهم بواسطة التجويع ومارسوا ضدهم القوة المسلحة مستخدمين الحكومات الرجعية التى هى اداتهم • ودافعوا عن اسلوب التخريب بوصفه سلاحا مشروعا للعمال فى النضال الطبقى • ففى مؤتمر ال سى•ج•ت

المنعقد عام ١٩٠٠ كان ١١٧ مندوبا قد صوتوا الى جانب اسلوب التخريب بينما عارضه ٧٦ مندوبا(٦) ٠

اعتمد السنديكاليون الفرنسيون مبدأ « الاقليـــة المقاتلة » ٠ اى المجموعة الصغيرة من العمال التى تتصف بالجرأة والشجاعة والفاعلية ، « النخبة الصغيرة التي تركز حولها كل الجمـاهير » ٠ وحددوا لتلك الاقلية المقاتلة واجبا هو ، وضع الطبقة العاملة فـى حركة شبيهة بحركة التخريب وعينوا لها هدفا ابعد ، هو ، النضال فى سبيل كل العمال ٠ وركنوا بقوة الى وجهة النظر الفوضوية عن العفوية وعملوا مباشرة ضد بناء نقابات قويـة وضد تطوير ضبط متين ٠

ان السنديكاليين ـ الفوضويين الذين خصـــوا انفسهـــم في العموم على الاعمال الجماهيرية للنقابات العريضة لم يحصلوا من ارهاب الفوضوية الذاتى شيئا ٠ فاسلوب القاء القنابل ، الـذى لعب دورا كبيرا فى الحركة الفوضوية خلال الثمانينات والتسعينات، رفض في الحركة السنديكالية واعتبر ذلك نجاحا جديدا للتأثيرات الماركسية ٠

ان السلاح العظيم ، الذى اراد السنديكاليون بمساعدتـــه التغلب على الرأسمالية نهائيا ، كان الاضراب العـــام ، والذي مـــن اجله دخل الفوضويون منذ زمن بعيد فى مؤتمرات الاممية الاولــى والثانية٠ وقد اعلن اتحاد البورصات عام١٨٩٤ بان تعطيل العمل التام هو الثورة »(٧) ، واشار القائدان النقابيـــان البارزان باتود بوغست فى كتابهما « **كيف سنصنع الثـــورة** » الى ذلك، وبحثوا كيف ان النقابات الفرنسية آنذاك فكرت بتصفية الرأسماليـــة من خـــلال اضراب عام ٠ واظهر ذلك الكتاب تقديرا كبيرا لقوة النقـــابات في الاضراب ، وكذلك تقديرا لقوة نضال الدولة الرأسمالية في ازمـــة مماثلة ٠ وقد استطاع العمال الفرنسيون القضاء على ذلك البرنامج الذى سينهى الرأسماليـــة من خـــلال اضراب عام بسبـب ثورات خلفوها وراءهم في اعوام ١٧٨٩ ، ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ ، ١٨٧١ ٠

واتخذت التكتلات الاشتراكية المختلفة فى فرنسا موقفـــا متباينا بخصوص السنديكاليـــة ٠ فالتيار الماركسي الرئيسي التف حـــول Jules Guesde الذي بقي في الحرب العالميـــة الاولى ،

سياسيا ، على الخط ، وكان ضد اى مفهوم سنديكالى بوضوح تام.
وفى عام ١٩٠٥ توحدت الاحزاب الاشتراكية الخمس بحزب واحد .
ولكن ذلك الحزب الموحد لم يستطع كسب رضا العمال
والـ سي. ج. ت . الا ان الاشتراكيين كونوا في جميع مؤتمرات
الـ سي. ج. ت اقلية ذات تأثير كبير وناضلوا من اجل سياسة العمل
السياسى ومن اجل خط ماركسى عام فى نضالهم .
يمكن القول عن السنديكالية الفرنسية بانها وصلت عام
١٩٠٦ ، في مؤتمر الـ سي. ج. ت المنعقد في مدينة اميّن
الى النضج التام. ففي ذلك الاجتماع اعلنت السنديكالية عن نفسها لاول
مرة باعتبارها انعطافا خاصا في المجتمع العمالي . واوضح احد المندوبين،
لاتابيه ، يقول : « لقد قيل الكثير عن وجود اشتراكيين وفوضويين
فقط . وغاب عن الانظار خصوصا ، ان سنديكاليين ايضا موجودون
هنا ، فالسنديكالية نظرية اجتماعية جديدة » . واشار بيان
مؤتمر اميّن الشهير الذي وضع خطوطه الرئيسية السكرتير
العام لـ سي.ج.ت غريفولس بوضوح ، الى ان الـ سي.ج.ت مستقلة
عن جميع التعاليم السياسية . وقد دافع عن الصراع الطبقي واوضح
بان النقابات « هي اليوم مجموعات مقاومة للطبقة العاملة وستكون في
المستقبل اتحادا لاغراض الانتاج والتوزيع ، وأساسا لاعادة تنظيم
المجتمع»(٨) .
ان العمل النظرى الاساسى فى تطور السنديكالية الفوضوية
الفرنسية انجز للعمال من قبل اعضاء وقادة النقابات بضمنهم
فيرناند بيلوتيه ، فكتور غريفوليه ، اميل بوغيت ، غيورغي
ايفيتوت ، وغيرهم . ولكن عددا كبيرا من المثقفين (ومن بينهم
هنري بيرغسون ، باول لاغاردير ، غوستاف هيرفه ، غيورغس سوريل)
ساهموا ايضا فى تلك الاعمال . وكان سوريل اهم واحد من بينهم
«فمساهمته» الرئيسية تضمنت تجسيد العنف فى الصراع الطبقى
وتحقير الاضراب العام ، ووضع الاشتراكية بمنزلة الاسطورة
الاجتماعية . وهاجم سوريل كثيرا من المبادىء الماركسية . ونشأ
خطه العام بتجديد للماركسية من زاوية «يسارية» . ولم يكن
لتعاليم البرودونيين والباكونينيين مكان في حركة عمالية عصرية ، فلم
تستطع تحريفية باكونين اليمينية الانسجام مع الروحية الثورية

للعمال الفرنسيين • بهذا الشكل الذي ينسجم مع الماركسية الى هذا الحد فقط حاول سوريل ، اعطاء السنديكالية الفوضوية فلسفة جامدة • ومع ذلك فقد وصف سوريل نفسه ، وكذلك بيرنشتاين من قبل ، ماركسيا • وقد فشلت السنديكالية « كنظرية اجتماعية جديدة» وكاتجاه سياسى فى عالم العمال ، ولكن ليس قبل حصولها على اهتمام كبير في اوساط العمال ببلدان شتى • ولابد ان نعود مرة اخرى للتحدث عنها فى اقسام لاحقة •

النقابات الماركسية في ايطاليا

رأينا في القسم التاسع ان الحركة العمالية الايطالية وقفت خلال مرحلتها البدائية فى الخمسينات وفى بداية الستينات تحت قيادة الجمهوريين البرجوازيين ، كما تجسد ذلك في خط ماتسيني • وسارت درجات تطورها التالية ، حتى بداية السبعينات ، حول تعاليم باكونين الفوضوية • ومن هنا اصبحت الماركسية الايديولوجية السياسية السائدة بين العمال والفلاحين الايطاليين المنظمين • وجرى نهوض الماركسية على قاعدة منظمات اقتصادية وسياسية مختلفة ، وتوج بتاسيس حزب اشتراكى واسع واتحاد نقابى قطرى على النمط الكلاسيكى الاوربى السائد حينذاك •

وكان تكوين حزب العمال عام ١٨٨٢ بقيادة س• سي• ياساري واحدا من اهم الخطوات التطورية • فتلك المنظمة طورت ، وحتى انهيارها عام ١٨٨٨ فاعلية جديرة بالاعتبار • وفي نفس الوقت كان الطراز السائد قبلا لحركة الاتحاد المار ذكرها نوع من منظمة نقابية وسياسية متحدة ببرنامج يساري توسعت كثيرا • وكجميع منظمات الطبقة العاملة الاخرى ، فقد اضطهدت الحكومة الاتحاد ايضا وقد اقتبس موسوليني ، بعد جيل ، من ذلك الطراز السابق للحركة العمالية الاصلية ، واسمى ، بدون حق منظمته باتحاد المكافحين (هي منظمة شبه نقابية خدمت ثورة الردة الفاشية) •

لقد كانت الاتحادات (فاسكي) اسلافا مباشرة للحزب الاشتراكى الذي تأسس في جنوا عام ١٨٩٢[٩] • ووافق على انضمام الاتحادات (فاسكي) والنقابات في المناطق الصناعية والزراعية • وقد اصبح القائد الحزبى المعروف فيليبو توراتى بعد ذلك تحريفيا ايطاليا

مشهورا • وصار قائد الجناح اليســـارى ، القوى آنذاك ، آرتورو لابريولا • وحصل الحزب بانتخابات عام ١٨٩٥ ، ٧٧٠٠٠ صوت وفي عام ١٨٩٧ على ١٣٥٠٠٠ صوت •

واتخذت الحركة النقابية بمرور الوقت قالبا معينا فاتبعت ، كما حصل بالنسبة للنقابات في اسبانيا ، النموذج التنظيمى العام للحركة العمالية الفرنسية ، بتأكيدها على البورصات المحلية أو على المجالس العمالية • لقد كان مألوفا فى المجتمع العمالى ، ان تتبـــع حركة عمالية فتية طريقة اخرى قديمة تقف وإياها فى خط واحـــد رثيق • ومثال على ذلك الحركات العمالية في المستعمرات والتوابع البريطانية ، تلك الحركات التى انشأت منظماتها الوطنية على غرار «مؤتمر اتحاد النقابات» ، وفى وسط اوربا اخذت الحركات النقابية الفتيـــة بشكل اعتبادي « لجانها العامـــة » من النموذج الالماني ، وفي ايامنا الحاضرة نستطيع ان نؤكد بان النقابات في الديمقراطيات الشعبية اتبعت في العموم الشكل التنظيمي للنقابات السوفياتية •

لقد تنظمت المجالس العمالية المحلية الايطالية الاولى (كامراديل لافـورو)، وهى نسخـــة من المجـالس العمالية المحلية الفرنســية (البورصات العمالية) ، فى ميلان وتورين وبياكنسا عام ١٨٩١ • وسرعان ماتشكلت غيرها من الاتحادات حيث اصبحت عام ١٩٠١ ٦٠ اتحادا ، استلم الاشتراكيون لدى انشائها القيادة • لقد عقد عام ١٨٩٣ مؤتمر الـ ١٢ مجلسا محليا قائما ، وتكوّن الاتحاد الايطالي للمجالس العمالية المحلية منها • واتخذت المنظمة القطرية الجديدة برنامج عمل انسجم تماما مع الخط العام للمنظمة المماثلة في فرنسا • فبينما نشأت الحركة النقابية في فرنسا بقيادة القوى اليساريـــة ، كانت تلك الحركة في ايطاليا خاضعة للعناصر المحافظة ، ورغم ذلك فقـــد لعبت (الفاسكي) دورا نضاليا هاما • وفي مؤتمر الحزب المنعقد عام ١٨٩٣ نقل أحد قادتها تحيات ٦٥٠٠٠ فلاح منظم ، واعلن كـذلك عن ان (الفاسكي) تضم أكثر من ٣٠٠٠٠٠ عضو بين فلاح وعامل منجم ومصنع •

في عام ١٩٠٢ تكونت سكرتارية المقاومة الفرنسية من اجـــل تجميع شتى العناصر في الحركة النقابية الايطالية على النطاق الوطني وفي تشرين الاول من ١٩٠٦ تكون اتحاد النقابات (الايطالي) العام

(سي ٠ ج ٠ ل) برئاسة رينالدو ريغولا ٠ وتكونت الاكثرية في المؤتمر التأسيسي للـ س٠ ج٠ ل من اشتراكيين يمينيين ، كما وجدت ايضا اقلية متنفذة من فوضويين وسنديكاليين واشتراكيين يساريين ٠ واتخذ المركز القطري الجديد برنامجا ايد فيه الاعمال السياسية ولكنه وقف موقفا مستقلا فيما يخص الاحزاب السياسية ٠ وكانت احدى اهم الصفات للحركة النقابية الايطالية هي الانتباه الذي اعطته منذ البداية لجماهير العمال الزراعيين الذين يعملون في الاقطاعيات الكبرى أو في اللانيفوندیات ٠ وقد تحدث تريدون عن اضراب شارك فيه عام ١٨٩٤ (٣٠٠٠٠٠) عامل زراعي[١٠] ٠ واعلنت الـ س٠ ج٠ ل عام ١٩٠٧ عن عدد اعضائها فذكرت بانهم يبلغون ١٩٠٤٢٢ عضوا وارتفع هذا الرقم عام ١٩١١ الى ٣٨٣٧٧٠[١١] ٠ وقد حصل ذلك النمو في الحركة النقابية وسط تطوير سريع حققته الصناعة الايطالية خلال الفترة من ١٩٠٠ ـ ١٩١٣ ٠

خلال تلك الفترة ناضلت الحركة النقابية في المجال الصناعي والسياسي بشكل اكثر حدة نظرا للاضطهاد والعنف الذي مارسته الحكومة ضد العمال ٠ فقد أعدم في تلك الفترة مئات العمال رميا بالرصاص وسجن الالاف منهم ٠ ولكن موجات الاضرابات ، رغم ذلك ، كبرت وانتشرت في جميع انحاء ايطاليا ٠ ورغم القانون الهادف في جوهره لتصفية النقابات الذي اصدرته الحكومة عام ١٨٩٨ الا ان بناء النقابات والحزب استمر بنجاح ٠ وقد قال انجلس عن تلك المرحلة بان « ايطاليا تجتاز نفس الامتحان الذي ابتليت به المانيا خلال ١٢ عاما من تعسف القانون الاستثنائي (الاجتماعي) ٠ المانيا تغلبت على بسمارك ، وستنتصر ايطاليا على كريسبي »[١٢] ٠ انه تنبوء تحقق فعلا ٠

وكما حصل في البلدان الرومانية عموما ، بدا العمال الايطاليون ايضا يمارسون سلاح الاضراب العام في المجال المحلي والوطني مبكرا ٠ وفعلا فقد بوشر ، كما رأينا سابقا ، بمحاولة من قبل قوى باكونين في السبعينات للقيام باضراب عام ، تلك المحاولة التي تحولت الى انتفاضات جماهيرية ٠ وفي الاعوام التي نتحدث عنها الان ، حدث واحد من اهم النضالات الجماهيرية في جنوا عام ١٩٠٠ ، وكان اضرابا

محليا عاما ، قمع بالقوة . ولكن اكبر معركة طبقية كان الاضـراب العام لعام ١٩٠٤ .

ان ذلك الاضراب العظيم الذي وصفه كروك بـ « واحـد من اعظم الاضرابات في تاريخ الحركة العمالية حتى وقتنا الحاضر »[١٣] . نشأ بسبب الغضب العاصف للطبقة العاملة الذي ولده استخـدام القوة الوحشية من قبل الشرطة والكتائب العسكرية ضد العمـال اثناء الاضرابات . وقد جاءت المبادرة له من المجلس العمالي في مونزا ومايلان وغيرها من المجالس ، وبذلك بدأ النضال الكبير في الخامس من ايلول ١٩٠٤ . واشترك في هذا الاضراب عمال فروع اقتصاديـة عديدة ، فشلت الحياة الاقتصادية للبلاد بدرجة عالية حيث اضرب اكثر من مليون عن العمل . ان الاضراب الذي هو في الجوهر تظاهرة احتجاج ضخمة انتهى في ١٩ أيلول من خلال عمل مشترك للمجالس العمالية المحلية . ولان الحركة العمالية الرسميـة كانت خاضعـة للاصلاحيين ، ولان الاقلية الثورية لم تكن في وضع يمكنها من ممارسة تأثير كامل فقد صفي الاضراب من قبل القادة البيروقراطيين . وقد قال كانديلورو بان الاضراب ترك وراءه انطباعا سيئا لدى العمال[١٤] .

وفي تشرين الاول من عام ١٩٠٧ حصـل ، على اسس قرارات مؤتمر ستوكهولم للاممية الثانية ، تعاون وثيق بين الحزب الاشتراكي وبين الـ س. ج. ل . وقد تطور ذلك التعاون بعد فترة قصيرة الى عقد اتفاق للتوحيد . وكان الغرض من ذلك هو وضع النقابات بشـكل تام تحت التأثير المعرقل للاصلاحيين في الحزب الاشتراكي . واثـار ذلك بالمقابل تزايد نمو معارضة الحركة النقابية السنديكالية .

النقابات في اسبانيا

بعد حل الاممية الاولى عـام ١٨٧٦ تسنى للفوضـويين ان يصبحوا في وضع يمكنهم من الادعاء بوجود حركة عالمية يواصلـون تمثيلهم لها (انظر القسم التاسع) . ففي بضعة بلدان ، بريطانيـا العظمى مثلا تلاشت الفوضوية كقوة فعلية ، في الصـراع الطبقي ، بينما في غيرها ، فرنسا مثلا ، حدث عكس ذلك حيث حلت نفسهـا وتطورت عمليا الى حركة سنديكالية ـ فوضوية . أما في اسبانيـا فقد انسحبت الفوضوية على الحركة العمالية وهي تحمـل وشـائج

بروليتاريا قوية مما كوّن لديها عوامل هامة للاستمرار حتى الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . ان تلك العلاقـة التاريخيـة للفوضوية نتجت من جملة ظروف اسبانية خاصة . من بينها وقبل كل شيء عجز اسبانيا عن تطوير صناعة كبيرة ، وضعف الحـركة الماركسية العام في تلك البلاد .

وكان المركـز الرئيسي للفوضويـة الاسبانيـة منـذ ايام الاممية الاولى هو مدينـة برشلونـة ، مركـز الاقتصـاد الاسباني الضعيف . ففيها سيطر الفوضـويون على الحـركة النقابيـة ، وسعوا بعد ذلك الى تطويرها باتجاه سنديكالي ـ فوضوي . وتوسعت الحركة في الريف حيث وجدت لها موضع قدم بين الفلاحين الفقراء . وفي الربع الاخير من القرن التاسع عشر كانت برشلونة، بسبب الاستغلال البشع القائم والارهاب المتوحش ، مسرحا للاضرابات وللنضـالات السياسية العنيفة . مارست العناصر الفوضوية فيها بشكل ملحوظ وخاصة في التسعينات هجوم القنابل . وكانت المنظمة الفوضويـة القائدة في سنوات تلك المرحلة هي اتحاد العمال الاسباني الذي تأسس عام ١٨٨١ ، حيث كون بعد ذلك عددا من التكتلات المحلية وفي النهاية الاتحاد الفوضوي في ايبرين . ولسنين طويلة كان القسم الاكبر من الحركة النقابية ممنوعا .

أما المركز الرئيس للحركة الماركسية في اسبانيا فقـد كان في مدريد ، المدينة التي لا يوجد فيها الا عدد قليل فقط من البروليتاريا . في عام ١٨٧٩ تأسس الحزب الاشتراكي الاسباني ، وكان قائـده بابلو اغليسياس ، الذي تحول بعد ذلك الى واحد من القادة اليمينيين الاكثر سوءا في الاممية الثانية . وتأسس بمبادرة من الماركسيين أول مركز نقابي حقيقي في نطاق البلاد كلها عام ١٨٨٨ بأسم اتحـاد النقابات العام . وكان لتلك المنظمة عام ١٨٩٠ سبع فروع و ٢٠٠٠ عضو . وفي ١٩٠٠ اصبحت فروعها ١٣٨ فرعا و ٥٠٠٠٠ عضو وعام ١٩١٣ وصل عدد الفروع الى ٣٣١ فرعا وعدد الاعضاء الى ١٤٧٠٠٠ عضو(١٥) .

وبقيت النقابات في منطقة برشلونة مستقلة وتطورت في العموم باتجاه سنديكالي . كما نظم الفوضويون عام ١٩٠٨ ، وتحت تأثير مؤتمر فوضوي عالمي عقد في امستردام ، منظمة اسموها تضـامن

العمال · وأسسوا عام ١٩١٠ اتحاد النقابات الوطني ، وكان انعطافه في الحقيقة نحو السنديكالية اكثر ·

ومن بين النضالات العديدة الحادة التي خاضتها الطبقة العاملة الاسبانية خلال تلك المرحلة ، كان الاضراب العـــام ضد الحـــرب المراكشـــية في ٢٦ تموز ١٩٠٩ · وكان ذلك الاحتجـاج الجمـاهيري المعادي للحرب بقيادة الحزب الاشتراكي ، كما ساهم فيه بشكل فعال اشتراكيـــون وفوضويون وسنديكاليـــون وقوميـــون جمهوريون راديكاليون · وقد دام ذلك الاضراب اسبوعا كاملا تعطلت بسببـــه الخدمات العامة تماما · وكانت برشلونة ، كما هو معتاد ، المركـــز العاصف لذلك الاضراب · وقد اتخذت الحكومة اجراءات عنيفة ضد تلك المظاهرات الجماهيرية المعادية للحرب واستمر الاضطهاد فترة من الزمن ليست قصيرة(١٦) ·



١٨ـ النقابات في بلدان أخرى
١٨٧٦ ـ ١٩١٤

في العقود اللاحقة بعد حل الامية الاولى في ١٨٧٦ حصل توسع للراسمالية في بلدان جديدة عديدة ، وعلى هذا حصل ايضا تطور في اقسام جديدة للحركة النقابية العالمية الآخذة في النمو . لقد تابعنا في الاقسام الاربعة السابقة التطور الذي جرى في البلدان الرأسمالية الهامة ـ بريطانيا العظمى ، الولايات المتحدة ، المانيا ، فرنسا وايطاليا ـ والان نريد ان نلقي نظرة على الوضع النقابي في البلدان الرأسمالية الاخرى .

الحركة النقابية في البلاد المنخفضة والاسكندنافية

تعتبر بلجيكا وهولاندة من البلدان الرأسمالية الاولى ، فقد بدأ تطور النظام الصناعي فيهما ، كما رأينا سابقا ، في نفس الوقت الذي بدأ في انكلترا . وعلى هذا كان نشوء النقابات المهنية فيهما في أواسط القرن التاسع عشر أمرا حتميا . وتبعا لرد الفعل السياسي السائد نمت الحركة النقابية ولكن ببطء شديد . ورغم ذلك فقد استطاع العمال في تلك البلدان ان يلعبوا دورا بارزا في مؤتمرات الامية الاولى . وتمثلوا فيها بواسطة هيئات معروفة مثل : Cesar de Paepe & Domela Nieuwenhuis ، وكانوا أو صاروا بعد ذلك فوضويين . وفي زمن الحرب العالمية الاولى اصبحت الحركة النقابية في كلا البلدين ، وخاصة في بلجيكا المتطورة صناعيا ، منظمات هامة في الحركة العمالية العالمية . وازدادت اهميتها من خلال حقيقة ان هذين البلدين ، ومثلهم البرتغال الصغيرة ، اثرا بدرجة عالية جدا ، متتبعين اثار الامبراطورية البريطانية ، وفهما كيف يضما اليهما ، في المرحلة الكبيرة من الحاقات البلدان من ١٨٧٥ ـ ١٩٠٠ . اجزاء شاسعة من اسيا وافريقيا .

وفي البلدان الاسكندنافية بدأت الرأسمالية بالتطور السريع في كل من الدانمارك ، السويد والنرويج فقط بعد حوالي عام ١٨٨٠ واخذت الدانمارك مركز القيادة في ذلك التطور . أما قبل هذا التاريخ فان نقابات مهنية متشتتة وجدت في تلك البلدان الزراعية . وحتى عام ١٨٩٢ كانت توجد في كوبنهاغن وحدها ٤٤ جمعية حرفية يرجع تأسيسها الى العصر الوسيط ، أما في جميع انحاء الدانمارك فكانت

حتى ذلك التاريخ ما تزال ٢٢٦ جمعية من هذا النوع تعمل بصورة اعتيادية . ان النمو السريع ، ولكن المتأخر ، للنقابات في تلك البلدان جرى على أسس موحدة تقريبا ، ذلك بسبب اوضاعها الخاصة المتشابهة ، حيث لا توجد هناك اقليات عنصرية أو قومية أو دينية من شأنها تعقيد احوال بناء منظماتها الخاصة .

ان اول نقابة تأسست في البلدان الاسكندنافية كانت لعمال الطباعة في كوبنهاغن عام ١٨٧٧ ، وبعد هذا التاريخ مباشرة تم تأسيس عدة نقابات غيرها . وفي ١٨٨٥ اصبحت في السويد ١٠٥ رابطة عمالية محلية تعمل بانتظام ، ولكن هنا كما هو مألوف في غير مكان أيضا ، كون الطباعون أول نقابة وطنية . وتأسس في الدانمارك أول اتحاد مهني وطني عام في ١٨٧٧ ، ولكن الشرطة عمدت الى حله حال تكوينه . وفي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ تأسست اتحادات العمال الوطنية السويدية والنرويجية . ان القوة العددية لتلك الحركات النقابية الثلاث كانت عام ١٩٠٠ كالآتي : الدانمارك ٧٠٠٠٠ عضو ، النرويج ٥٠٠٠ والسويد ٤٤٠٠٠ . وازداد عدد اعضاء تلك المجموعات عام ١٩١٥ على التوالي : ١٣٢٠٠٠ و ٧٦٠٠٠ و ١١١٠٠٠[١] . وجرى تطور النقابات عموما من روابط مهنية الى نقابات صناعية .

لقد خاضت الحركة العمالية فى البلدان الاسكندنافية نضالات عديدة قبل التمكن من تثبيت اقدامها . وكان اهم تلك النضالات هو الاضراب الذى نشب عام ١٩٠٩ فى السويد ، رغم اعتباره من الناحية العملية فاشلا . ان التأثير الايديولوجي للاشتراكي الديمقراطي الالماني ، المجاور والقوي بنفس الوقت ، كان بارزا بدرجة ملحوظة على الحركة العمالية فى البلدان الاسكندنافية ، مما ساعد العمال هناك على تكوين احزاب اشتراكية ديمقراطية قوية ـ ١٨٧١ فى الدانمارك ، ١٨٨٧ فى النرويج و ١٨٨٩ فى السويد . وقد انحرفت النرويج عن النموذج العام السائد ، واسست حزبا عماليا مفتوحا . وفي كل من البلدان الثلاثة نظم العمال حركة تعاونية استهلاكية فعالة . كما نشأ ايضا جناح يسارى مرهوب الجانب فى النقابات والاحزاب الاشتراكية لكل من تلك البلدان الثلاثة . ولكن بعد فشل اضراب عام ١٩٠٩ في السويد ، وبتأثير من ذلك الفشل ، حصل انعطاف لدى القوى اليسارية باتجاه

الفوضوية ـ السنديكالية ، حيث سنتحدث عنه فيما بعد ٠ فالسويدي هجلمار برانتنغ ، وهو قائد اشتراكي اسكندنافي معروف ، صار واحدا من ابرز ممثلى التحريفية البيرنشتاينية ٠

النقابات فى شرق اوربا

قبل الحرب العالمية الاولى ، التي انتهت بانفجارات تورية فى روسيا ، المانيا ، النمسا ـ المجر وفى تركيا ، ونشوء بولونيا ، جيكوسلوفاكيا ، هنغاريا ، يوغوسلافيا وبلدان شرق اوربية اخرى ، كانت بلدان شرق اوربا عموما ما تزال بعد دولا مجزأة ، ولو انها مستقلة سياسيا ، وكانت صناعتها ، مثل بلدان مستعمرة عديدة الرأسمالية المجاورة الكبرى ٠ فالشعوب التى سارت بعد نهاية الحرب العظمى الاولى لتكوين حكوماتها الجديدة ، وجدت نفسها زاقفة كل الوقت تحت الاحذية الحديدية لأربعة امبراطوريات كبرى ٠ ولهذا السبب فان بناء النقابات فيها مر عبر صعوبات سياسية كبيرة ، خصوصا فى المناطق التى كانت خاضعة لروسيا وتركيا ٠ ان تطور الرأسمالية ، ومعها ايضا الحركة العمالية ، كان فى كل تلك المنطقة متأخرا للغاية ، حيث ان روسيا والنمسا ـ المجر وتركيا كانت بدرجة ملحوظة فى مستوى التوابع شبه المستعمرة للأمبراطوريات القوية فى الغرب ، بريطانيا والمانيا وفرنسا ٠

فى روسيا كانت النقابات ، كما هو الحال ايضا بالنسبة لأحزاب العمال والفلاحين ، تمنع وتمارس ضدها دكتاتورية قيصرية بربرية ، تعاقب بالنفي ولاعوام طويلة الى سيبريا ٠ وكما سنرى فى قسم خاص بعد ذلك ، فان نقابات قليلة فقط كانت تعمل علنا قبل ثورة ١٩٠٥ ٠ وينطبق ذلك الوضع على بولونيا وفلندة ومناطق اخرى خاضعة لسيطرة روسيا القيصرية ٠

وفي النمسا ، حيث النظام الاوتوقراطي فيها اقل تسلطا . وجدت في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ـ كما رأينا في السابق ـ نقابات متفرقة ٠ فقد اسس عمال التعدين عام ١٨٩٢ أول رابطة وطنية لهم ، وتكونت ايضا اللجنة العامة للنقابات ٠ وعقد بعد سنة من ذلك اول مؤتمر نقابى عام فى النمسا ٠ وفى ١٩١٢

اصبحت النقــابات الاشتراكيــة الديمقراطيــة تضم ما مجموعه ٤٢٨٣٦٣ عضوا[٢] . اما الحزب الاشتراكي الديمقراطي فتأسس عام ١٨٨٨ . وتحت قيادة أوتوباور وكارل رينير وفكتور ادلر ، كــان للحزب اهمية كبيرة فى حياة الاممية الثانية ، ولكنهم فرضوا عليه فهمهم الانتهازي الخاص عن الماركسية ـ النمساوية الجامدة . ولعبت النقابات الكاثوليكية فى النمسا ، كما فى بعض البلدان الاوربية الاخرى (انظر القسم التالى) دورا مهما .

ان بولونيا ، التي كانت حينذاك مجزأة الى ثلاثــة اقســام وخاضعة الى السيطرة الروسية والالمانية والنمساوية ، عرفت رغم ذلك ان تبني بداية حركة نقابية . خاصة في ذلك القسم من البلاد الخاضع للسيطرة النمساوية . وكانت اول نقابة هى تلك التــى اسسها الطباعون في السبعينات بمدينــة غاليسين . وفي بدايــة القرن العشرين كانت فى الاقسام النمساوية والالمانية من بولونيــا نقابات قوية لعمال المناجم والسكك الحديدية ولعمال مهن اخــرى مختلفة[٣] . ولكن الحركة العمالية البولونية انشقت بعد ذلك على اساس وجهتى النظر الدينية والقومية . اما الحزب الاشتراكــى البولونى فقد تأسس عام ١٨٩٢ .

ان جيكوسلوفاكيا هى بلد اخر من البلدان التى لم تـــكن قائمة قبل الحرب العالمية الاولى . ولكن العمال فى تلك البــلاد وضعوا منذ زمن بعيد ، ١٨٦٧ ، حجر الاساس لحركة نقابيــة ، ولعب الاضطهاد الرأسمالى والقومى الحاد الذى تعرضوا له دورا فى ذلك . وكونوا عام ١٨٧٨ الحزب الاشتراكى و ١٨٩٧ اسسوا مركزهم النقابى المحلى الخاص ، بعد ان رفض حقهم بتقرير المصير ، داخل اتحاد النقابات النمساوى العام . وفى ١٩١٣ بلغ عدد اعضاء النقابات الجيكية ١٠٤٥٧٤[٤] . اما الحركة النقابية الهنغاريــة فقد اتخذت عام ١٨٩٠ من خلال الاضرابات العديدة وتظاهرة ايــار الكبرى، شكلا متميزا . وفى نفس الوقت تأسس الحزب الاشتراكى . كما تم تأسيس مجلس النقابات الهنغارى عام ١٨٩٤ . وفى الفترة من ١٩٠٠ـ١٩٠٥ تم تأسيس نقابات مهنية عديدة . وفى عــام ١٩١٢ كان عدد العمال النقابيين المنضمين الى سكرتارية الاممية للمراكز النقابية المحلية ١١١٩٦٦ نقابيا هنغاريا . وفــى ١٨٩٧

نشبت في هنغاريا اضرابات عامة في ١٩٠٥ و ١٩٠٦ و ١٩٠٧ ، كما حصلت اضرابات مهمة غيرها شملت البلاد كلها ٠

ورغم الاضطهاد العنيف تأسس في بلغاريا عام ١٨٩٤ الحزب الاشتراكي الديمقراطي ٠ وفي نهاية القرن التاسع عشر نمت ايضا بدايات الحركة النقابية ٠ ومنذ ١٨٩٧ كان جورجي ديمتروف ، الذي اصبح معروفا فيما بعد كرئيس للاممية الثالثة ، سكرتيرا لنقابة المتدربين على الطباعة (Drûckerlehrlinge)[٥] ٠ وتحت تأثير الثورة الروسية لعام ١٩٠٥ نشبت في بلغاريا ، خلال السنوات اللاحقة ، اضرابات عديدة لعمال المناجم والنسيج وعمال مهن اخرى ٠ وفي رومانيا واليونان وبلاد الصرب وبلدان البلقان الاخرى نهضت الحركات العمالية الفتية في نفس الوقت تقريبا وبظل شروط صعبة فرضتها الدكتاتوريات في تلك البلدان ٠ ويشير تقرير سكرتارية الاممية للمراكز النقابية المحلية عام ١٩١٢ الى ان مجموع عدد الاعضاء النقابيين المنظمين في تلك البلدان هو : بوزنين - هيرزغوفينا ٥٥٢٢[*] ، كروانيا ٥٥٣٨ ، صربيا ٥٠٠٠ ، رومانيا ٩٧٠٨ ، بلغاريا ١٠٠٠ (عام ١٩١٠)[٦] ٠

النقابات الاولى فى امريكا اللاتينية

بدأ تطور النقابات فى امريكا اللاتينية فى المناطق الشاسعة من وسط وجنوب امريكا وفى جزر الكاريبى قبل بداية القرن العشرين بقليل[٧] ٠ وحدث ذلك على اثر توظيفات لرؤوس الاموال الضخمة للبريطانيين فى تلك البلاد - وظفوا عام ١٨٩١ مبلغا قدره ١٦٧٠٠٠٠٠٠ باون ، وحذا الامريكيون والالمان حذوهم ووظفوا رؤوس اموال ضخمة بعد انتهاء الحرب الاسبانية - الامريكية عام ١٨٩٨ ٠ وقد سبق للعمال الاجراء والفلاحين الفقراء المستغلين ببشاعة ان ساهموا بنشاط في مئات الانتفاضات والثورات التي كانت تشتعل بشكل دوري في بلدان امريكا اللاتينية منذ ان حققت تلك الشعوب ، بواسطة النضال الثورى فى عشرينات القرن

(*) مقاطعتين في جمهورية يوغوسلافيا الشعبية الاتحادية حاليا ٠ المترجم ٠

الماضي ، استقلالها من البرتغال واسبانيا وفرنسا • ولكن عندمـــا حصل الاضطهاد والتسلط الاستعماريين الجديدين بدأ العمـــال تحت وطأته بتطوير الاضرابات المنظمة وبتنظيم النقابـات • وكان مؤسسو النقـــابات في تلك المناطق المترامیـــة الاطراف من امريكا اللاتينية فوضويين وفوضويين ــ سنديكاليين •

ان الرأسماليين وملاكي الارض الكبـــار المندفعين وراء الربح مارسوا ضد الاضرابات ، وخاصة ضد تلك التي تكاد ان تتحول الى انتفاضة ، اقسى انواع العنف • وهكذا قتلوا في اضرابات عمـــال الشيلي عام ١٩٠٧ عدة آلاف من المضربين ، وسقط اكثر من ١٥٠٠ قتيل في الارجنتين ابان الاضــراب العـام « للاسبوع الحزين » في كانون الثاني ١٩١٩ • كما حدثت مذابح مشابهة ضد المضربيـــن استمرت سنوات طويلة • وحسب التقديرات ، فان ٦٨٪ من سكان امريكا اللاتينية كانوا من الملونين ــ هنـود حمـر وزنوج ــ ويعكس تركيب النقابات اختلاف السكان هذا • ولذلك فقد كانت متحررة تماما من النزعة الشوفينية الراديكالية التي مارسها جيم كرو ولطخ بها تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة وفي المستعمـــرات البريطانيـــة

اشارت النقابات في امريكا اللاتينية ، منذ البداية ، الى العمل باسلوب الحركة العمالية في مختلـف المناطق المستعمرة وشبـــه المستعمرة ، اي انها ضمت فضلا عن المهن الاعتيادية للحرف اليدوية المدينية نسبة عالية من العمـــال الزراعيين (عمـــال مزارع السكر الضخمة والقهوة والقطن والموز) وعمال المناجـم والموانيء والنسيج والسكك الحديدية • وقد استطاع عمال امريكا اللاتينية ان يؤسسوا قبل الحرب العالمية الاولى مراكز نقابات وطنية في ، البيرو (١٨٨٤) والارجنتين (١٨٩٠) ، كوبا (١٨٩٠) ، شيلي (١٩٠٩) ، المكسيك (١٩١٢) ، بوليفيا (١٩١٢) وفي السلفادور (١٩١٤)[٨] • وفـــي ١٩٠٩ عقد مؤتمر نقابي في مدينة بوينس ايرس ، وكان سنديكالي المحتوى ، اشتركت فيه ستة بلدان امريكيـة ــ جنوبيـة • ومثـل النقابات نما الحزب الاشتراكي والحركة الفوضوية ــ السنديكاليـة بسرعة ايضا • ...

وقامت في تلك المناطق خلال الثورة التي بدأت في تشرين

الاول عام ١٩١٠، في المكسيك، اكبر حركة نقابيةجماهيرية لتلك الفترة، واستمرت عدة اعوام • ففي عام ١٩١٢ بدأ العمال بتنظيم نقاباتهم ، ولم يمض وقت طويل حتى مارسوا ، سوية مع الفلاحين المناضلين ، بقيادة فيلا وزاباتا تأثيرا حاسما على مجرى الثورة • وفي ١٩١٧ ، أي قبيل الثورة الروسية ، وضع دستور لاجراءات عمل تقدمية ليس لها مثيل في اي مكان من العالم • وفي مجرى النضال الطويل القاسي حقق اتحاد النقابات الاقليمي المكسيكي (كروم) ، المؤسس عام ١٩١٨ ، عددا كبيرا من الاعضاء (حوالى ٢٠٠٠٠٠ر٢) عام ١٩٢٧ ، وكان قسم كبير بينهم من العمال الزراعيين • وعلى هذا فقد اصبح واحدا من اكبر المنظمات بعد اتحاد العمل الامريكي في الولايات المتحدة حيث ضم هو الاخر ٢٨١٢٥٢٦ عضوا في عام ١٩٢٧ •

اما في المستعمرات الاسبانية (الفلبين وكوبا وبورتوريكو) التى استولت الولايات المتحدة عليها بعد الحرب الاسبانية-الامريكية لعام ١٨٩٨ ، واصل السادة الامريكيون سياسة « الأوبن - شوب ، Open - Shop الشهيرة بعدائها للنقابية(*) ، بل وشددوا منها • ورغم ذلك فقد تأسست في الفليبين عام ١٩٠٢ ، وهى البلد الذى نشبت فيه انتفاضات فلاحية عديدة قبل هذا التاريخ ، اول نقابة هى لعمال الطباعة • وتبعها عام ١٩٠٨ تأسيس نقابة عمال السكاير وفى الاول من ايار عام ١٩١٣ ، وحيث اصبح منذ ذلك التاريخ عيدا وطنيا ، تأسست أول منظمة عمالية قومية هي ، مؤتمر عمال الفليبين اما فى كوبا فقد وجدت منذ حوالى ١٨٩٥ ، اى فى فترة السيطرة الاسبانية ، نقابات محلية ضعيفة لعمال السكك الحديدية والسكر والتبوغ • وعقد فى ١٨٩٢ اول مؤتمر عمالى • وقد انشأ العمال بعد بداية الاحتلال الامريكى منظماتهم النقابية الواحدة تلو الاخرى ولكن وسط صعوبات بالغة التعقيد • وفي ١٩٢٠ تأسس أول اتحاد عمالي قومي في كوبا دُعي اتحاد النقابات الوطني الكوبي[١٠] • كذلك بورتوريكو كان لديها فى التسعينات بضعة نقابات محلية •

(★) سياسة الاوبن شوب تعني منح صاحب العمل حق تشغيل العمال غير النقابيين ، الامر الذي يعني محاربه التنظيم النقابي (المترجم) •

وكانت مرتبطة ، كما هو الحال فى كوبا ، بمركز نقابى فى اسبانيا ٠ وفى ١٨٩٨ تأسس اتحاد العمال الاقليمى البورتوريكى ، الذى الحق الحركة النقابية البورتوريكية عام ١٩٠١ باتحاد العمل الامريكى ، على اسس اعتباره اتحاد نقابات فى احدى الولايات ، وكان له صوت واحد فى مؤتمراته القومية(١١) ٠ وقد خاضت النقابات ، وخاصة عمال السكر ، فى كل من المستعمرات الثلاث اضرابات بطولية عديدة قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ٠

بدايات الحركة النقابية الافريقية

ان الحركة النقابية الوحيدة المهمة التى نشأت فى افريقيا قبل الحرب العالميـة الاولى كانت فى اتحاد جنوب افريقيـا ٠ وقد بدأت هذه الحركة فى التطور منذ عام ١٨٨٧ ، اى عندما تأسست نقابـة نجارى العمارات فى مدينة كابستاد(١٢) ٠ ولـكن النقابات لم تتخذ هناك طابعا جماهيريا الا فى العقد الاول من القرن العشرين ، بعد ان دمجت بريطانيا العظمى على اثر قمعها انتفاضة بورن ١٨٩٩ـ١٩٠٢ تلك المنطقة المتناهية الغنى بمناجم الذهب والماس ٠ وتحت ضغط الاستغلال المدمر وممارسة ابشع انواع التسلط الدكتاتورى من قبل شركات المناجم ، بدأ عمال المناجم البيض ، وخصوصا البريطانيون منهم ، بتنظيم انفسهم ٠ وكشىء عام بالنسبـــة للعمال البيض فى لبلدان المستعمرة ، بأستثناء الاقلية اليسارية منهم ، فانهم كانوا يتجاهلون بدرجة تامة الحالة المزرية والمطالب الملحة للجمـــاهير الغفيرة من عمال المناجم الزنوج اصحاب البلاد الاصليين ٠ فالعامل الزنجى فى مناجم يوهانسبورغ كان يتقاضى فى اى وقت من الاوقات ما معدله ثمن ما يتقاضاه عامل المنجم الابيض من اجور(١٣) ٠ وفي روديسيا يتقاضى ، اليوم ايضا ، « عامل منجم النحاس الزنجى مـا معدله ٢١٠ دولارات سنويا ، بينما يتقاضى زميله الابيض ما معداله ٥٦٠٠ دولار سنويا »(١٤) ٠

لقد خاضت نقابة عمال المناجم اضرابات باسلة عديدة ٠ فخلال اضراب عام ١٩١٣ تمكن العمال من السيطرة على مدينة يوهانسبورغ عدة ايام ٠ ولكن ذلك الاضراب التاريخى قمع من قبل الـــكتائب العسكرية الاستعمارية بأمر من سموتس ٠ وبعد سنة من ذلـــك

نشب اضراب عام جديد ولكنه ضرب هو الاخر بواسطة كتائب سموتس العسكرية • واعتقلت السلطات جميع القادة العماليين ، واعدمت العشرات منهم دون محاكمة • وقد بلغ مجموع المعتقلين من العمال المضربين ١٠٠٠٠ (١٥) • وجنبا الى جنب مع زملائهم العمال البيض ناضل ، خلال تلك الفترة ، عمال المناجم السود والهنود بثبات ، ولكنهم بنفس الوقت خاضوا اضرابات عديدة خاصة بهم •

لقد ساءت الحالة المعاشية للعمال البيض ايضا ، ولذلك فكروا بالعمل لتحسينها • اما حالة الزنوج وعمال المناجم الهنود فانها تدهورت بشكل لا يقاس وحالة العمال البيض ، ولكن قادة العمال البيض ظلوا صامتين رغم تزايد المعارضة اليسارية والمطالبة بضرورة المساعدة • ولم يكتف اولئك القادة بالسكوت ، بل عملوا على ابعاد الزنوج من النقابات بعناد فج ، وسعوا لمنعهم من ممارسة التدريب والتأهيل للمهن الفنية • فحزب العمال ، الذى نشأ فى خضم الصراعات الطبقية الحادة ، كان هو الاخر ضد منح حق التصويت للهنود والزنوج • وعلى اساس وجهة النظر تلك تبنى الموقف الشوفينى الضيق منسجما فى منطلقه مع النقابات الاسترالية « استراليا البيضاء » ، ومارس ، مثل العديد من النقابات الامريكية سياسة جيم ـ كرو • وفي السنين الماضية حدثت بعض التغييرات لاستعمالات نقابات افريقيا الجنوبية واطلقوا على انفسهم اسم « الزنبق الابيض » •

العمال الاسيويون بدأوا بالنهوض

فى الفترة السابقة للحرب العالمية الاولى دخلت جماهير الشغيلة الاسيوية في تحرك ملحوظ • فتحت الضغط الاقتصادي والسياسى والعسكرى القاسى الذى مارسته السلطات الاستعمارية ، كانت تلك الجماهير تجوع وتستعبد بشكل يفوق طاقة البشر • وقد تكونت في تلك المناطق الشاسعة ، بمئات ملايينها من السكان ، البرجوازية الوطنية والبروليتاريا ، وبدأتا نضالهما المشترك في سبيل الاستقلال الوطني • وحتى ذلك التاريخ كانت البروليتاريا خاضعة للقيادة السياسية للبرجوازية الوطنية فى تلك البلدان ، ولكنها تحولت الى توجيه ضرباتها فى سبيل مصالحها الطبقية الخاصة

المباشرة ، والتى هى بنفس الوقت ايضا مصالح الامة كلها • وحدثت قبل الحرب العالميــة الاولى اضرابات وصدامات فى الكثير مـــن المستعمرات وشبــه المستعمرات ، ولكن لم يــكن حينذاك قد تــم تأسيس نقابات حقيقية او احزاب عمالية سياسية •

وكانت الهند ، من بين البلدان المستعمرة فــى ذلك الوقت ، متقدمة صناعيا وتحتل فيها طبقتا الرأسماليين والعمال مكانا اكبر وذو تبلور اكثر • ورغم سياسة المستعمرين البريطانيين الموجهـــة اساسا ضد تصنيع البلاد ، فقد نشأت بالتدريج بعض الصناعـات الوطنية • ففى حين كان فى عام ١٨٥٨ لايوجد غير معمل نسيـــج واحد فقط فــى بومبى ، فان عدد المعامل ازداد فيهـا عـام ١٩٠٠ واصبحت ١٩٣ معملا يشتغل فيها ١٦١٠٠٠ عامل • وكان افقـار وتجهيل العمال والفلاحين بظل السلطة البريطانيــة فضيعا ويعجز المرء عن وصفه • وبسبب تلك السياســـة وذلك الاستغلال البشع حدثت ، كما ذكر دات نصا ، ٢١ر٤٠٠ر٠٠٠ وفاة ، كانت المجاعة سببا لأكثرها ، وهذا العدد يساوى ٧٥٪ من مجموع جيل تلـــك الفترة(١٦) •

كانت انتفاضة عام ١٨٥٧ المسلحة الكبرى ضد السلطـــات البريطانيــة فاتحــة لكفاح متواصل خاضــه الشعب الهندى ضــد مضطهديه ، (اطلق البريطانيون اسم انتفاضة سيبوي(*) على تلك الانتفاضة بقصد تشويهها) • ولكن نضال الاستقلال للشعب الهندى بدأ فقط عام ١٨٨٥ ، عام تكوين المؤتمر الوطني الهندي ، يأخذ شكلا جديا • الا ان تلك المنظمة لم تأت طيلة عشرين عاما بخاصية جهادية جديدة ، وفقط فى عام ١٩٠٥ اندفعت بقوة بسبب النهوض الهندى الوطنى الكبير • وكان تأثير الثورة الروسية على نهوض حركـــة التحرر الهندية ذا اهميــة كبرى • وفى تلك الفترة بدأت جماهير الشغيلة من العمال والفلاحين تبرز كقوة سياسية جديدة في الهند • وذكر دوت عن تمردات فلاحية عديدة وعن اضرابات اولية التنظيم قامت بها الطبقة العاملة الجائعة • كما تكلم عن اضراب نشب عام

(*) سيبوي ، جندي هندي من مواليد هيرر البريطانية ـ الهندية سابقـا • (المترجم الالماني) •

١٨٧٧ وقال عن ٢٥ اضراب حدثت خلال الفترة من ١٨٨٢ـ١٨٩٠ فى مقاطعتى بومبى ومدراس وحدهما • وفى ١٨٨٤ اسس عمـــال النسيج في مدينة بومبي اتحادا بهدف حمايـة وانجـاح اضراباتهم • وبعد الثورة الروسية عام ١٩٠٥ نشطت الحركة الاضرابية ونقلت الشرق المستعمر كلـه الى مواقع تحرك ثورى جبـار • فبيـــن ١٩٠٥ـ١٩٠٩ حدثت موجة اضرابات لم يسبق لها مثيل ، قام بها عمال السكك الحديدية والنسيج ، وكان من بينها اضراب الايـــام السته العام الشهير فى مدينة بومبى عام ١٩٠٨ بهدف اطلاق سراح القائد العمالى تيلاك من السجن •

لقـــد جوبهت تلك الحـــركات ، حـــركة المؤتمـــر الوطني وحـــركة العمال الاضرابيـــة ، بمقاومـــة عنيفـــة من قبل السلطات البريطانيـــة • ولكن ذلك الارهـــاب المستشـــرس لم يستطـــع ايقاف تقـــدم الشعب الهنـــدي • وكانت حـــركة الاستقـــلال الوطنى ، التى نمت فى نطاقها المنظمة العمالية ، متجهة لتصفيـــة التسلط البريطاني فى الهند بصورة لا يمكن وقفها •

كذلك فى الصين العظيمة بدأ النضال الجدى المظفر للشعب ضد الدخلاء والمستغلين الاستعماريين يتضح قبل الحرب العالميـــة الاولى • فأنتفاضة تاى ـ بنغ ١٨٥٠ـ١٨٦٦ اضطهدت وقمعـــت بوحشية من قبل القوات العسكريـــة بقيادة الجنرال البريطانـــى ـ « الصيني » غوردن ، ولكنها تركت وراءها جذورا عميقـــة معاديـــة للاستعمار • ومارس البريطانيون نفس الاسلوب القمعي بالنســـبة « لانتفاضة بوكسر » عام ١٩٠٠ ، حيث اغرقتها القوات الاستعمارية المتحدة ، لبريطانيا العظمى ، فرنسا ، المانيا ، روسيا ، اليابـــان والولايات المتحدة ، بالدم • وبعد الثورة الروسية الباسلة لعـــام ١٩٠٥ ، انطلق الشعب الصينى فى نضاله ، مثلـــه كمثل شعوب الهند واوربا ، وكوّن الكومنتانغ القومي في سبيل تحرره وسيادته . وحقق عام ١٩١٢ ، من خلال الثورة البرجوازية الصينية ، انتصارا جزئيا بقيادة صن يات صن •

وفى نطاق حركـــة التحرر الوطنى كان لابد للعمال فـــى المستعمرات من تنظيم نقاباتهم واحزابهم السياسية الخاصة ، بعد ان خضعوا في البداية لقيادة البرجوازية الوطنية ، وكانت قيادتهـم

في الصين يسارية على العموم . لقد اضطر العمال على اتخاذ ذلك الاجراء ، وكان ضروريا لهم في سبيل الدفاع عن مصالحهم الطبقية الخاصة وحماية انفسهم من الاستغلال المباشر للمستعمرين الاجانب، وكذلك من استغلال ملاكي الارض الكبار والرأسماليين المحليين . وقد ادى ذلك الى تقوية الحركة الوطنية العامة بنفس الوقت . وتمكنت الطبقة العاملة بالتحالف مع الفلاحين عزل البرجوازية المتذبذبة ، وبالتدريج استطاعت من استلام قيادة الشعب كله ، وتوجيهه في النضال من اجل الاستقلال الوطني الذي تم عند منتصف القرن العشرين . ان البروليتارية الصناعية الصينية كانت خلال الفترة السابقة للحرب العالمية الاولى ضعيفة عدديا ، وكانت اضراباتها ونضالاتها الاولى تتصف بالبدائية والعفوية ، كما هو الحال ايضا في الهند والهند الصينية واندونوسيا وبرما ومالايا والبلدان المستعمرة الاخرى . ونشأت النقابات المنظمة والاحزاب السياسية العمالية في وقت متأخر(١٧) .

نشوء الحركة العمالية اليابانية

من بين جميع البلدان الاسيوية كلها فان اليابان لم تصبح في يوم من الايام لا مستعمرة ولا شبه مستعمرة ، ولم تخضع للدول الاستعمارية الغربية الساعية وراء النهب والسرقة . ويرجع ذلك بالدرجة الاولى الى سهولة الدفاع عن الجزر اليابانية وبعدها عن اليابسة . ورغم ذلك فان كومودوري بيري استطاع فتح ابواب اليابان المغلقة في عام ١٨٥٣ بالقوة . وعلى الاثر ١٨٥٤-١٨٥٦ اغرق البريطانيون والروس والهولنديون البلاد ببضائعهم ، وسعوا نحو استلام السلطة السياسية هناك . وعمل الجميع لتدبير « حقوق اقليمية خاصة » لأنفسهم . ولكن سرعان ما نشبت الثورة اليابانية (١٨٦٨) ، وكانت نوعا الخطة سياسية مفاجئة قام بها الجناح المتقدم من الارستقراطية الاقطاعية ومن الطبقة الادنى لصغار النبلاء ، وتمكن المايجيون من اسقاط الحكومة التي سيطرت عليها الامبراطورية الشوغونية منذ عام ١١٩٢ . « ان الشيء الوحيد الذي حصل هو ، ان السلطة انتقلت الى ايدي الجناح التقدمي من الارستقراطية الاقطاعية والنبلاء العسكريين الادنى مرتبة . ونشأت بالتدريج

طبقة برجوازية ميركانتيلية (تجارية) في البداية »[١٨] • وقد انجزت الحكومة الجديدة ، تحت ضغط اوضاع متعددة ، جملة من الاصلاحات البرجوازية ، السياسية والاقتصادية •

وبعكس الهند والصين المضطهدتين ، فقد كانت اليابان حرة من التسلط الاستعماري ، مما سمح لها تحقيق تقدم صناعي سريع ، وسارت باتجاه تطور رأسمالي اعتيادي • وكان القسم الاكبر من الرأسمال الاولي ، ولكن الضروري ، قد استحصل بواسطة الحكومة التي القت عبء جمعه من خلال الضرائب على الفلاحين • وقدم ايضا الصيارفة والتجار وملاك الارض الكبار رأسمالا كبيرا • وقامت الحكومة بانشاء معامل نموذجية وباعتها بعد ذلك الى التجار الاغنياء • وتحولت عوائل مثل متسوي وسوميتومو وكونويكه وغيرها من العوائل التجارية القديمة ، الى عوائل صناعية كبيرة بسرعة مذهلة • كذلك نهض رأسماليون « اثرياء جدد » امثال متسوبوشي واوكورا وشيبوزاوا وغيرهم • وصارت التجهيزات الضرورية للمعامل الجديدة بالعمال الاجراء تتم بواسطة « الرياح العاتية لنزع الملكية » من الفلاحين ، خلال فترة الثمانينات والتسعينات • ومن الملاحظ ان الطبقة العاملة الفتية في اليابان كانت تتقاضى حدا اعلى من الاجور هو اوطأ بكثير حتى مما في البلدان المستعمرة ، ومن مميزاتها الخاصة ، انها عقدت تحالفا متينا جدا مع جماهير الفلاحين ، وكانت نسبة العاملات عالية جدا • في عام ١٩١٠ كونت النساء في المعامل نسبة ٧١٪(★)[١٩] • لقد نما النظام الصناعي في اليابان بسرعة مدهشة لا مثيل لها • ففي حين لم يكن فيها عام ١٨٦٠ ولا حتى مصنع واحد لتصنيع القطن ، نشأ حتى عام ١٨٩٠ ، ١٦٢ مصنعا من هذا النوع • وكان من بين الـ ٧١٧١ معملا والتي كانت قائمة عام ١٩٠٠ ، ٤١٥٠ معملا للنسيج ، يعمل منها ٢٣٨٨ ميكانيكيا • وبين ١٩٠٠ـ١٩١٤ ازداد الرأسمال الموظف في الصناعة وفي اعمال البنوك والنقل ثلاثة اضعافه ، كذلك ازدادت الصادرات اليابانية بنفس النسبة • وبعد نضالات طبقية حادة ، شرع عام ١٨٨٩ دستور

(★) يتضح من هذه النسبة انها عالية جدا ، ومن المحتمل ان يقصد فيها المؤلف الى نسبة العاملات في معامل النسيج وليس في الصناعة ككل (المترجم) •

برجوازي ـ وطني ، متخذا من النموذج البروسي شكلا له ، وجرت في عام ١٨٩٠ أول انتخابات عامـــة ، وكان ١٠٪ فقط من مجموع العمـــال يملكون حـق التصويت • وضمن ذلك الاطار الديمقراطي الزائف ظل القيصر في الاساس مطلق الصلاحيات •

على اساس خلفيتها العسكرية تمكنت اليابان من رسم سياسة خارجية عدوانية سرعان ما اتخذت طابعـــا استعماريا واضحـا • فالحقت بها عام ١٨٧٤ جزر ريوكيو ، وعام ١٨٧٨ جزر بونين • وفي عام ١٨٩٥ انتصرت بحربها الهجومية على الصين وفرضت سلطتهـا على كوريا • وشاركت اليابان عام ١٩٠٠ الدول الاستعمارية الاخرى في تحطيم « انتفاضة ـ بوكسر » في الصين • وفي حوالي ١٩٠٥ صارت اليابان ـ ولو أنها بدأت التصنيع بوقت متأخر نسبيا ـ جاهـــزة كدولة استعمارية • ففي تلك السنة بالذات حققت نصـرا عسكريا كبيرا على روسيا القيصرية ، ووسعت بذلك « دائرة نفـــوذها » في الصين • والى جانب انكلترا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة دخلت اليابان عام ١٩١٤ الحرب العالمية الاستعمارية يحدوها تطلع خـــاص بضم ما أمكن ضمه من الاراضي والتجارة الصينيتين اليها •

اخذت الحركة النقابية في اليابان اشكالها الاعتيادية منـــذ الثمانينات ومن خلال اضرابات متعددة شتى • وذكر سن كاتاياما(*) ، المنظم النقابي الرائد والقائد الاشتراكي البارز ، عن حركة نقابيـــة منظمة منذ ١٨٩٧ ، وهو نفس العام الذي اسس فيه عمال صناعـة الحديد في طوكيو أول نقابة في تاريخ اليابان[٢٠] • وتأسست بعـد ذلك التاريخ عدة نقابات منها نقابة عمال السكك الحديدية والطباعين وغيرها • كما نشبت عدة اضرابات جديرة بالاهتمام من بينها الانتفاضة الناجحة الكبرى التي قام بها عمال السكك الحديدية عـام ١٨٩٨ • ان النقابات نمت بسرعة في اليابان ، ولكنها واجهت اضطهادا فظيعا وصل الى ذروته عام ١٩٠٠ • وخلال تلك الاعوام ازداد عدد العمال الصناعيين بسرعة بالغة ، ففي حين كان مجموع العمال عـام ١٩٠٠ (٣٣٨٠٠٠) اصبح عام ١٩١٤ (١٫٠٨٦٫٠٠٠) عامل • ومـــع ذلك التطور المتقدم العام للعمال قام ستة من قادتهم عام ١٩٠١ بتأسيس

(*) سن كاتاياما ـ توفى عام ١٩٣٣ بعد ان صار شيوعيا •

الحزب الاشتراكي · ومن بين اولئك القادة كان سن كاتاياما ودنجيرو كوتوكو واساو آبه · على العموم كانت النقابات بقيادة الاشتراكيين ولكن الفوضويين ـ السنديكاليين كان لهم تأثير كبير فيها وبين صفوف الحزب الاشتراكي ايضا ، خاصة خلال الفترة من ١٩٠٨ ـ ١٩٢٢ ·

تطورت في اليابان مرحلة سميت ، خلال التسعينات ، بالمرحلة « الليبرالية » ، ولكن الحكومة الرجعية لم تتحمل ذلك فهجمت بكل عنف وقسوة على الحركة العمالية ، وعلى جناحها اليساري بصورة خاصة · وأمرت بحل الحزب الاشتراكي ، الذي لم يمض على تأسيسه وقت طويل فتحول الى هيئة تأسيسية(٢١) · وفي ١٩٠٦ أعيد تنظيم الحزب ، ولكن الحكومة أعلنت منعه في ١٩٠٧ مما اضطره للعمل السري مجددا · لقد انتهجت الحكومة وارباب العمل سياسة محاربة الاضرابات بكل ضراوة ووحشية ، وكانت تعتقل في كل مرة جميع قادة الاضراب · وعند نشوب الحرب الاستعمارية ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ضد روسيا ، قاومها الاشتراكيون بكل بسالة وحزم ، وخاض العمال اضرابات عديدة ضد الحرب ولكنها قمعت بوحشية · وفي مؤتمر الاممية الثانية المنعقد عام ١٩٠٤ بمدينة امستردام شد كاتاياما وبليخانوف ، قادة الحزبين الاشتراكيين الياباني والروسي ، على أيدي بعضهما وسط عاصفة من التصفيق والحماس ، وتعهدا امام المندوبين بمواصلة النضال المشترك ضد الحرب بين بلديهما · وفي ١٩١١ اهتز جميع عمال العالم غاضبين بسبب اعدام كوتوكو وأحد عشر مناضلا اخر ، من الجناح اليساري ، في السجن سرا ·

ولما كان دخول اليابان في الحرب العالمية الاولى يعني تشديد الارهاب ضد العمال ، فقد قاومها العمال دون جدوى · وأدى نشوبها فعلا الى كارثة اصابت قوة ووحدة العمال فلم يبق في النقابات بسبب الارهاب غير أقل من ١٠٠٠٠ عضو منظم ·

١٩ـ السكرتارية الاممية للنقابات ١٩٠٠ ـ ١٩١٤

اظهرت النقابات المتطورة فى شتى البلدان ، ومنذ البداية ، اهتماما شديدا لتنظيم نفسها وممارسة نشاطها الاممى • وتعلمت كيف ان الدعم المتبادل فيما بينها خلال الاضرابات يشكل ضرورة كبرى لتحقيق مطاليبها ولاحباط تسلل كاسري الاضرابات عملاء ارباب العمل ، ويعلمها تجارب فى الصراع الطبقى ، ويساعدها فى مسألة انتباحث سوية حول القضايا المشتركة العديدة التى يجابههم بها نظام رأسمالى آخذ فى التوسع دوليا • وبالنسبة لجماهير النقابات ، وليس لقادتها المحافظين ، فان الشعار الاساسي للطبقة العاملة « ياعمال العالم اتحدوا » ، والذى اعلن عنه فى البيان الشيوعي ، صار يحضى بأهتمام كبير منهم •

منذ عهد الحركة الشارتية كانت لدى الاتحادات العمالية فى بريطانيا العظمى اتجاهات أممية قوية ، كما بينت أيضا النقابات الاولى فى فرنسا وبلجيكا وبلدان اخرى عن نفس الاتجاه • ومثلما رأينا سابقا ، فان جمعية العمال الدولية ، الاممية الاولى ، تأسست بمبادرة من العمال البريطانيين والفرنسيين المنظمين • وصارت جريدة مجلس النقابات اللندنى « ذى بيهايف » الجريدة الرسمية لجمعية العمال الدولية • وقد اعطت الاممية الاولى ، خلال فترة وجودها ، اهتماما كبيرا للمسائل النقابية المختلفة ، بحيث جعل ذلك الاهتمام الواسع بالعمل النقابى اوساطا عمالية واسعة تعتقد خطأ بان الاممية الاولى ، والتى هى قبل كل شىء منظمة سياسية ، ما هى الا أممية نقابية •

ورغم ان النقابات الاولى نظرت الى الاممية على اعتبارها منظمتها العامة ، الا ان قرارات الاممية تضمنت ، منذ بداية نشأتها، مطاليب تخص النقابات • وفى الحقيقة فقد قدم مشروع الى المؤتمر التأسيسى، جنيف ١٨٦٦ ، الغرض منه تحديد عمل المنظمة الجديدة على العمال الحرفيين وحدهم • ولكن ذلك المشروع رفض بفطنة وذكاء ، خاصة وان الكثير من المناضلين بصفوف الطبقة العاملة

ليسوا عمالا ولا حرفيين ، وكان من شأن ذلك المشروع حرمان المنظمة العمالية من امكاناتهم ، فمن بين اولئك المناضلين ماركس وانجلس[1] . ومن وجهة النظر التأريخية ، ما كان احوج العمال في مختلف البلدان حينذاك اكثر من حاجتهم الى منظمة سياسية واسعة واحدة ، ومن اجل ذلك ناضل ماركس وأنشأ بدعم من العمال مثل تلك المنظمة .

وفضلا عن ذلك فقد ظلت الضرورة قائمة دوما ، وبدرجة متزايدة ، الى تكوين أممية نقابية ، واخذت هذه الفكرة تبرز من جديد في كل مؤتمرات الاممية الاولى التالية . وخلال الفترة بين حل الاممية الاولى (١٨٧٦) وتأسيس الاممية الثانية (١٨٨٩) كان مثل هذا البرنامج يكون ايضا خلفية للمؤتمر الاشتراكي المنعقد في جنيف عام ١٨٧٧ . وفي تلك الفترة غدت النقابات قوية في مختلف البلدان بصورة ملحوظة ، بحيث صار بمقدورها بناء أممية نقابية ، شقيقة للأممية السياسية . ولكن المعارضة العنيفة التي مارسها القادة العماليون المحافظون اعاقت تأسيسها . وكان البيروقراطيون المتعنتون الذين وقفوا على رأس الحركة العمالية البريطانية ، ضد تلك الخطة على المكشوف .

وذكر الزوجان ويب : بان « اللجنة البرلمانية اوضحت بتقريرها السنوي البعيد عن تشجيع الاعمال الاممية ، بانها (اي النقابات البريطانية) منظمة تنظيما جيدا ، حسب رأيها ، وان العمال الاجانب ما زالوا بعيدين عنها ، وهم لا يستطيعون عمل الكثير قبل ان يقترب مستواهم من مستوى عمال انكلترا الفنيين »[2] . ولكن مؤتمر النقابات البريطانية المنعقد عام ١٨٨٦ لم يهتم لمواقف قادته ، ودعم مؤتمرات الاممية ، وبرهن على موقف ماركسي بشكل رئيس مما اثار غضب القادة النقابيين البريطانيين المحافظين .

ومثلما اثرت الاممية الاولى ، باعتبارها مركز تجمع أممي للنقابات ، اثرت الاممية الثانية ايضا . وطالبت مؤتمراتها المنعقدة في ١٨٨٩ و ١٨٩٠ و ١٩٠٧ بأدخال ومشاركة النقابات فيها . ففي مؤتمر عام ١٩٠٧ المنعقد في مدينة شتوتغارت كان ، مثلا ، ٢٢٦ مندوبا ، من عدد المندوبين البالغ ٨٧٧ ، ممثلين مباشرين عن النقابات . الا ان عددا كبيرا اخر منهم كانوا مندوبين حزبيين

منظمين ، وهم بنفس الوقت نقابيين معروفين. واظهر حزب العمال البريطاني ان ٨ فقط من بين مندوبيه الـ ١٢٣ ، نقابيون مباشرون[٣] . ومع ذلك فقد كان القسم الاكبر من المندوبين النقابيين كوادر محترفة للعمل في منظماتهم .

في مختلف مؤتمرات الاممية الثانية السابقة كانت كثيرا ما ظهرت آراء تدعو لاممية نقابية اضافية . ولكن تلك الدعوات والمشاريع منيت ، منذ البداية ، بالفشل ، منذ ان صوت المؤتمر التأسيسي المنعقد في باريس عام ١٨٨٩ ضدها . وكون القادة الالمان ، بهذا الخصوص ، اساسا للمعارضة[٤] . فقد كان لديهم خوف واضح من احتمال وقوع مثل هذه المنظمة ، اذا قدر لها ان تؤسس ، تحت سيطرة النقابات البريطانية والفرنسية والامريكية والتى اقل ما يمكن القول عن اخلاصها للأشتراكى الديمقراطى ، بانه غير ثابت . ان اتحاد العمل الامريكى الذى تقدم بمشروع يدعو الى تعاون اممي واعمال نقابية مشتركة ، كان في الوقت نفسه ضد الاسس التى دعا الالمان لها . وخلال المعرض العالمى الذي اقيم في شيكاغو عام ١٨٩٣ ، هيأ اتحاد العمل الامريكي لعقد مؤتمر نقابي عام ، الا ان ذلك المؤتمر فشل بسبب عدم تلبية الدعوة التى وجهت للمنظمات النقابية العالمية ، ولم يقبلها غير مؤتمر التريديونات البريطانية[٥] . ومنذ ذلك الحين اخذت البيروقراطية النقابية الالمانية تتجه بأستمرار نحو الرجعية وتكشف عن عدائها للعمل المشترك ، وذلك من خلال الافكار التى طرحتها في المؤتمرات اللاحقة للأممية الثانية ، وخاصة فى مؤتمرات زوريخ عام ١٨٩٣ ولندن ١٨٩٦ .

تأسيس سكرتارية النقابات

لقد كانت حاجة العمال الى منظمة اممية والى تعاون بين شتى الحركات النقابية قوية جدا ، كما كانت الحاجة تتزايد لعزل القادة العماليين الرجعيين . ولان اولئك القادة رفضوا بعناد بناء منظمة نقابية اممية عامة من القاعدة ، فانهم ارادوا تكوين اممية من فوق ، فقد اضطرت النقابات لبناء منظمتها بنفسها من الاسفل . ولكن ذلك جرى ، في الحقيقة ببطء شديد ، وان النقابات ، كما

سنرى ، وصلت فى النهاية الى تحقيق هدفها ·

وكان احد الاجراءات لتحقيق ذلك الهدف ، هو ان بدأت نقابات منفردة في انكلترا بتكوين ارتباطات وثيقة بين النقابات الشقيقة في القارة · كذلك بدأت مراكز نقابية قطرية بتبادل الوفود للمؤتمرات · وهكذا بادر اتحاد العمل الامريكي ومؤتمر التريديونات البريطانية بتبادل الوفود لمؤتمراتهما الوطنية المنعقدة عام ١٨٩١ ، واصبح هذا تقليدا يعمل به حتى اليوم[٦] ·

ان تلك المحاولة كانت في الحقيقة خطوة أولية ، ولكن أمنية التضامن الاممى بين عمال العالم نمت كثيرا ، وارتفعت الحركة العمالية بهذه الوجهة سريعا · واخذ تأسيس سكرتارية أممية لنقابات مهن وفروع صناعية متعددة ـ معينة ـ يأخذ شكلا اوضح · وكان عمال الطباعة اول من سعى لتحقيق هذا الاتجاه حيث التقوا في باريس عام ١٨٨٩ لعقد كونفرنس شارك فيه ١٧ مندوبا يمثلون نقابات طباعي الكتب فى كل من فرنسا واسبانيا وايطاليا والمانيا والولايات المتحدة وانكلترا وبلجيكا · ويعتبر ذلك الكونفرنس الاول من نوعه فى العالم · وسارت روابط واتحادات عمال المناجم على طريقهم ، فاجتمع في ايار ١٨٩٠ ، ١٢٠ مندوبا يمثلون روابط عمال المناجم الوطنية لأنكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا ، واسسوا فى باريس الاتحاد العالمي لعمال المناجم[٧] ·

لقد كانت تلك اللقاءات والكونفرنسات ذات اهمية كبرى لتشكيل منظمات أممية من طراز جديد ، رغم انها لم تكن سوى اتصالات اولية فقط بين نقابات معينة لفروع صناعات متناسبة · ولكن نتيجة ذلك تضمنت في ان نقابات عديدة اخرى اتبعت مثال الطباعين وعمال المناجم ، واسست مثلهما سكرتاريات المهن الاممية ، كما سميت تلك المنظمات الجديدة بسرعة بهذا الاسم · وفى عام ١٩٠٠ اصبحت المنظمات القائمة على هذا الاساس ١٧ منظمة ، وارتفع عددها في بداية الحرب العالمية الاولى الى ٣٢ منظمة · وكانت منظمة عمال المناجم اكبرها جميعا ، فقد بلغت عضويتها ١٣٧٤٠٠٠ ، تليها منظمة عمال التعدين ١١٠٦٠٠٠ وعمال النقل ٨٨١٩٥٠ عضوا · ومع تكوين السكرتاريات المهنية تطورت النقابات بأستمرار ، وكونت النواة الاولى للمنظمة العمالية ، التى

هى اليوم قائمة ، كاتحاد النقابات العالمى والاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، ولو باختلافات بيّنة ٠

السكرتارية الاممية لمراكز النقابات القطرية

في الوقت الذى اخذت سكرتاريات المهن الاممية ، كل على انفراد وبالتدريج ، بتكوين هيئاتها ، اخذ ايضا مطلب تكوين اممية نقابية عامة من ممثلى الحركات النقابيـة الوطنية يزداد الحاحا ، وخاصة من جانب النقابات الانكليزية والفرنسية والامريكية ٠ الا ان القادة الالمان كانوا كعادتهم ضدها ٠ وعلـى هذا الاساس دعا البريطانيون ممثلى نقابات مختلف البلدان الى الاجتماع بمناسبـة انعقاد مؤتمر النقابات الدانماركية فى كوبنهاغن ١٩٠٠ ٠ وهناك تعامل كارل ليغن ، قائد النقابات الالمانية المعتد بنفسه ، على ضوء افكاره المستخفة كثيرا بالأممية النقابية ، واكد بان بحث المسائل النقابية العامة ، وخاصة الهامة منها ، يجب ان « يجرى فى مؤتمرات العمال الاشتراكية(*) التي تعقد بأنتظام »[٨] ٠ ورغم عمليـــة رش الماء البارد التي قام بها ليغن ، فقد دُعي عام ١٩٠٢ الى عقد كونفرنس عمالي عام ثان في مدينة شتوتغارت ، اى فى نفس الوقت والمكان الذى كانت تجرى فيه اعمال مؤتمر النقابات الالمانية ٠ وعن ذلك الكونفرنس الاممي نتج مركز اممى واحد ، لكنه غير واضح المعـالم وبدون موظفين منفرغين وبلا قيادة موحدة ٠

اما التأسيس الحقيقى لمنظمة أممية جديدة ، فقد حصل فـى عام ١٩٠٣ فقط ، وذلك عندما تأسست في مدينة دبلن السكرتارية الاممية للمراكز النقابية القطرية بصورة رسمية ، وبسبب مـــن انسجام باهت لا لون فيه ، صار ليغن سكرتيرها العام ٠ وقد حصر ذلك البيروقراطي الخبيث بين يديـه الحـركة الجـديدة ، وضمـن لنفسه قيادتها اطول مدة ممكنة ، واصبح من الصعب تنحيته عنها ٠ اما الجهاز البيروقراطى لليغن ، فانه لم يكن اقل نشاطا من زعيمه في الحصـول على المواقع الرئيسية في سكرتاريـــة المهن الامميـــة المنفردة ، حال تأسيسها ٠ وعند نشوب الحرب العالمية الاولـــى

(*) ليغن يقصد مؤتمرات الاممية الثانية (المترجم الالماني) ٠

١٩١٤ ، كانت مقرات ٢٧ سكرتارية أممية من مجموع ٣٢ متواجدة كما ذكر امبرايت ، في برلين(٩) ٠

وبعد كونفرنساتها الاولى ، كوبنهاغن ١٩٠٠ وشتوتغارت ١٩٠١ ودبلن ١٩٠٣ ، عقدت السكرتارية الاممية للمراكز النقابية القطرية كونفرنساتها التالية : في امستردام ١٩٠٥ ، كرستيانا(*) ١٩٠٧ ، باريس ١٩٠٩ ، بودابست ١٩١١ وفي زوريخ ١٩١٣ ٠ وقد زاد عدد اعضائها المنظمين من ٢٤٧٧٠٧٧ عام ١٩٠٤ الى ٦٨٤٣٩٠٩ في عام ١٩١٤ ٠ وصار عدد مراكزها القطرية في ذلك العام ١٩ مركزا نقابيا(١٠) ٠

وحدثت في جميع لقاءات السكرتاريات المهنية الاممية المنفردة والسكرتارية الاممية للمراكز النقابية القطرية ايضا ، نقاشات عنيفة باستمرار ، كانت بين الذين يريدون تطوير ذلك الجهاز الاممي الجديد اكثر ، وتحويله الى اممية نقابية حقيقية (غالبا ما كانوا من البريطانيين والفرنسيين والامريكيين) ، وبين اولئك البيروقراطيين المحافظين ، جماعات ليغن التي سعت الى الحط من قيمة السكرتاريات المهنية المختلفة والسكرتارية العامة وتحويلها الى دوائر عالمية ومكاتب احصائية فقط ٠ وكمثل على ذلك ، فقد قرر كونفرنس باريس (١٩٠٩) الخاضع لسيطرة ليغن ، رغم اصرار الفرنسيين ، ابعاد السكرتارية الاممية للمراكز النقابية القطرية عن بحث مسألة الاضراب العام ، وان « جميع المسائل النظرية وكذلك اتجاه وتاكتيك الحركات النقابية في البلدان الممثلة في الكونفرنس لا يتم بحثها هنا » ٠ وكان ذلك ينسجم مع ما تميز به كونفرنس السكرتارية المنعقد في كرستيانا ١٩٠٧ من ضيق افق اقليمي ، فقد اعتبر ذلك الكونفرنس مسألة « الاعمال النقابية ضد الحرب » مسألة « سياسية » وفدت من الاممية الاشتراكية ، ورفض اجراء النقاش حولها(١١) ٠

في ذلك الوقت كان اتحاد العمل الامريكي قد انضم شكليا الى السكرتارية الاممية ، وشاركت الوفود الامريكية في اغلب كونفرنساتها ٠ وكان موقف أ٠ ع٠ أ٠ بالنسبة للمسائل السياسية محافظا في

(*) كانت أوسلو الحالية تسمى بهذا الاسم حتى عام ١٩٢٤ ٠

العموم • وفي لقاء بودابست لعام ١٩١١ شكك وفد العمال الصناعيين العالمي(*) (وكان مؤلف هذا الكتاب ممثلا عن تلك المنظمة) في حق أ• ع• أ• بتمثيل الطبقة العاملة الامريكية داخل الاممية العمالية ، وذلك لانه كان يدعو للحفاظ على الرأسمالية • ولكن احتجاج منظمة العمال الصناعيين العالمية رفض ولم يحظ بتأييد غير مندوبين فقط ، هما ممثلا س• ج• ت الفرنسية (فوضوية ـ سنديكالية(١٢) •

اتحـاد النقـابات العـالمى

ولو ان ليغين وقادة اشتراكيين ديمقراطيين محافظين آخرين غيره ، من الذين تأثروا بقيادته ، عملوا باستمرار لاحباط مثل ذلك المشروع ، الا ان مطلب تأسيس اتحاد عمالى حقيقى فى العالم ، سار الى الامام ، واصبح من غير الممكن تجاوزه • ودخل اجتماعات السكرتارية الاممية ، خاصة بعد عام ١٩٠٧ ، كمسألة ملحة لا يمكن تجاهلها ، وكانت الوفود البريطانية والفرنسية والامريكية هى التى تبادر دوما للدعوة الى بحث هذا الموضوع • وظل الفرنسيون والامريكيون بعيدين عن المشاركة فى اجتماع عام ١٩٠٧ المنعقد فى كرستيانا ، وذلك تعبيرا عن احتجاجهم للكيفية التى تصرف بها ليغين وزملاؤه الاشتراكيون الديمقراطيون • ولكنهم شاركوا في الكونفرنسات التي عقدت بعد ذلك ، وواصلوا طرح مطلبهم فى تأسيس منظمة أممية شاملة •

لقد لخص لوروين تلك الاوضاع بالشكل التالى : « طالب المندوبون الفرنسيون بعقد مؤتمرات نقابية عامة ، لا تبحث فيها المسائل النقابية وحدها ، بل المسائل السياسية والاجتماعية العامة ايضا • وانتقد المندوبون الامريكيون اسم السكرتارية ، واعتبروه غير وارد بالنسبة للعمال الامريكيين ، واقترحوا ضرورة اعادة تنظيم السكرتارية الاممية وجعلها اتحاد نقابات عالمي(١٣) ، وكان ذلك في عام ١٩٠٩ بباريس • وفي الكونفرنسين التاليين ، بودابست ١٩١١ وزوريخ ١٩١٣ ، خصص لبحث تلك المسألة المتزايدة الالحاح ، الجزء الاكبر من الوقت »

(*) منظمة سنديكالية في الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرها •

وكان الضغط على تلك المسألة شديدا جدا في لقاء زوريخ ، حتى ان ليغين نفسه اضطر الى استخدام اسلوب المناورة ، ووافق ظاهريا على تأسيس أممية نقابية • وقد حضر المندوب الامريكي غ• دبليو• بيركنس ، وهو رئيس اتحاد عمال السكاير والصديق الحميم لغومبرس ، الى زوريخ ومعه توجيه صريح صادر عن مؤتمر اتحاد العمل الامريكي ، المنعقد قبل ذلك ، بطلب لتأسيس «اتحاد عمال عالمي »[١٤] • ولكن مثل ما هو معتاد من بيروقراطيي أ• ع• أ• ، فان نشاط بيركنس المريب لم يترك اثرا نافعا • وقد كتب ساسنباخ عما جرى في زوريخ ، وقال بانه تم هناك بالتصويت « قبول عرض تقدم به المندوب الامريكي ، بيركنس ، لتبديل اسم السكرتارية الاممية وجعله اتحـاد النقابات العالمي ، وقد لوحظ بان بيركنس تعامل هناك لاجل تغيير اسم فقط وليس لاجل تغيير شكل منظمة • ولهذا كان ليغين مع ذلـك الرأى •• »[١٥] • وهكـذا حلق التوجيـه الامريكـي الى النافذة خارجا ومعه الاممية العماليـة • واضاف ساسنباخ قائلا : ولدى اجراء انتخاب رئيس لأتحاد النقابات العالمي، فقد اتفق الكونفرنس على انتخاب ليغين •

ان الخيانة التي جرت في زوريخ تمثلت بتجاهل الحاجـات العمالية والاماني الملحة للعمال قبل الحرب العالميـة الاولى • ولم يفكر ليغين وزمرته مطلقا بمقاومة الحرب الاستعمارية التي كانت تلوح في الافق ، ولم يكلفوا انفسهم عنـاء حتى تسجيل موقف صدها ، وكذلك كان موقف غومبرس ايضا • وهكذا تركوا الحركة النقابية العالمية تواجه ازمـة عالميـة كبيرة تطورت بمرور الزمن بشكل ملموس وهي دون منظمة وقيادة فعلية •

الدوليـة العماليـة الـكاثوليـكية

في الوقت الذي اخفقت فيه النقابات ، بسبب خيانة قادتها الكبار ، في اتجاهها لتكوين منظمـة أمميـة ، نشطت النقابـات الكاثوليكية او ما سميت « بالمسيحية » (لان عددا قليلا فقط من منتسبيها كانوا بروتستانت ايضا) بأتجاه العمل المشترك بينها • وحققت بالتالي نجاحا ، ولكن على نفس المستوى الذي سار عليـه قادة النقابات الاشتراكيون الديمقراطيون ، وكونوا السكرتاريـة

الدولية للنقابات المسيحية • ونظموا ايضا سكرتاريات دولية لمهن وفروع صناعات معينة مختلفة • وكانت الحركة بمجموعها تدار من قبل الفاتيكان مباشرة •

فى ١٨٤٧ كانت الكنيسة الكاثوليكية مهيأة ، وبدأت فعلا ، تنتظيم مجموعات طائفية بن عمال مهن معينة(١٦) • الا ان الحركة تبلورت بصورة واضحة عام ١٨٩١ ، بعد ان اصدر البابا ليو الثالث عشر منشورا بابويا بعنوان De Rerum Novarum جاء فيه باختصار ، انه ينصح بتنظيم نقابات كاثوليكية • وكان الغرض من ذلك بالطبع مقاومة التأثير الاشتراكى الديمقراطى المتزايد بين صفوف العمال الكاثوليكيين • وقد تميز ذلك التأثير بفشل الجهود الضخمة التى بذلت لتأسيس مثل تلك المنظمة حتى فى البلدان الاشد كاثوليكية ، وكانت النتيجة ، ان الاشتراكي الديمقراطي ظل الاقوى في كل مكان وخصوصا في المانيا رغم تصفية حركة الطبقة العاملة جراء القانون الاستثنائي البسماركي •

وبمرور العقدين التاليين استطاعت النقابات الكاثوليكية (المسيحية) من تثبيت أقدامها في مختلف البلدان ، وخاصة في البلدان الكاثوليكية • وعند بداية الحرب العالمية الاولى اعلنت الدولية المسيحية بان عدد منتسبيها بلغ ٥٤٢٢١٣ عضوا ، من بينهم حسبما ذكر نستربكة ، ٣٤٢٧٨٥ فى المانيا وحدها • اما بقية الاعضاء فكانوا موزعين على فرنسا ، النمسا ، بلجيكا ، هولندة ، السويد وايطاليا • ولم تتخذ الكنيسة فى تلك الاعوام اى اجراء معين لتأسيس نقابات لها فى بلدان امريكا اللاتينية الكاثوليكية جدا ، وذلك يرجع الى عدم وجود اشتراكى ديمقراطى قوى فى تلك المنطقة انذاك • ومن الجدير ملاحظته ، ان النقابات الكاثوليكية لم تحقق مطلقا (من البداية وحتى وقتنا الحاضر) اى تقدم بين العمال ، وظلت لا تضم فى اى بلد من البلدان ، التى تعتبر متمسكة بكاثوليكيتها كفرنسا وايطاليا وبولونيا وغيرها ، غير اقلية صغيرة من العمال الكاثوليك • وبينما اختارت الطبقة العاملة ، على العموم، المنظور الاقتصادي والاجتماعي والتاكتيك النضالي لماركس ، فضل اولئك العمال بشكل جامد الفاتيكان •

لقد اتبعت النقابات الكاثوليكية سياسة التعاون الطبقى

خالطة اياها بالدين . وكانت ضد الاشتراكية والسنديكالية والشيوعية . ولم تعترف بالصراع الطبقى ، ورفضت ممارسة الاضراب والوسائل الفعالة الاخرى للنضال ، وكانت ضد الاعمال السياسية (وخاصة الاشتراكية) التى تمارسها الطبقة العاملة ضد ارباب العمل ، بل سارت ، فى العموم ، بخط عمل مشترك معهم . لقد سلمت بالنظام الرأسمالى وبالدولة البرجوازية ، ولكنها اقترحت عليها اصلاحات ثانوية فقط . وفى الحقيقة فانها طالبت بالاعتراف بالنقابات ، وبالمفاوضات الجماعية ، وبالمراقبة الصحية فى المعامل ، وبيوم عمل من ثمان ساعات ، وبأصدار تشريعات لتحسين عمل النساء .. الخ ، ولكنها كانت تأمل تحقيق برامجها على اساس العمل المشترك مع ارباب العمل[١٧] .

ان تأسيس النقابات الكاثوليكية كان فى جوهره هجوما على الحركة العمالية . ورغم ذلك فان الطريق امام قادة تلك المنظمة لم يكن مفروشا بالورود دائما . فقد ذكر نستربكة ، كيف كان ارباب العمل الالمان يعملون ضد الحركة النقابية الكاثوليكية ، ووقفوا ، من حيث المبدأ ، حتى ضد ذلك المدجن الاليف نفسه ، رغم كونهم كاثوليك ايضا . ونتيجة لموقف ارباب العمل العدائى اضطرت النقابات المسيحية ان تشن الاضرابات بين الحين والاخر ، مخالفة بذلك ما نصت عليه برامجها . وبالتأكيد فان تلك النقابات عملت ، في العموم ، على شق وحدة الطبقة العاملة . وكان هدفها ارباك العمال ايديولوجيا واضعاف نضالهم الاقتصادى والسياسى .

وفي البلدان غير الكاثوليكية ايضا حاول الفاتيكان الحصول على تأثير فى الحركة النقابية ، وخاصة فى الولايات المتحدة التي يكوّن الكاثوليك فيها نسبة ٢٣٪ فقط من مجموع السكان ، ومنذ عام ١٨٩٠ ، وحتى قبل هذا التاريخ ايضا ، عملوا هناك لأيجاد موطىء قدم ، ولكنهم لم يتمكنوا من تأسيس نقابات تذكر . ومن الحقائق المعروفة جيدا ، ان الكنيسة هناك وقفت موقفا حادا ضد فرسان العمل الراديكاليين ، رغم ان بودرلي نفسه كان كاثوليكيا . وكان ذلك واحدا من الاسباب العديدة التى ادت الى انهيار تلك المنظمة (فرسان العمل) . وخلال العقد الاخير من القرن التاسع عشر سعت الكنيسة وبنشاط ايضا للتأثير على

سياسة أ٠ع٠أ٠ من خلال كسب ود قادته ، ولم يكن ذلك دون نجاح ملموس ٠ واليوم لا تواصل الكنيسة تلك السياسة من خلال تلك المنظمات فقط ، كما كانت النقابات الكاثوليكية المتحدة تعمل في العموم بنفس الروحية ، بل ومن خلال الضغط المباشر ايضا على مختلف القادة البارزين لأتحاد العمل الامريكي ومؤتمر اتحــاد الصناعيين ٠ والنموذج الحي على ذلك هو انه تم قبل ايام قليلـة فقط (كانون الاول ١٩٥٥) اتحاد بين الاتحادين ، العمل الامريكي ومؤتمر الصناعيين ، وكان بين اعضاء اللجنة التنفيذية الثمانيـة البارزين ليس اقل من اربعة كاثوليك ٠

ليس من المصلحة بحث الامور الدينية في الحياة النقابية ، ومن الطبيعي ان يقع على حزب الطبقة العاملة واجب شرح ذلك على اساس ايديولوجي نشط متين ومن منطلق علمي لا غيبي ٠ ولكن الامر بالنسبة للنقابات يختلف ، فحيث يكون من الضروري لها ان تصبح منظمات طبقية عريضـة تتألف من عمـــال يحملون مختلف النظرات الدينية واللادينية ، يكون من واجبهـا مراعاة ذلك ٠ فهي لا تستطيع التكفل بمناقشة المسائل الدينية ، لان ذلك من شأنـه شق الحركة ٠ ولكن بالتأكيد يجب عليها التمسك وستصبح ملزمة بالوقوف من خلال العمل النقابي العملي ، ضد كل كنيسة او اي حزب اكليريكي يتجرأ في الاساءة الى الحركة العمالية او يمارس ضدها شكلا من النشاطات السياسية الرجعية ٠ وبهذا الخصوص، تكون الحركة النقابية ، حتى في البلدان ذات النزعة الدينيـة ، مضطرة للدخول في صراعات دائمية مع القوى الرجعية الكهنوتيه (الاكليروس) ، وهي بذلك قد حظيت بدعم اعضائهـا من مختلف المعتقدات ٠

لقد قدم كارل ماركس الى عمال العالم ، من خلال مؤتمـــر جنيف للأممية الاولى (١٨٦٦) ، خطا واضحا لحل تلك المسألـــة المعقدة التي طرحت نفسها في حينه بالحاح ٠ وكانت وجهة نظـــر الوفد الفرنسي ، في ذلك المؤتمر ، اصدار بيـــان من الاممية ضـــد الكهنوت ، واقترح ضرورة طرح مسألة الدين في جدول اعمـــال بحث المؤتمر ٠ ولكن ماركس كان ضد الاقتراح بشدة ، واعتبره عملا من شأنه شق العمال ، وصرف النظر على هذا الاساس عن

بحث المشروع الفرنسي · وكانت تلك بداية ، او على الاقل اساس أولي ، ولكن ثابت ، لمبدأ « اليد الممدودة » الذي صار فيما بعد معترفا به من قبل العمال من جميع المعتقدات ·

ومنذ ذلك الحين صارت الحركة النقابية تعمل ، في العموم ، في شتى البلدان ، بهذا المبدأ السليم الذى قاد النقابات الى مواقع بعيدة عن الانعزالية · وان احد الاسباب الرئيسيـة التى جعلت النقابات المسيحية معزولة عن اوسع جماهير العمال ، ولم تحقق بينهم غير تقدم نسبى محدود ، هـو موقفها المعارض لهذا المبدأ ، وتمسكها الصارم بالقناعة الدينية الضيقة ·

× × ×

٢٠ـ النقابات في الثورة الروسية لعام ١٩٠٥

كانت الحرب الروسية ـ اليابانية ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ اول حرب استعمارية كبيرة • ولقد تصارعت روسيا واليابان ، البلـدان الاستعماريان ، كالذئاب ، حول اغتصاب المناطق من الصين البائسة الفقيرة • وعندما كانت القوتان الكبيرتان تقاتل الواحدة منهما الاخرى ، تدخل عمال وفلاحو روسـيا في ذلك الصـراع ، ولحسابهما الخاص حولوا تلك الحرب الى حرب اهلية هدفها اسقاط الراسمالية القيصرية •

وقبل بحث تلك الاوضاع تفصـيلا ، لابد لنـا من الاعتراف بالتغيرات الهائلة التي كانت قد جرت في الحركة العماليـة الروسية في السنوات السابقة للحرب • وكان ذلك التطور ، كما أكدتـه الاعوام والعقود اللاحقة ، ذا أهمية كبرى لا لروسيا وحـدها ، بـل وللعالم كله • وتمثل ذلك بظهور البلشفية بقيادة لينين ، أو كمـا عرفت بالماركسية اللينينية • وقد وصف ستالين اللينينية بعد ذلك ، بانها « الماركسية في مرحلة الاستعمار والثورة البروليتارية »[١] •

اعادة تجديد المبادىء الماركسية بواسطة لينين

فـى حوالى نهايـة القرن كان البرجوازيون الصغـار والبيروقراطيون النقابيون فى الاممية الثانية قد تلوثوا تمامـا بسموم تحريفية بيرنشتاين (انظر القسم الرابع عشر) • وانحدروا اكثر فأكثر الى استنتـاج هو : ان الماركسية اصبحت عتيقـة ، وان التعاليم الاقتصادية لماركس قد شاخت ، وان مبادىء الصـراع الطبقى لم تعد تناسب العصر ، وان واجب العمال ليس السعى للحصول على تحررهم بواسطة تصفيـة ثوريـة للرأسماليـة ، بل بواسطة التحول التدريجى من هذا النظام الى الاشتراكية ، وقد تاثروا بالنجاح الظاهرى للرأسمالية ، وبهرهم نهوضها المؤقت • فأفسدهم الاستعمار ايديولوجيا وعمليا •

لقد تسللت تلك المفاهيم التحريفية الانتهازية الى الحركـة العمالية الروسية ، مثلما تسللت الى جميع البلدان الرأسماليـة الاخـرى ، ولكنهـا توازنت مع الوضع الروسـى الخاص • وكان فلاديمير أيلج لينين ـ ولد في ٢٢ نيسان ١٨٧٠ بمدينـة سمبرسك والتي هي اليوم اولغانوفسك ـ مناضلا بارزا ضد تلك التحريفية •

واعلن النضال ضد جميع التحليلات الانتهازية والبرامج التحريفية، وبرهن بعبقرية فذة على صحة المبـادىء الثوريـة ، وعلى صحـة برنامج ماركس في مرحلة الاستعمار • وحول هذه الموضوعـة الاساسية كتب لينين عام ١٩٠٢ ، بجانب كتاباته الاولى الاخرى، كتابه الشهير « **ما العمل ؟** » • فالنزاعات الاولى بين المجموعـة الثورية والمجموعة التحريفية في الحزب نشبت في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكـي الديمقراطي الروسي المنعقد في لندن عام ١٩٠٣ ، والجدير بالذكر ان المؤتمـر التأسيسي للحـزب كان قد عقد في اذار ١٨٩٨ • وفي مؤتمر الحزب التاريخي الثانـي ، الذي توجب عقده ، بسبب الارهاب البشع في روسيا ، فـي الخارج ، كان انصار لينين يكوّنون الاغلبية(*) •

ان الاتجاهين المتعارضين في الحزب اعترفا ، بان روسيا تقف على اعتاب ثورة برجوازية لابد من نشوبها في اي وقت ، ولكنهما اختلفا في الرأي جذريا حول دور الطبقة العاملة في مثل هذه الحالة المتوقعة الحدوث • وباختصار ، فان نقطـة انطلاق المنشفيك كانت تنبعث من التبشير بوجوب قيادة البرجوازية للثـورة بشكل حتمي ، وعلى العمال مساندة تلك القيادة ، اما الفلاحون فسيكونون في الجوهر قوى ثورة مضادة ، وان مسألـة الاشتراكيـة يجب ان تترك ، بدون تحديد ، الى الزمن ، وهي (الاشتراكية) ستتحقق مـن خلال عملية تطورية بطيئة ، وذلك لان الرأسمالية والحركـة العمالية في روسيا نمتا كذلك بصورة بطيئة • ومن الجهة الاخرى اكد اللينينيون على ، ان البرجوازية ستخون الثورة عن طريـق مساومتها مع ملاك الارض القيصريين الكبار ، وعلى العمال يقع واجب النضال في سبيل القيادة الثورية التي تحقق التحالف مع الفلاحين ، وقيام حكومة ـ دكتاتورية ـ البروليتاريا والفلاحين ، التي يجب عليها تحقيق هدفها العام بتحويل الثورة البرجوازية الى ثورة بروليتاريا • وكانت ثورة ١٩٠٥ محكا لأختبار النظريات والبرامج المتعارضة ، للمنشفيك والبلشفيك •

(*) من هنا جاءت تسمية « بلاشفة » و « مناشفة » وهي ماخوذة من الكلمات الروسية التي تعني اكثرية واقلية •

حزب لينين من الطـراز الجديد

هناك نقطة هامة في الخلافات داخل الحزب تتعلق بالمبادىء الاولية لبناء الحـزب • فالمنشفيك كأخوانهـم السياسيين في شتي البلدان ، وبالأنسجام مع وجهة نظرهم الانتهازية حول الطبقـة العاملة واعتبارها طبقة تابعة للبرجوازيـة ـ ناضلوا في سبيـل تكوين حزب واسع العضوية ، باهت ورخو التركيب ، ينظر الى الضبط الحقيقي والقيادة الحازمة كأشياء لا جدوى منهما ، فضـلا عن كونهما ، كما يتصور ، غير ممكنتي التحقيق • ان حزب كهـذا لا بد له من الخضوع للقوانين الصارمة التى فـرضها الحكـم القيصرى ، ولا يمكن له ان يجعل العمال يملكون القيادة السياسية من البرجوازية فى الثورة •

وبالعكس تماما من هذا الطراز البرجوازى الصغير للحزب، تقدم لينين بمشروع لمنظمة قوية متينة التركيب وذات ضبط عال، منظمة تعتمد مبادىء المركزية الديمقراطية اساسا لتنظيمها • ومن وجهـة نظره ، توجب على الاعضاء الحزبيين ليس دعم الحـزب بتأييدهم فقط ، كما يريد الانتهازيون ، بل عليهم دفع اشتراكات شهرية ، وحضور الاجتماعات الحزبية ، والمشـاركة في النضـالات اليومية ، والالتزام بالضبط الحزبي • وكان يجب على الجزب ان يكون سريا بالطبع ، وذلك لان الاوتوقراطية القيصرية ، بما عرف عنها من وحشية وبربرية واعتقالات طويلةالامد ، سوف لن تترك لمنظمة اصيلة للطبقة العاملة حرية العمل •

لقد ادرك لينين جيدا ، وهو على حق ، بان الخلاف الداخلى حول شكل الحزب ، والذي ظهر وكأنه مسألة تنظيمية بحتـة ، يعكس فى معناه الفجوة السياسية الواسعة بين كلتى المجموعتين في الجـزب • فالبرنامـج السياسي الانتهـازي للمنشفيـك اقترح طرازا لحزب غير متماسك لا لون فيه ، بينما اصر البرنامج الثورى للبلشفيك ، بقيادة لينين ، على جعلـه «حزبا من طـراز جديد » • وقـد وقف تروتسكي ، في ذلك النضال التاريخي ، على خط المنشفيك ، كذلك فعل بليخانوف ، وهـو واحـد من القـادة الماركسيين الاوائل فى روسيا •

لـــينيـــن والنـــقابـــات

فى نهاية القرن التاسع عشر لم تكن فى روسيا ، بسبب الضغط الحديدى للنظام القيصرى ، اية نقابات تذكر[٢] ٠ الا ان الاضرابات كانت تحصل منذ السبعينات وتطورت فى التسعينات بشكل كبير ٠ ففي ايار ١٨٩٦ نشب في مدينة بطرسبرج اضراب جماهيرى واسع شارك فيه ٣٠٠٠٠ من عمال النسيج احتجاجا على يوم العمل الطويل الذى يستغرق اربعة عشر وخمسة عشر ساعة ٠ وفى تشرين الثانى ١٩٠٢ قام اضراب محلى لعمال السكك الحديدية ، واضراب جماهيرى آخر فى روستوف على الدون ، وفى ربيع ١٩٠٣ حصلت انتفاضات قام بها عمال النفط فى روسيا الجنوبية واضراب جماهيري في أوديسا[٣] ٠ ولقد قمعت جميع تلك الاضرابات ونظمت ضدها مذابح قاسية ٠ وحتى اواخر القرن لم تكن فى روسيا نقابات علنية ، ولكن العمال تمكنوا من تنظيم بضعة نقابات سرية ومجموعة من الاتحادات الاجتماعية ٠ وباندلاع ثورة ١٩٠٥ فقط قامت نقابات علنية ٠ الا ان الحركة النقابية « وضعت » ، على إثر نمو فروع للصناعة وتطور الطبقة العاملة ، « فى مهب الريح » ٠ ففى بداية عام ١٩٠٠ اخذت الحكومة على عاتقها، وبذلت جهودا خيالية فى ضخامتها ، للحد من نشاط واضعاف الحركة العمالية الصاعدة ، ولهذا الغرض اسست «منظمات عمالية » كانت تدار مباشرة من قبل البوليس ٠ وكانت تسمى بمنظمات سوباتوف ، نسبة الى مؤسسها رئيس البوليس السرى لمدينة موسكو ٠ ولكن تلك المنظمات اخفقت فى تحقيق هدفها بفضل جهود ووعى العمال الثوريين ٠

قبل ذلك بفترة قصيرة ، اى فى نهاية التسعينات ، ظهر اتجاه جديد هو اتجاه « الاقتصاديين » ٠ وكما هو معروف فقد اقترح الاقتصاديون ، بتأثير مباشر من ارباب العمل ، تأسيس نقابات حسب النموذج الغومبرسي في « النقابية الخالصة » ٠ وارادوا تحديد نضال العمال بالمسائل الاقتصادية ، وترك القيادة السياسية بأيدى البرجوازية ٠ والزموا الحركة النقابية بالحدود الشرعية الضيقة للنظام القيصرى ٠

لقد كان الاقتصاديون (الذين دخل الكثير منهم فيما بعد مع الديمقراطيين الشرعيين ، « الكاديت » الرجعيين) اسلافا سياسيين للحزب المنشفيكي ، وكانت تربطهم معه اشياء اساسية مشتركة عديدة · اما لينين فوقف مباشرة ضدهم ، وفضح حركتهم بأعتبارها « رجعة عن الماركسية ، ورفض لضرورة الحزب السياسي المستقل للطبقة العاملة . ومحاولة لتحويل الطبقة العاملة الى تابع سياسي للبرجوازية »[٤] ·

وفي مساجلاته مع الاقتصاديين والمنشفيك عالج لينين امر الحركة النقابية بصورة جذرية ، واكمل وضع الاسس التنظيمية والتاكتيكية والنظرية للحركة النقابية في مرحلة الاستعمار · وضمن عمله هذا خصوصا بكتابه « **ما العمل ؟** » · وكان ماركس ولينين اعظم من جميع نظريي الحركة النقابية · فالمساهمات الشهيرة لماركس كثيرة فضلا عما جاء **في البيان الشيوعي ، والخطاب الافتتاحي للأممية الاولى ، والاجور والاسعار والارباح** · اما المبادىء النظرية للينين ، بالنسبة لواجبات النقابات ، فتمثلت في « **ما العمل ؟** » و « **الراديكالية اليسارية ، ومرض الطفولة في الشيوعية** » ·

وناضل لينين ضد الموقف السياسي الانتهازي الشبيه جدا بوجهات نظر غومبرس · وبرهن على ضرورة الاعمال السياسية للنقابات · وبهذا الخصوص اثبت تفوق الاعمال السياسية الشامل ازاء سياسات الاقتصاديين واشقائهم المنشفيك المحددة على الاجور وانتظار تلبية المواعيد · وتقدم النضال بنفسه من أجل المطاليب الاقتصادية للعمال ، ولكن بنفس الوقت ضد القيصرية وفي سبيل حل المسائل الوطنية وسن قانون للعمل ومن اجل الثورة ·

كما ان لينين قاوم ايضا النظريات الانتهازية الداعية لحياد النقابات ازاء الاحزاب ، وهي النظريات التي اقام القادة النقابيون التحريفيون في المانيا وفي غيرها بيروقراطيتهم الخاصة عليها ، واعتبروها قوة منافسة بوجه الحزب · وبالمقابل دعا لوحدة الحركة العمالية ولضرورة خلق اوثق علاقات العمل المشترك بين جميع منظماتها بقيادة الحزب · ولا يعني ذلك المبدأ ، كما حاول البعض تفسيره ، انضمام النقابات المباشر للحزب ، ولكن لا يعني ايضا الحياد ازاءه · فالنقابات والحزب يجب عليهما النضال سوية ضد

الحكم المطلق · وبوضوح تام اسس لينين القيادة النظرية للحزب الشيوعي بأعتباره طليعة البروليتاريا ·

لقد هاجم لينين اوهام العفوية ايضا في مجال الايديولوجية والتنظيم ، حين سادت بين الاقتصاديين والمنشفيك · وجسد ، فضلا عن المبدأ النقابي للتركيب المتين ، قيادة مركزية ونظرية واعية · وبالنسبة لمسألة التنظيم النقابي بظل الارهاب القيصري ، عرض لينين ادق التعاصيل الممكنة لشكل البناء النقابي ـ حركة نقابية حرة التكوين ، ولكن رغم ذلك جهادية بثبات · وقال « نحن نطمح الى منظمات عمالية عريضة ، ولا نريد لأنفسنا اعتقالات جماهيرية كما لا نريد ان نهيىء الانشراح للجندرمة ، ولكن يجب ان نسعى لكى تصبح تلك المنظمات مبنية بصورة حرة تماما »[٥] · واوضح بانه ، في ظل الظروف الصعبة تواجه الحسابات المنتظمة والمؤتمرات الجماهيرية وغيرها حالة استثنائية · وقد ربط لينين بذكاء خارق التاكتيك العلنى والسرى للطبقة العاملة · دون شك ، فقد دعم البلاشفة ، منذ البداية ، مبدأ النقابات الصناعية · وأنشئت النقابات الروسية على هذه القاعدة اللينينية ، فلعبت دورا بارزا فى ثورة ١٩٠٥ ·

لقد ناضل لينين ايضا ، وبشكل خاص ، ضد التقييم السطحي لأهمية النظرية من جانب الاقتصاديين ، وضد وجهة نظرهم الانتهازية فى ترك العمال يتعلمون وحدهم مبادىء القيادة الضرورية من خلال الصراع الطبقى · وقد عبر ذلك الاتجاه فى روسيا عن انسجام تام مع الخط الانتهازى الذى مثله غومبرس فى امريكا ، والذى لم يتردد عن التباهى فى كونه وانصاره عملوا بصورة متفرقة ، ومن يوم الى اخر ، دون نظرية معينة للطبقة العاملة · وقد جابه لينين مثل تلك الايديولوجيات البرجوازية ـ الانتهازية بالضرورة الملحة للنظرية الماركسية ، الداعية لأهمية النضال اليومى المتواصل بظل الرأسمالية ، وضرورة خوضه حتى نهايته (تصفية الرأسمالية وتحقق الاشتراكية) · واوضح لينين قوله الشهير : « دون نظرية ثورية لا يمكن وجود حركة ثورية »[٦] ·

وفى تلك المساجلات التاريخية ، جاء الجواب على حملات الاقتصاديين ضد « التدخل الفكرى » للينين ، وكان دفاعا معروفا عن

دور المثقفين الثوريين في الحركة العمالية . ومن جملة ما قاله لينين بهذا الخصوص : « ان تاريخ جميع البلدان يشير الى ان الطبقة العاملة قادرة بقواها الخاصة على اظهار وعي تريديونيوني(*) فقط ، اى الاقتناع بضرورة تجميع نفسها بأتحادات ، وشن نضالات ضد ارباب العمل ، وأجبار الحكومة على تشريع هذا او ذاك من القوانين الضرورية للعمال .. الخ . اما التعاليم الاشتراكية فقد انبثقت عن النظريات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية التى وضعها المتعلمون من ممثلي الطبقات المالكة ، والمثقفين . ان مؤسسي الاشتراكية العلمية المعاصرة ، ماركس وانجلس ، ينتسبان من حيث وضعهما الاجتماعى الى المثقفين البرجوازيين »[7] .

المرور بثورة ١٩٠٥

ان الحرب الروسية ـ اليابانية بدأت فى الثامن من شباط ١٩٠٤(**) ، حيث باغت اليابانيون بهجوم مدمر ميناء ارثور (بورت ارثور) ، ودمروا الاسطول الروسى الراسى هناك . وقد جسدت الثمانية عشر شهرا التالية هزيمة الروس الشنيعة ، وفى الثالث والعشرين من آب ١٩٠٥ ، ومن خلال اجتماع السلام برئاسة الرئيس تيودور روزفلت ، استطاعت اليابان اغتصاب ميناء ارثور ، وجنوب ساخالين ، ومنطقة نفوذ روسيا فى كوريا وجنوب منشوريا كله من روسيا . وقد مزق ذئب استعمارى الفريسة ، ذئب اخر ، بأسنانه .

اما الجماهير الروسية ، المجوعة ، المستغلة بفضاعة والمضطهدة بوحشية ، فكانت منذ البداية ضد الحرب القيصرية الاستعمارية . ولم تجد ادنى رغبة في مشاركة الحكم القيصري المطلق موقد النار . وكانت الاشارة الكبيرة الاولى للعاصفة المختمرة ثوريا ، هو الاضراب الكبير الناجح لعمال النفط في باكو ، في كانون الاول ١٩٠٤ . وبسبب التقتيل الوحشى ضد الجماهير ، حيث قتل اكثر من ١٠٠٠ عامل وجرح ٢٠٠٠ غيرهم ، اثناء خروجها بمظاهرة سلمية شارك فيها ١٤٠٠٠٠ علمل سارت أمام القصر الشتوي في بطرسبرغ في الثاني والعشرين من كانون الثاني « الاحد الدامى » ١٩٠٥ ، صبت

(*) اي وعي نقابي .
(**) حسب التقويم الروسي الجديد .

السلطات القيصرية الزيت على النار ، وعمت روسيا موجة متأججة من السخط . فأعلن عمال التعدين البواسل فى مدينة بطرسبورغ الاضراب ، وعلى اثرهم سار العمال فى طول البلاد وعرضها معلنين عن احتجاجهم بالاضرابات العمالية . وكانت موجة من الاضرابات عامة وثورية فى جوهرها . ففى شباط وحده اضرب اكثر من ٤٤٠٠٠٠ عامل . وقد ذكر لينين بان العدد الكلى للمضربين فى عام ١٩٠٥ بلغ ٢٨٠٠٠٠٠ ، اى اكثر من مرة ونصف مما قامت به الطبقة العاملة خلال الاعوام الماضية كلها(٨) . كما ان جماهير الفلاحين الغفيرة بدأت هى الاخرى تشارك فى الاعمال الثورية ، ولهذا السبب احرقت السلطات ٢٠٠٠ بيت فى الريف ووزعت اراضى اصحابها على الاقطاعيين . وانضم الطلبة ايضا الى تلك الحركة الثورية ، كما بدأ الشعب بتكوين السوفيتات فى المراكز المهمة . وفى نفس الوقت تصاعدت الحركة الوطنية فى بولونيا ، وتحولت نضالاتها الى انتفاضة ملتهبة .

لقد طالب العمال الروس بتحقيق يوم عمل من ثمان ساعات وبسقوط الحكومة القيصرية ، وبالدعوة لاجتماع تأسيسي . وكان ضغطهم الثورى قويا بدرجة اضطرت القيصر ان يكون في التاسع عشر من آب ١٩٠٥ دوما رجعية . ولكن الثورة واصلت عصفها بعنف ولم ينخدع العمال بتلك المناورة الجوفاء . ووصلت الحركة الى اعلى مستوى لها في كانون الاول ، حيث اعلن في موسكو عن حدوث انتفاضة مسلحة . ورغم ان الجيش القيصري بدأ يتردد في ضرب الجماهير . الا انه على أية حال اصلى انتفاضة موسكو بالرصاص ، وبذا اخذت الثورة ، امام الارهاب المتزايد ، بالانحسار .

كانت ثورة ١٩٠٥ ، كما وصفها لينين ، «تجربة عامة» للثورة العظمى الحاسمة والناجحة لعام ١٩١٧ . ان نضالات ١٩٠٥ عكست المفهوم النظري والتاكتيكي للبلاشفة ، ذلك المفهوم الذي طرحه لينين في الاعوام السابقة للثورة . فالعمال ناضلوا في سبيل القيادة داخل ثورة برجوازية ، وطوروا اتحادا نضاليا متينا مع الفلاحين ، وكان هدفهم المباشر تحقيق الدكتاتورية الديمقراطية للبروليتاريا والفلاحين . وكان البرنامج العام ، الذى طرحه لينين ، بميزاته الكبرى ، قد تحقق بنجاح بثورة اكتوبر العظمى عام ١٩١٧ . فماذا اخفقت ثورة

١٩٠٥ عن تحقيق النجاح ، فلأن الطبقة العاملة كانت ، في تلك الفترة ما تزال غير مطورة بدرجة كافية منظمتها السياسية ، ولان الجماهير الغفيرة من الفلاحين ما زالت غير ناضجة لخوض النضالات الثورية الطبقية ، ولان المنشفيك بسياستهم المضادة للثورة ما زالوا يتغلغلون بقوة بين صفوف الطبقة العاملة ٠

دور النقابات

ان الحركة الاضرابية لسنتي ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ ، والتي وصفها كروك بـ « اكبر اضراب جماهيري في العالم »[٩] ، قادها لينين وحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي مباشرة ٠ وفي عدة مراكز صارت السوفيتات المكونة لتوها قيادات مباشرة ، وكانت الحركة النقابية في العموم القوة الاساسية المنظمة في ذلك النضال الواسع ٠ ان سوفيات موسكو مثلا ، هيأ في العشرين من كانون الاول الاضراب العام الذي تحول الى انتفاضة مسلحة[١٠]٠ وقد ذكر لوسوفسكي بهذا الخصوص عن « تكوين مجموعات المبادرة ، ولجان الكومونات ، ولجان الاضرابات، ونقابات وسوفيتات مفوضي العمال في كل مكان »[١١] ، وقد اشتركت جميع تلك التنظيمات في الحركة الاضرابية المتطورة الكبرى ٠ وبالنظر للروحية الثورية للعمال ، واستعدادهم العالي للعفوية ، صار الحزب والنقابات في وضع يستطيعان فيه تطوير حد ادنى لمنظمة تخدم مسألة الاضرابات ٠

ورغم الارهاب الذي استمر سائدا ، بدأ العمال بتكوين نقابات علنية ٠ ومثلما ذكر لوسوفسكي ، فقد نظم طباعو موسكو انفسهم كأوائل في نقابة ٠ وبسرعة كبيرة حذت مهن اخرى حذوهم ــ الخياطون الدباغون ، عمال الاحذية والخ ٠ اما عمال السكك الحديدية والتعدين والنسيج ، الذين كونوا العمود الفقري في الحركة الاضرابية الكبرى بدأوا ايضا بتنظيم انفسهم ٠ وقال لوسوفسكي عن ذلك بأنه «لم توجد مدينة كبيرة واحدة في روسيا ، لم تنظم فيها ، عند نهاية عام ١٩٠٥ ، النقابات ٠ » بل ووجدت ايضا سوفيتات مركزية لمفوضي العمال في كثير من تلك المدن ٠ كل ذلك حصل بظل النظام القيصري الذي يطبق قانونا سن عام ١٨٧٤ تجرد بموجبه حقوق المواطنة

والملكية ، ويمارس بموجبه ايضا النفي الى سيبريا وهو يعتبر قيام الاضراب جريمة ·

في ايلول ١٩٠٥ عقد في موسكو اول كونفرنس نقابي لكل روسيا في تاريخ البلاد · وكتب لوسوفسكي يقول ، بأن وفودا من ٢٦ نقابة ومجموعة عمالية موسكوية مثلت ١٠ نقابات كانت مشتركة في الكونفرنس · كما سمح لممثلي صناديق المساعدة - العمالية بالمشاركة فيه ، ولم تبعد عن الكونفرنس غير النقابات القليلة التي كانت خاضعة لاشراف البوليس · وفي شباط ١٩٠٦ عقد ثاني كونفرنس نقابي لكل روسيا رغم الارهاب المتزايد الذي مارسته القيصرية المنتصرة · لقد اكد ماركواند ، بأن « عدد النقابات قد ازداد فجأة حتى صار عام ١٩٠٧ ، ٦٥٠ نقابة ، تضم عددا كليا من الاعضاء يبلغ ٢٥٠٠٠٠ عضوا ، وكان اكثر من ثلثهم عمال التعدين والنسيج »(١٢) · ان استقرار العمل النقابي كان غير مضمون ، فخطر المنع يهدد النقابات ، واعتقالات الشرطة كانت في اي وقت يمكن ان تصيب قادتها · وفي ١٩٠٧ فقط صدرت ١٠٤ من الاوامر التعسفية بحجز او مصادرة او حل نقابات عمالية ·

تأثيرات الثورة

لقد عكست ثورة ١٩٠٥ الروسية تأثيرات كبيرة جدا على عمال وشعوب العالم المضطهدة · وكانت قوة معنوية ضخمة بالنسبة للمناطق الاسيوية المستعمرة وشبه المستعمرة · فأعطت لحركة التحرر الوطني ، في ايران وتركيا ومصر والصين والهند وفي مختلف البلدان المضطهدة ، زخما نضاليا عظيما · واثرت ايضا على بدايات الحركات النقابية في تلك البلدان ، وحفزتها لمواصلة العمل النقابي وتطويره ·

ونشطت تلك الثورة الحركة النقابية في اوربا وامريكا ايضا · فكان العمال في كل مكان من العالم فرحين للأضرابات الجبارة التي وجهت نارها ضد القيصرية المطلقة ، مبادرة من البروليتاريا الناهضة ومن الفلاحين الفقراء في روسيا · وكانت الثورة محكا ايضا للمنظريات ، الماركسية والتحريفية ، التي كانت تتصارع في حينها داخل منظمات الاممية الثانية بأستمرار · وصار واحد من دروس

الثورة الكثيرة ، الاضراب الجماهيرى السياسى الذى سنتحدث عنه فى القسم التالى ، مسألة ذات أهمية حاسمة فى حياة الاممية ٠

وعن المدى الذي وصلت اليه النقابات الروسية بمرور الاوقات الصعبة بعد فشل الثورة يحدثنا لوسوفسكى ، بأنها صارت ، بسبب الاضطهاذ البوليسى العنفى ، الى « وجود مبلهل » ٠ ففشل الثورة كان بطبيعة الحال فشل النقابات ايضا ٠ ولكن الحركة النقابية انتعشت عام ١٩١٠ من جديد واصبحت نشطة بشكل ملحوظ ٠ وتحت القيادة السياسية البارزة للينين والحزب البلشفى ، استعادت الطبقة الروسية قواها بسرعة مذهلة ، وتجاوزت اثار الهزيمة المرة لثورة ١٩٠٥ ٠ وفى ١٩١٢ سار العمال من جديد ، وناضلوا ببسالة، لتمهيد الطريق الى نصرهم الجذرى والثورى فى اكتوبر ١٩١٧ ٠ ولكن العمال كانوا ما يزالون حتى هذا التأريخ فى وضع غير مناسب لأعادة تكوين حركة نقابية علنية ٠ قال لوسوفسكى ، بان ثلاث نقابات فقط ، تضم ١٥٠٠ عضو ، كانت موجودة فى روسيا فى بداية ثورة ١٩١٧ ٠

٢١ـ الجماهير ومسألة الاضرابات العامة

ان ثورة ١٩٠٥ الروسية اوضحت للطبقة العاملة بصورة جذرية ، بجانب الكثير من التعاليم الهامة ، المسالة المعقدة للاضرابات العامة • فمنذ سنوات عديدة ، ترجع الى بداية نشوء الحركة العمالية ، كانت هذه المسالة موضع جدل وخلاف ، واكتنفها الكثير من عدم الوضوح • ولكن ثورة ١٩٠٥ بينت بصورة خاطفة ما للاضرابات العامة من تاثير استثنائي • خصوصا عند نشوء وضع ثوري ، وجعلت مثل ذلك السلاح العظيم والسياسي المتطور فوق كل الاجراءات اليومية للحركة العمالية في العالم بضربة واحدة •

الاضراب العام في تاريخ الطبقة العاملة(*)

عندما بدأ العمال لأول مرة ، بتنظيم انفسهم ، وبتحسس قوتهم الاقتصادية ، وباجبار ارباب العمل ، من خلال الاضراب على الاعتراف بهم ، صاروا يعرفون الاضراب الجماهيرى كأداة لحل القضايا الهامة للطبقة العاملة ، وكان ذلك خطوة ايديولوجية بسيطة واحدة في تقدم الحركة العمالية • وفي الايام الاولى من نشوء الحركة العمالية انتقلت مسألة الاضراب العام ، بهذا الشكل او ذاك ، باستمرار الى رؤوس العمال • ففى انكلترا ، البلد الاصلى للحركة النقابية ، طرح صانع الاحذية ، النقابي المنظم وليم بنبو في كراسه « التعطيل الوطنى الكبير ولقاء الطبقات المنتجة »(**) الصادر عام ١٨٣٢ ، خطة لأجازة من شهر واحد ، او اضراب عام ، فى البلاد كلها(١) ، وهى فكرة لعبت ، كما رأينا فى القسم الرابع ، دورا مهما فى تاريخ الحركة الشارتية • ان خطة الاضراب العام كانت ايضا ، وعلى الاقل فى النطاق المحلى ، عاملا هاما فى الحركة النقابية فى الولايات المتحدة خلال الانتفاضة العمالية الكبرى عام ١٨٣٠ ، واشار مثال الاضراب العام الذى جرى فى فلاديليفيا عام ١٨٣٥ الى ذلك ايضا •

(*) الاضراب العام هنا وحيثما ورد فهو يرد بمفهوم الادب الماركسي ، أي اضراب جماهيري سياسى •

(**) فضلت ترجمة عنوان الكراس بالشكل اعلاه ، علماً بان عنوانه الاصلي في الانكليزية هو :

" Grand National Holiday and Congress of the Prod -
- uction Classes

ان التطور المنتظم والمنسق للحركة النقابية مر تاريخيا بأتجاه الاضراب الجماهيري . وهكذا ناضل العمال في المرحلة المبكرة من مكان عمل منفرد وبعد ذلك ناضلوا في مجموعات لورشات احياء معينة . الا انهم بالتدريج ، ومع توسع الصناعة والاسواق الوطنية، صاروا يشنون اضرابات وطنية في مهن وفروع صناعية كاملة والان اصبحت مثل تلك الاضرابات العامة تمارس على نطاق البلاد كلها ، وغالبا ما كان عمال المناجم والسكك الحديدية والنسيج والمرافىء وغيرهم من عمال مختلف مراكز الحركة النقابية العالمية، يشنون في البلدان الرأسمالية اضرابات عامة . وبتأثير الضغط العنيف الذي يمارسه ارباب العمل ضد العمال قامت بمرور الوقت اضرابات محلية عامة عديدة في مختلف أنحاء العالم . وادى الانعطاف التام ، نحو نضالات للعمال متوسعة دوما ، مباشرة الى الاضراب العام ، أو الجماهيري ، وهناك امثلة عديدة على ذلك سجلها تاريخ المجتمع العمالي في كل مكان . وتعتبر نضالات الاول من ايار الاممية ذروة ذلك التطور ، وتكمن اهميتها الخاصة بالنداء للأضراب العام ليوم واحد في جميع انحاء العالم .

خلال مرحلة الاممية الاولى (١٨٦٤-١٨٧٦) كان الفوضويون الباكونينيون دعاة مجاهرين للاضراب العام ، ولكنهم اعتبروه اداة معجزة بالنسبة لقضايا العمال . وطرحوا تلك المسألة باستمرار في مؤتمرات الاممية وقطاعاتها القطرية . وحاولوا ايضا ، في كل المناسبات، بنجاح مشكوك فيه، نقل شعارهم الى عمل وكان ذلك بشكل رئيس في اسبانيا وايطاليا . ان الفوضويين اقتدوا بالسنديكالية - الفوضوية واتخذوا منها « معلما » لهم في الاضراب العام ، واعتبروها ايضا الاداة الوحيدة لخلاص الطبقة العاملة التام . ومنذ أوائل التسعينات وضعوا الاضراب العام في الصدارة من كامل ايديولوجيتهم وبرنامجهم ، وعلى هذا الاساس بنوا مجموع نشاطاتهم . ولابد لنا من العودة الى تقييم تجاربهم بهذا الصدد .

ان الماركسيين كانوا على العموم ضد الدعوات الفوضوية والسنديكالية - الفوضوية بالنسبة للاضراب العام . وادركوا بان اعتباره كاداة معجزة لابد من أن يؤدي الى النظر اليه كبديل عن منظمة حقيقية وعن نضال طبقي فعال ، وعرفوا بأن شن اضراب

ناجح كان دائما شأن من شؤون منظمة متماسكة ، ويتطلب وضعا ناضجا وادمغة واضحة بين العمال · ولهذا لم يتعاطفوا مع عدم الوضوح النابع من العفوية الذى ينصح بجعل الاضراب العام الجواب على اى مسألة مهمة ، بل ويحصر فيه ايضا كل اعمال الطبقة العاملة · ان الحركة العمالية لم تكن ، في تلك المرحلة الاولية ، بوضع تستطيع فيه شن اضراب عام ناجح ، وذلك لان الاحزاب السياسية العمالية كانت لم تزل ضعيفة وغير متطورة ، والنقابات القائمة ، باستثناء انكلترا ، لم تضم فى الحقيقة غير قسم صغير فقط من الطبقة العاملة ·

كان لدى الماركسيين الاوائل حق برفضهم الاوهام الايديولوجية الفوضوية عن الاضراب العام ، ولكنهم كانوا احيانا يتباينون فى معارضتهم حول ما يتعلق بسياستهم الاخرى · ففى ١٨٧٣ طرح أنجلس فى مجلة « دولة الشعب » (٢١ تشرين الاول و ٢ و ٥ تشرين الثانى) تحليلا اعترض فيه على اعتماد الفوضويين الباكونينيين العفوية فيما يخص الاضراب العام · وقال بالنسبة لمثل هذا الاضراب بانه « يتطلب منظمة متكاملة للطبقة العاملة وصندوقا مليئا » ، وهو يعنى بان الحكومات الرجعية ستعمل جاهدة لعدم تمكين البروليتاريا من تحقيق ذلك · ولكنه اكد بانها (الطبقة العاملة) « لا تحتاج الى دورة فى الاضراب العام من اجل الحصول على هدفها »(٢) · من الطبيعى ان يكفى لشن اضراب كهذا ، وفى وضع سياسى متوتر يصبح فيه الاضراب العام ضروريا ، منظمة قوية فى الصناعات الاساسية · واليوم توجد حركات عمالية عديدة تملك تنظيما قويا ، وهى لهذا فى وضع تام يمكنها من صنع اضراب « عام » ·

خلال العقد السابق للحرب العالمية الاولى سقط القادة اليمينيون للأممية الثانية على هذا التحليل لأنجلس ، وقادوا الاممية الى دوامة مميتة بسبب موقفهم الرافض لكل محاولات العمال فى مسألة الاضراب الجماهيري · وقد لخص القائد الاشتراكي الديمقراطي الالماني آور معارضته فى جملة واحدة : « ان الاضراب العام هو هذيان عام » · وبالنسبة لأنجلس والاضراب العام قال ستالين : « ·· ولكن اولا ، لم ينتقد أنجلس كل اضراب عام ، بل فقط شكلا معينا واحدا من الاضراب العام ، وهو الاضراب العام **الاقتصادى** الذى دعا له الفوضويون

واقترحوه بدلا للنضال السياسي البروليتاري – فما هي اذن علاقته بأسلوب الاضراب العام السياسى ؟ »[٣] • فمنذ الثورة الروسية لعام ١٩٠٥ اظهرت الطبقة العاملة الروسية بقيادة لينين ، فى النظرية وفى التطبيق ، اهمية الاضراب الجماهيرى كسلاح فعال بيدها • ومنذ ذلك الحين صار الماركسيون معلمين حقيقيين في تطبيق ستراتيجى وتاكتيكى صحيح للأضراب العام فى المجال الوطنى ، او لنقول بتعبير ادق للأضراب الجماعيرى السياسى فى الصراع الطبقى •

اضرابات زيادة الاجور واضرابات تضامنية

ان تاريخ المجتمع العمالي الدولي مليء بالتقارير عن اضرابات جماهيرية ، محلية ووطنية ، شنت بسبب مطاليب الاجور او بسبب نصرة عمال مضطهدين ناضلوا فى سبيل مثل تلك المطاليب • ووجدت ايضا اضرابات تعاطفية عامة كثيرة ، وكان اغلب مثل تلك الاضرابات يجرى لفترة قصيرة معينة • وكان يوم الاول من ايار العالمى ، كما رأينا فيما مر ، واحدا من ابرز هذه الاضرابات الجماهيرية التعاطفية الاممية •

فى ايطاليا حصل كثير من مثل هذه الاضرابات – فى جنوا ١٩٠٠ . فلورنسا ١٩٠٢ ،روما ١٩٠٣ ، بارما ١٩٠٨ ، ميلانو ١٩٠٧ و ١٩١٣ ، واضرابات وطنية عامة في ١٩٠٤ و ١٩١٤ • وحدث فى تاريخ العمال الاسبان خلال الفترة من ١٨٧٠–١٩٣٠ الكثير جدا من الاضرابات الجماهيرية على النطاق المحلى والوطنى – سنذكر فيما بعد عددا منها – كان لبعضها اهدافا اقتصادية وسياسية وكذلك لأسباب تضامنية مترابطة فيما بينها • وكانت الاضرابات العامة المنطلقة من برشلونة عام ١٩٠٢ و ١٩٠٩ ذات اهمية خاصة • ففى هذين الاضرابين تحقق الكثير من المكاسب الاقتصادية والسياسية •

وكانت فرنسا منذ اواسط العقد التاسع ، وخصوصا فى فترة نهوض السنديكالية – الفوضوية ، ميدان عمل كبير للأضراب العام ، واثار القادة الفرنسيون هذه المسألة فى جميع مؤتمرات الاممية • وخلال السنوات السابقة للحرب العالمية الاولى اقدمت على محاولات عديدة للقيام بأضراب عام • ففى تشرين الاول ١٩٠٢ دعت

الـ سي٠ ج٠ ت الى اضراب عام اسنادا لعمال مناجم الفحم المضربين حينذاك ، ولكن النجاح لم يكن حليف ذلك الاضراب العام ٠ وفي ١٦٠٤ نشب في مرسيليا اضراب عام ، الا أنه انتهى بنجاح جزئي ٠ وخلال فترة نهوض السنديكالية ، وتنفيذا لقرارات مؤتمر عام ١٩٠٦ المنعقد في مدينة أمينس ، خاضت النقابات الفرنسية اضرابات تعاطفية - او تضامنية ، عديدة ، ولكنها لم تصل الى مستوى الاضراب العام الناجح ، لا على النطاق المحلي ولا في الصعيد القطري ٠ وباهتمام بالغ كرست النقابات الفرنسية جهودا للأول من ايار ايضا ، وعملت لتحويله الى يوم اضراب - ونضال حقيقي ٠ فمظاهرة ١٩٠٦ مثلا كانت عمليا اضرابا عاما شارك فيه ٢٠٠٠٠٠ عامل وهم يطالبون بيوم عمل من ثمان ساعات ٠

وفي امريكا اللاتينية اصبحت تلك الروحية الكفاحية سائدة ، فلم يخل بلد فيها من نشوب اضراب عام واحد او اكثر ، وكانت جميعها تقريبا ، تخلق عند حدوثها حالة شبيهة بحالة الحرب الاهلية٠ ففي تلك الفترة حصلت اضرابات عامة ، محلية ووطنية ، في الارجنتين ، شيلي ، بيرو ، اورغواى وبلدان اخرى ٠ وبعد الحرب العالمية حدثت في اليابان جملة اضرابات عامة كبيرة ٠

ولغرض ذكر بعض الاضرابات خلال تلك الاعوام فقط ندرج النماذج التالية : ١٨٨٦ اضراب عام في الولايات المتحدة في سبيل تحقيق يوم عمل من ثمان ساعات ، آب ١٩١٧ اضراب عام في استراليا ، شباط ١٩١٩ اضراب عام في سيتل (بولاية واشنطن) قام به ٦٥٠٠٠ عامل لأسناد عمال احواض السفن المضربين ، ايار ١٩١٩ اضراب قام به ٣٥٠٠٠ عامل في ونبغ (كندا) تضامنا مع عمال التعدين المضربين انذاك ، ١٩٢٦ اضراب عام تاريخي شارك فيه خمسة ملايين عامل في بريطانيا لأسناد عمال مناجم الفحم المضربين ، تموز ١٩٣٤ اضراب عام في سان فرنسسكو شارك فيه ١٢٥٠٠٠ عامل تضامنا مع البحارة وعمال الموانىء المضربين انذاك على امتداد سواحل الباسفيك ٠ وقد انتهت كل تلك الاضرابات بالفشل بسبب السياسة الخيانية التي مارسها القادة العماليون المحافظون ٠

الاضراب الجماهيري من اجل حق الانتخاب العام للعمال

ان النضال العمالي في اوربا من اجل حق الاقتراع كان بكل

بساطة سببا هاما لقيام الاضراب الجماهيرى · فقبل الحرب العالمية الاولى كان العمال فى اوربا ، ومنهم الالمان ، يرفضون سماع شيء عن حق الانتخاب السياسي ، ولهذا وضعت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، كلها تقريبا ، مسألة النضال من اجل حق الانتخاب « المتساوي ، السري ، المباشر والعام » في بلدانها على رأس برامجها القريبة· واوقف كثير من تلك الاحزاب قدرا معينا من النضال في سبيل تلك القضية · وبنشاط ايضا حلت تلك الحركة مسألة الاضراب الجماهيرى معها · من الطبيعى ان تسير النقابات بدرجة عالية نحو الاضراب الجماهيرى الذى كان بالنسبة لها شيئا لا غنى عنه

ان الطبقات الحاكمة رفضت وبعناد تام التسليم بحق الانتخاب للعمال ، وخصوصا فى الاوقات التى تعتقد فيها بان حق الانتخاب الحر للعمال يعنى القضاء المبرم على سلطتها الخاصة · ولما لم يبق اى طريق علنى برلمانى مفتوح امامهم للفوز بحق الانتخاب ، فقد وجه العمال اهتمامهم للأضراب الجماهيرى السياسى بأعتباره اداة لفرض حقهم على ارباب العمل المتغطرسين وعلى الحكومات السائرة بركابهم · وقد حصل ذلك خصوصا بعد الدور الحاسم الذى لعبه الاضراب الجماهيري في ثورة ١٩٠٥ الروسية ، ولكن الفوضوية ـ السنديكالية بما عُرف عنها من موقف مؤيد بشدة للاضراب العام ، لم تهتم الى ذلك التحول السياسى الكبير الذى طرأ على دور الاضراب العام ، وخالفت علنا تكتيكها المعلن ·

اما العمال الانكليز ، الذين اصبحوا طلائعا فى المسائل النقابية، فقد ناضلوا من اجل حق التصويت قبل غيرهم ، ومارسوا الاضراب الجماهيرى السياسى كوسيلة لتحقيق ذلك · وكان ذلك النهج قد وضع اساسه في برنامج الحركة الشارتية العظمى خلال اعوام ١٨٣٠ـ١٨٤٠ · وكما رأينا فى القسم الرابع ، فان الحركة الاضرابية البريطانية الكبرى فشلت بسبب قلة تجارب منظمة الطبقة العاملة والنواقص التى كانت تعانى منها · ولم يتمكن العمال البريطانيون من الفوز بحق الانتخاب الا بعد نضال دام عشرات السنين ·

ومن خلال الفشل سار العمال البلجيكيون ايضا ليحصلوا عام ١٨٩٣ بواسطة الاضراب على حق التصويت ، ولم يتأثروا بهذيان

القادة الاشتراكيين المحافظين ولم تثبط عزائمهم ثرثرتهم المتشائمة ٠ وفى ذلك الوقت استطاع ١٣٧٧٧٢ فقط ، من اصل السكان البالغ مجموعهم ٦ر٥٠٠٠٠٠ ، ان يمارسوا حق الانتخاب[٥] ٠ وواصل العمال شن الاضرابات الجماهيرية ضد الحكومة وارباب العمل وكان ابرزها فى ١٨٩٣ ، ١٩٠٢ و ١٩١٣ ٠ ولكن فقط اثناء النهوض الثورى بعد الحرب العالمية الاولى استطاعوا الحصول على حق الانتخاب المتساو ، وعلى تصفية ذلك النظام الانتخابي غير العادل تصفية جزئية ٠ اما العمال السويديون الذين واجهوا نفس الظروف غير الديمقراطية ، فقد شنوا عام ١٩٠٢ اضرابا عاما فى سبيل حق التصويت المتساو ، وحققوا ، رغم مواقف قادتهم المتخاذلة ، نجاحا جزئيا ٠ وفى عام ١٩٠٩ خاضوا اضرابا جماهيريا استمر شهرا كاملا من اجل مطاليب اقتصادية وفى سبيل حق الانتخاب ، وتمكنوا بواسطنه تحقيق مكسب ثانوى جديد[٦] ٠ وفى ١٩٠٣ قام العمال الهولنديون ايضا بأضراب عام كان دافعه مسائل اقتصادية فى البداية، ولكنه تحول الى المطالبة بحق الانتخاب ٠ وتحت التأثير المباشر للأضراب الجماهيرى في روسيا ، ترك العمال النمساويون فى تشرين الاول ١٩٠٥ كل صناعة البلاد مشلولة ، وطالبوا باضراب عام في سبيل تمتعهم بحق التصويت ٠ وبالتالي تمكنوا من تحقيق حق الانتخاب العام للرجال في كانون الثاني من عام ١٩٠٧[٧] ٠

وفى المانيا ايضا صمم العمال ، بتأثير المثل الروسى الكبير ، على وضع حد ، بأضراب جماهيرى ، لخسارتهم فى الانتخابات ٠ واصبح ضغطهم شديدا بحيث اضطر الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى مؤتمره المنعقد بمدينة يينا في ايار ١٩٠٥ ، واثناء ما كانت موجة ضخمة من الاضرابات تعصف خلف الحدود الروسية ، اضطر الى التسليم ، ووافق بتردد على خطة الاضراب الجماهيرى السياسى كأداة لحماية وتوسيع حق الانتخاب للعمال ٠ ولكن القيادة الانتهازية للنقابات ارادت ان تفعل شيئا بهذا الخصوص ، وقد سبق لها ان اتفقت مع كولن على ذلك قبل اربعة اشهر من عقد مؤتمر الحزب ، اى فى ايار ١٩٠٥ ٠ وعندما عرف القادة البيروقراطيون ما يرمى اليه الاضراب الجماهيري، حاولوا تشويهه فى النظرية والتطبيق[٨] ٠ وبسبب تلك المواقف صار قرار الحزب وليدا ميتا ، وكانت النتيجة بالتالي ان منع الكلاء

داخل النقابات الالمانية عن الاضراب الجماهيرى . ولذلك الخلاف بين النقابات والحزب تأثير سيء على الحركة العمالية سنتحدث عنه فيما بعد .

الاضرابات الجماهيرية ضد الحرب وفى سبيل الثورة

كرست مؤتمرات أممية عديدة ، للأشتراكيين وللحركـــات النقابية ، اهتماما كبيرا بالاضراب العام بأعتباره اداة لمنع الحروب الرأسمالية والتطوير الثورة الاشتراكية طيلة نصف قرن بـــكامله قبل الثورة الروسيـــة لعام ١٩١٧ . وكما سنرى فى القسم الرابع والعشرين ، فان الحركـــة العماليـــة العالميـــة ، ككل ، لم تقدر تلك القضيـــة المعاديـــة للحـــرب ، والتى بسبب اسقاطها حدثت المجازر الجماهيرية الرهيبـــة فى الحرب العالميـــة الاولى . ان ثورة ١٩٠٥ الروسية اتبعت خطا بهذا الصدد هو دليل واضحعلى اهمية الاضراب العام ، ولكن السادة المحرفين على رأس الاممـيـــة الثانيـــة لم يريدوا التعلم من « البرابرة الروس » .

ان الاضرابات العامـــة ابان ثورة ١٩٠٥ توجهت اساسا ضد الحرب وضد النظام الرأسمالى القيصرى . وحصلت فى روسيـــا حينذاك اضرابات عديدة وهامـــة مكنت الحركـــة من المحافظـــة على ثقلها ، وخاصة تلك الموجتين الاضرابيتين اللتين حدثتا فى تشرين الاول ـ تشرين الثانى . ولم يكتف العمال الروس بطرح المطلبين المذكورين من خلال تلك الاضرابات . وانما طالبوا في مختلف المراكز الصناعيـــة بجعـــل يوم العمل ثمـــان ساعات . وقال لينـــين بان ٤٤٠٠٠٠ عامل اضربوا فى كانون الثانى، وفى تشرين الثانى اضرب نصف مليون عامل مصنع و « مئات الالوف من شغيلـــة وموظفـــى السـكك الحديديـــة والبريد والهاتف »(٩) وكان عمال التعديـــن الفنيين وعمال السكك الحديدية قادة فى مجال الحركة الاضرابية . ان تلك الاضرابات الجماهيرية ، التى كان اغلبها بسبب مطاليب اقتصادية ، تحولت فى كانون الاول الى انتفاضة مسلحة ، سنتحدث عنها فى اقسام لاحقة .

لقد اكد لينين بانه من « غير المعروف فى البلدان الرأسمالية فى العالم (وحتى فى البلدان المتقدمة منها كانكلترا ، الولايـــات

المتحدة الاميركية والمانيا) ان حصلت حركة اضرابية ضخمة كما حصل في روسيا عام ١٩٠٥ » · وقال عن روسيا الثورية بان « النضال في سبيل تحسين مباشر وسريع للوضع المعاشي ، روج وحده وبمجمله الاستراتيجية المتأخرة للجماهير المستغلة ، وقدم لهم توعية حقيقية ، تحولوا فيها خلال فترة ثورية دامت بضعة اشهر الى جيش من المناضلين السياسيين · ولموجات الاضرابات الجماهيرية فقط ، والتي تشمل البلاد كلها ، ان توقظ ، بالارتباط مع مختلف مسائل الحرب الاستعمارية الروسية ـ اليابانية ، اوسع الجماهير الفلاحية من سباتها » اما روزا لوكسمبورغ ، التي اصبحت واحدة من ابرز المدافعين عن الاضراب الجماهيري ، وكتبت تاريخ الاضرابات الجماهيرية الروسية ، فقد وصفت اضراب كانون الثاني بـ « الخلفية العريضة للثورة »(١٠) ·

وكما رأينا ، فقد نشبت في الفترة بين الثورتين الروسيتين ١٩٠٥ـ١٩١٧ اضرابات جماهيرية في كثير من البلدان الاوربية · وكان الاضراب الثوري للعمال الاسبان ضد الحرب في مراكش عام ١٩٠٩ من ابرزها واهمها · فقد هب عمال برشلونة الثوريون لإعلان اضراب عام ضد الحرب في ٢٦ تموز ، وشارك في ذلك الاضراب اكثر من ٣٠٠٠٠٠ رجل · وكان قرار المناطق الاخرى شاملا مما وسع الاضراب وساعد في انتشاره الى كل انحاء اسبانيا· وفي ٢ آب تحول الى اضراب وطني عام ، ولكنه احبط بسبب الضغط العنيف الذي مارسته الحكومة(١١) ·

لقد اثارت الثورة الروسية العظمى لعام ١٩١٧ موجة من الاضرابات الجماهيرية الوطنية في بلدان شرق ووسط اوربا ، كانت بهدف تصفية الحكومات الرأسمالية تصفية تامة · وفي روسيا نفسها حلت المرحلة الاولى للثورة ، المرحلة البرجوازية الديمقراطية ، بواسطة اضراب جماهيري سياسي قام به العمال · في ٢٢ كانون الثاني بدأ ذلك الاضراب في مدينة بطرسبورغ اولا ، ومن ثم شمل في ايام قليلة موسكو ومدن أخرى · وفي ٣ اذار بدأت موجة جديدة من الاضرابات في مصانع بوتيلوف في بطرسبورغ ، ولكنها سرعان ما توسعت كثيرا واتخذت ، بقيادة البلشفيك ، طابع الانتفاضة · وفي ٢١ اذار رفضت القطعات

العسكرية القيصرية اطلاق النار على العمال ، فأنتصرت الثورة البرجوازية • وكانت المرحلة الثانية للثورة ، مرحلتها الاشتراكية، قد اكملت في ٧ تشرين الثاني(*) ، عندما وقف البلاشفة على رأس العمال المسلحين باحتلال المصانع •

ونشبت في ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ ، اي قبل هروب القيصر من البلاد بأربعة ايام ، الثورة الالمانية ، وقد هيأت لها سلسلة الاضرابات والانتفاضات التى حدثت فى الفترة الاخيرة للحرب • وبمروز العام المتالى ، وبينما رفض الزعماء الاشتراكيون الديمقراطيون التحريفيون استلام السلطة والعمل لبناء الاشتراكية، خاض الالمان اضرابات جماهيرية كثيرة اخرى • وسنعود للحديث، فى الاقسام اللاحقة ، عن الثورة الالمانية والروسية وعن دور النقابات فيهما •

الاضراب الجماهيرى ، سلاح بيد الطبقة العاملة

ان قائمة الاضرابات الجماهيرية الطويلة فى تاريخ المجتمع العمالى ، تشير الى ان العمال ، فى جميع البلدان وفى اوقات النضالات الحادة ضد ارباب العمل ، يستخدمون ، بصورة غريزية، اسلوب التعطيل العام للصناعة ، بأعتباره احد الادوات الفعالة لتحطيم مقاومة الرجعية وشل ادواتها • كذلك فان تشاؤم القادة لم يمنع العمال من ممارسة الاضراب الجماهيري • وقد التجأ العمال مرات ومرات ، وتحت ضغط الظروف الصعبة ، الى الاضراب الجماهيرى السياسى ، رغم انهم لم يحققوا فى كل المرات نجاحات سارة • وفقط بعد الاضرابات الجماهيرية الكبرى خلال الثورتين الروسيتين ، ١٩٠٥ و ١٩١٧ ، صارت الاضرابات الجماهيرية معترفا بها كقوة ضخمة ، اقتصادية وسياسية ، وذات تأثير شامل •

ان شن اضراب عام امر لايمكن اسقاطه من الحساب اعتباطا ، كما ان البدء به لا يمكن ان يكون دون سبب • والاضراب الجماهيرى سيف ذو حدين ، فيمكن تحويل استخدامه الى اجراء يضر العمال

(*) ٧ تشرين الثاني توافق ٢٥ تشرين الثاني حسب التقويم الروسي القديم •

اكثر مما ينفعهم اذا لم يحسن استعماله • انه سلاح ، ولكي يتحول فعالا ، يجب الاحاطة به بقوة ، واستخدامه بتصميم • وقد ورث العمال في مساعيهم لشن اضرابات عامة ، احدى الشوائب الوراثية الخطرة ، والتي تكمن في التردد والموقف المخياني لقادة عماليين اشتراكيين ديمقراطيين انتهازيين متواجدين في جميع البلدان • وبدافع الخوف من القوة العظيمة للحركة التي يتوودونها ، فانهم لم يألوا جهدا في اخفاء هذه القوة ، وسببوا للطبقة العاملة في جميع الاوقات اضرارا بالغة • •

ان الاضراب العام - او الجماهيري - ، هو بالاساس سلاح سياسي ثوري • فالتعطيل التام للانتاج في بلد ما هو بالنسبة للمجتمع الرأسمالي شيء ذو اهمية حاسمة ، وفي حقيقته مسألة هجوم على السلطة السياسية • والاضراب العام نضال سياسي بالدرجة الاولى • وتنظر الدول الرأسمالية الى مثل تلك الاضرابات كنظرتها الى اعلان كفاح منسق ضد سلطتها السياسية ، وهي تحاول ، تبعا لذلك ، تصفيتها بكل الوسائل القمعية التي تملكها • ذلك هو الدرس العام الصائب الذي يعلمه تاريخ الحركة العمالية خلال القرن والنصف الاخير •

وبالطبع فقد حصلت عدة اضرابات احتجاجية ، وكانت ، بشكل اعتيادي ، محلية ولايام قليلة معينة فقط ، مما لم تدع الدولة الى استخدام تاكتيكاتها القمعية المتطورة كلها لكسر تلك الاضرابات • وحصلت ايضا بعض الاضرابات العامة في نطاق قطر من الاقطار ، فقبلها القادة الاشتراكيون الديمقراطيون ضمن خط متخوف يعتمد على الرخصة والتراجع ، ونظرت اليها الطبقات المالكة نظرة عدم اكتراث ، ولهذا لم تمارس الدولة ضدها كل قوتها القمعية •

ولكن من الاعتيادي بالنسبة للعمال - وهذه تجربة عامة حصلوا عليها - ان ينتظروا اعمالا معادية اكثر تصميما تقوم بها الدولة ضدهم وتعمد لتحطيم اضراباتهم ، باستخدام العنف من الخارج او بواسطة استدعاء المخونة من الاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين من الداخل ، اذا ما هم افلحوا في التحضير والتنظيم للقيام باضراب محلي او وطني ذي شأن •

وبالنسبة الى موضوع تحطيم الاضرابات ، فان جميع البلدان الرأسمالية وخاصة الكبيرة منها ، لا سيما الولايات المتحدة ، تعمل لتشريع القوانين التى تشل عمل النقابات • والرأسماليون يأملون عبثا ، جعل مثل تلك القوانين مانعا لقيام الاضرابات الجماهيرية • ولكن التاريخ يشير الى ان عنف الدولة ومنعها للاضرابات لا يثني العمال عن ممارسة سلاحهم ، الاضراب العام والاضراب الجماهيرى ، بل يجعلهم يزيدون من تصميمهم لخوضها• وحيثما يكون العمال مستعدين للنضال ولديهم قيادة حازمة ، فسوف لا تجدى القوانين الرجعية شيئا •

× × ×

٢٢ـ السنديكالية ـ الفوضوية واحدة من الحركات العالمية ١٩٠٦ ـ ١٩١٤

نشأت السنديكالية ـ الفوضوية في فرنسا ، وهناك تطورت الى احدى الحركات المنظمة . وفي المؤتمر المنعقد في مدينة امينس عام ١٩٠٦ وصلت ، كما لاحظنا في القسم السابع عشر ، الى نضجها الايديولوجي . وبعد ذلك سار انعطاف الحركة في النطاق العالمي ، واخذ يتمثل ، حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ، بحركة نقابية واحدة تتباين مواقع اقدامها في القوة والضعف . وشرعت السنديكالية ـ الفوضوية ، في تلك الفترة ، بمحاولة للسيطرة على الاشتراكيين الديمقراطيين وعلى الماركسيين بنطاق العمال المنظمين على اساس اممي .

وجد اساس السنديكالية ـ الفوضوية ، في مراكزها الرئيسية ـ فرنسا ، اسبانيا ، وايطاليا ـ ، خلفيته الايديولوجية بين عمال تلك البلدان ، في البرودونية والباكونينية ، وحيث التخلف الصناعي كبير ، والنسبة العالية جدا من التوزيع الصناعي يدوية ، كما وجد فيها تأثير سابق للسلطة الكاثوليكية في الحياة الاجتماعية وعلى بعض النواب الاشتراكيين الديمقراطيين . ولكن ، وبفضل التوسع الدولي الهام الذي حققته السنديكالية في الاعوام السابقة للحرب ، استطاعت الحركة ان تبرهن كلية على انها كانت في وضع يسمح لها بتثبيت اقدامها في البلدان الرأسمالية الاحتكارية مثل الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى .

استطاعت السنديكالية ـ الفوضوية ان تطور توسعها الاممي ، وذلك لانها عرفت كيف تعطي الجواب المناسب على كثير من قضايا الطبقة العاملة ، وخصوصا على تلك التي نشأت بسبب نشوء الاستعمار . اما الاشتراكيون الديمقراطيون ، الذين صاروا اكثر من ذي قبل فريسة للانتهازية المبشعة ، فقد اتضحت عدم قدرتهم على مواجهة تلك القضايا . وهكذا ظهر لمجموعة كاملة كبيرة من العمال ، بان الموقف السياسي للسنديكاليين هو الجواب الصحيح على تلك الطغمة من السياسيين التحريفيين ، واخذوا بالابتعاد شيئا فشيئا عن الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ،

بعزلها اينما وجدت وتجريدها من قوتها الحقيقيـــة • ان «عملهم المباشر » الفعلي ، ظهر كاختيـار جريء بوجـه النشاطات السياسية الخانعة للاشتراكيين الديمقراطيين • وكانت نقـابـاتهم الصناعية ، الطراز النقابي الوحيد القادر على مجابهة التروستات بالنضال ، بينما ظلت الاتحادات المهنية تافهة وتعاني في الكثير من البلدان من مساوىء الاشتراكيين الديمقراطيين • ومن خلال النجاح البليغ الذي تحقق عــلى اثر الاضراب الجماهيري السياســي ابـان الثورة الروسية لعام ١٩٠٥ ، نشب اضراب عـــام نظمـه السنديكاليون ، وكان ردا معقولا وفعالا بوجه خطر الحرب الماثل للعيان ، ودليلا على رغبة العمال في تصفية الراسمالية بوجه عام وفـــي ذلك الوقـــت ايضا • وعلى هذا صار السنديكاليون في وضع يمكنهم من تكوين منظمة كفاحية للعمال ، وانتهاج سياسة معادية لجبهة الاشتراكيين الديمقراطيين المساومين والتحريفيين المهزوزة ، وبفضل شعاراتهم حول تلك القضايا الهامة توسعوا كثيرا • لقد كانوا قوة اساسية في الميدان ، في الوقت الذي كان فيه الشيوعيون ، بقيـادة لينـين العظيمة ، قوة اممية للحركة العماليـــة ، ولكن في بداياتها الاولى فقط •

اخذ السنديكاليون في العـديد من البلدان موقف الجناح اليساري في المجتمع العمالي ، ومارسـوا بكل تأييـــد تأثيرا قويا بين اوساط العمال • ولم ينطبق ذلك على الحـركة العماليـة فقط بـل على كثـير من الاحـزاب الاشتراكيـــة والديمقراطيـــة • واصبح تصريح مؤتمر شتوتغارت للاممية الثانية عام ١٩٠٧ معروفا باتجاهه السنديكالي ، فقد طرح الوفد الفرنسي للحزب الاشتراكي مسألة العلاقات بين النقابات والحزب للمناقشة في المؤتمر ـ ومن اكثر ما نوقشت تلك المسألـة في المؤتمـرات حينــذاك باعتبـارها قضية سنديكالية ، كانت تدان وترفض باستمرار • وعندما اعـد الجناح اليســاري في الحزب الاشتراكي الاميركي عـام ١٩١٢ برنامجا ، على شكل كراس بعنوان «الاشتراكية الصناعيـــة» وكان بقلم وليام د • هايوود ووليام أي بون ، جاء ايضا وثيقة سنديكالية بجوهره وحصل مثل ذلك الانعطاف في احزاب اشتراكية اخرى • ورغم نقاط الضعف العديدة ، ورغم عـدم الوضـوح ، فقـد كانت

للسنديكالية ـ الفوضوية علاقات معينة مع الحركة الشيوعية فـــي عدد من البلدان التي نشأت فيها حركة شيوعية خلال العشرينات ، باعتبارها منظمة للجناح اليساري • ان الاحزاب الشيوعية نشأت، مع ذلك ، من الاحزاب الاشتراكية وليس من النقابات السنديكالية •

السنديكالية الفوضوية في البلدان الرومانية

في فرنسا ، اقتفت ال سي • ج • ت خصوصا ، نهجا كفاحيا منذ مؤتمر اميَن Amiens عام ١٩٠٦ • ففي ذلك العـــام شنت بمناسبة الاول من ايار نضالا كبيرا • وعن ذلك قال ليفينه Levine بان « الاول من ايار وجد باريس في حالـــة حصـــار »(١) • فمنذ ايام الكومونة لم تتواجد في باريس قطعات عسكرية كبيرة ، مثل ما كانت عليه في ذلك اليوم مطلقا • ورغم ذلك فقد كان عدد المضربين ٢٠٢٫٥٠٧ عمال من ٢٣٨٥ معملا • وفي الاضرابات العديدة التي قامت في الاعوام اللاحقة ، حصلت صدامات مختلفة مع الشرطة والكتائب العسكرية ، وقتل فيها عدد كبير من العمال • وكان عمال المهـــن الانشائية يكونون القطاع الاكثر ثورية في الـ سي• ج• ت ، حيث شنوا في باريس وفي بقية المدن الاخرى سلسلة من الاضرابات المحلية ذات التأثير الكبير •

كان اضراب عمال السكك الحديدية الذي اعلن على غير انتظار في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٠ في باريس ، أهم اضـــراب في فرنســا خلال الفترة السابقة للحرب • وقد نشب بسبب مطاليب عماليـــة لزيـــادة الاجور والتقليص وقت العمل • وعلى اثر دعوة اللجنـــة القيادية عمال السكك الحديدية للاضراب العـــام ، تعطلت كثير من الخطوط الهامة • ومن الجدير ذكره ، ان رئيس الوزارة الفرنسية وقتذاك ، كان الاشتراكي المرتد ، والداعية الكبير للاضراب العام ســابقا ، Aristide Briand ،قد امر باعتقال لجنـــة قيادة الاضراب ، ونادى عمال السكك الحديدية ليكونوا جنودا تحــت الرايـــة ، وجند الكتائب العسكريـــة ضد المضربين • وقد ضرب الاضـــراب • ان نقابـــة عمـــال السكك الحديديـــة التي قادت ذلك النضال ، كانت ايضا واحدة من النقابات المحافظـة فـــي الحركـــة العمالية الفرنسية •

في تلك الفترة بالذات استطاعت الـ سي٠ ج٠ ت ان تلفت اليها انتباه كل العناصر المناضلة في العالم ، ليس فقط انتباه اولئك المؤيدين لوجهات النظر الفوضوية ، بل وحتى عددا كبيرا من الاشتراكيين اليساريين٠ وقد تأثرت تلك القوى بجهادية الـ سي٠ ج٠ ت وبسياستها العامة النشيطة ، وبنضالها الجريء ضد الانتهازيين في الحزب الاشتراكي ، وباستخدامها لسلاح الاضراب الفعال ، وبشكلها الجديد في التنظيم العمالي وفي تاكتيكها النضالي ، بمجاهرتها العنيدة في النضال ضد العسكرية ، وبتحذيراتها المتكررة ، عن نشوب الحرب الذي لابد ان يجابه باضراب عام ثوري ، وبمشاريعها لبناء المجتمع الجديد على اساس النقابات٠ ولهذا كله ارتفع عدد عضوية الـ سي٠ ج٠ ت من ١٥٠٫٠٠٠ عضو في عام ١٩٠٤ الى ٤٠٠٫٠٠٠ عضو عام ١٩١٢ ٠

وفي ايطاليا ايضا حققت السنديكالية الفوضوية في العقد السابق للحرب العالمية الاولى ــ وهي متبعة الشكل الفرنسي ــ نموا هاما ٠ فشنت خلال عام ١٩٠٧ مثلا ، اضرابات شارك فيها ٥٧٥٠٠٠ عامل ٠ وكان مركز الحركة السنديكالية في مدينة بارما ٠ وفي عام ١٩٠٨ وجد السنديكاليون انفسهم في وضع متين يمكنهم من شن اضراب عام في اي اقليم من الاقاليم(*) ٠ وقد وقفت وراء ذلك الاضراب العظيم ، الحركة العمالية بكاملها ، الا انه فشل بعد معارك مريرة ٠ فالنقابات الايطالية والحزب الاشتراكي كانا في ذلك الوقت بأيدي الاصلاحيين (بعكس اخوانهم الذين اشرفوا في فرنسا على الحركة النقابية) ، لهذا ترك السنديكاليون ــ الفوضويون الحزب الاشتراكي وانفصلوا بالنقابات التي بقيادتهم ، وانشأوا حركة نقابية سنديكالية ــ فوضوية ٠ وبعد تجمع قواهم الضعيفة أسسوا عام ١٩١٢ اتحاد السنديكاليين الايطالي ، وكان عدد اعضائه ١٠١٫٧٢٩ عضوا ٠ وفي ذلك الوقت كانت المنظمة النقابية الاشتراكية للعمال ، اتحاد النقابات العام (سي ٠ ج ٠ ل) ، تضم ٣٢٠٠٠٠ عضو ٠ وكان النظريون السنديكاليون الفرنسيون ، وعلى رأسهم لاغارديل وسوريل ، على اتصال دائم بالحركة الايطالية(٢) ٠

(*) بارما هي عاصمة اقليم ايطاليا العليا ، الذي اسمه بارما ايضا ٠ (الناشر الالماني) ٠

اما في اسبانيا ، البلد الذي ترجع فيه الحركة الفوضوية الى ايام الاممية الاولى، فقد ثبتت الحركة السنديكالية ـ الفوضوية اقدامها اكثر مما في ايطاليا • لهذا فان اتحاد النقابات الوطني (سي• ن• ت) ، الذي تأسس عام ١٩١٠ ، لم يلعب في الحركة العمالية الاسبانية حتى عام ١٩١٦ ، دورا مهما • واتخذت الحركة السنديكالية الاسبانية ، كما هو ايضا شأن جاراتها في البرتغال وايطاليا ، من الـ سي• ج• ت الفرنسية مثلا لها في التركيب والتاكتيك والفلسفة • وانخرط في تلك البلدان فوضويون بالنقابات ، وكونوا ، وهم من ابناء الطبقة العاملة ، عنصرا اساسيا في الحركة السنديكالية ـ الفوضوية •

وفي بلدان اميركا اللاتينية كونت الحركة السنديكالية ـ الفوضوية ايضا عاملا هاما في الحركة العمالية الجماهيرية ، وخصوصا بين العمال المهاجرين من اسبانيا وايطاليا والبرتغال • وكان الفوضويون السنديكاليون طلائع بناء النقابات في تلك المناطق البعيدة • اما الحركة الاشتراكية فكانت على العموم ضعيفة ، وذلك لان الاممية الثانية لم تهتم ادنى اهتمام بتأسيس احزاب ونقابات في المناطق المستعمرة وشبه المستعمرة في العالم، خاصة في الاعوام السابقة للحرب العالمية الاولى • كما ان الحركة الشيوعية وقتذاك لم تكن قد نشأت بعد • وكان السنديكاليون ، خصوصا في الارجنتين ، شيلي ، المكسيك وبوليفيا ، نشطين ، ولعبوا في النقابات الاولى لبلدان اميركا اللاتينية دورا هاما •

منظمة عمال الصناعة الاميركيين العالمية والسنديكالية

ان المنظمة الرئيسية للسنديكالية ـ الفوضوية في الولايات المتحدة كانت منظمة العمال الصناعيين العالمية التي تأسست بمدينة شيكاغو في ٢٧ تموز من عام ١٩٠٥ • وقد حصلت على مقومات نشوئها من خلال تمردها ضد الرجعية ورفضها الخدان البيروقراطيين النقابيين الغومبرسيين • فالقادة الغومبرسيون تمسكوا بنقاباتهم المهنية وبتطبيقاتهم المخادعة القذرة في التعاون الطبقي ، انسجاما مع ما تريده التروستات النامية باندفاع ، والتي عملت على تطبيق سياسة الـ الاوبن ـ شوب الجائرة في الصناعات

من جانب ، وعلى مواصلة ارشاء القيادة النقابية بمساعدة الاتحـاد الوطني لسـكان المدن من الجانب الاخر . وكانت منظمـة عمال الصناعـة العالميـة جوابا واضحا قدمه العمال لذلك اللملوم مـن الخونة والمتعفنين .

وصارت تلك المنظمة توجه ، ومنذ البدايـة ، من قبل القادة الاشتراكييـن اليساريين : يوغن ف.دبس ، ووليام د.هايوود ودانيال دى ليون . ان الاربعة والثلاثين منظمـة ، والتي عقـدت مؤتمرها التأسيسي[٣] بأشتراكها فيه ، كانت تضم مجتمعة ٩٠٠٠٠ عضو ، وكلها نقابات بقيادة الاشتراكيين الذين اغلبهم يساريون. وقد اقر ذلك المؤتمر برنامجا دعم فيه الاعمال السياسية ، ولكـن دون ارتباط بحزب سياسى . وكان البرنامج هجوما كاسحا عـلى القادة الرجعيين للنقابات المهنية من الطراز الغومبرسى ، وتأكيدا للأهمية البالغة للنقابات الصناعية .

وقد اظهر برنامج المؤتمر الاول لمنظمة عمال الصناعة العالمية ملامح سنديكالية ، خصوصا فى المقطع الذى يرى ، ان على العمال ، بمساعدة منظمتهم الاقتصاديـة ، « ان يأخذوا ويثبتوا ما انتج بعملهم دون اتصال بحزب سياسى ما » . وقد عين دى ليون ، الذى كان نفسه نصف سنديكالى ، تلك الصيغة . وفى المؤتمر الرابع المنعقد عام ١٩٠٨ تقررت تلك المقولة بصيغة جديدة ، تحدد فيهـا الاتجـاه السنديكالي بصورة اوضـح ، واصبح بامكان المرء شطب الجمل السياسية تماما ،كما ادرجت الجملة السنديكالية الشهيرة : « عندما ننظم انفسنا صناعيـا ، ننشىء التركيب لنظـام المجتمع الجديد من داخل قشرة المجتمع القديم »[٤] .

وعندما قبـل الفوضـويون البروليتاريون بمنظمـة عمـال الصناعـة العالميـة ، وكان ذلك تحت تأثـير بيّن للسنديكاليين الفوضويين ، وخصوصـا تحت تأثير الـ سى. ج. ت الفرنسـية ، ساعدوا بالضغط على قبول برنامج سنديكالى . ان حقيقـة كون الملايين العديدة من العمال الاجانب الذين كان القسم الاكبر منهم محرومين من حق التصويت ، انحازت الى منظمة عمال الصناعـة العالميـة وكانت عاملا هاما يعكس ارادة العمال ضد السياسـة الانتهازية لقادة الحزب الاشتراكى . ولكن دى ليون ودبس اعتمدا

على اسس مختلفة ، هي ابعاد المنظمة عن السياسة ، فكره اعضاؤها النشطون القادة الاشتراكيين اليمينيين سريعا مثلما كرهوا البيروقراطيين النقابيين الغومبرسيين • وكما في الكثير من البلدان ، حيث منحت الجماهير ثقتها للجناح اليساري للحزب الاشتراكي ، الذى عبأ العمال المهاجرين بصورة رئيسية حوله ، فقد حصل في الولايات المتحدة ايضا تعاطف كبير ازاء منظمة عمال الصناعة العالمية ، ولكن دون الانضمام المباشر لها •

لقد خاضت منظمة عمال الصناعة العالمية نضالات اضرابية عديدة ومريرة • واصبح بعضها معروفا جيدا في التاريخ العمالي في الولايات المتحدة • وكان الاضراب الطويل لعمال النسيج الذى شارك فيه ٢٣٠٠٠ عاملا ، والذى نشب عام ١٩١٢ في مدينة لاورنس بولاية ماساشوست ، واحدا من اهمها • لقد حظي ذلك الاضراب الدرامي باهتمام دولي كبير • وفوجئت الملايين من العمال بالروحية الكفاحية العامة للمنظمة • ولكن منظمة عمال الصناعة العالمية . التي شلت بسبب عدم كفاءة الطراز السنديكالي . لم تضم في صفوفها ، بعد سبع سنين من العمل الشاق ، غير فقط حوالي ٦٠٠٠٠ عضو ، وذلك في الاول من كانون الثاني عام ١٩١٧(٥) ، اى عشية دخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الاولى • والى هنا نترك هذه المنظمة مؤقتا •

هناك عناصر ذات اهمية ثانوية بالنسبة للحركة السنديكالية الاميركية ، وهي : الرابطة السنديكالية لأميركا الشمالية التي تأسست عام ١٩١٢ ، والرابطة الاممية للتوعية النقابية التي بدأ تنظيمها عام ١٩١٤ • وكان مؤلف هذا الكتاب سكرتيرا عاما لكليهما • وقد اختلفت تلك المنظمتان مع منظمة عمال الصناعة العالمية بنقطتين هامتين سببتا الانشقاق عنهما ، اولهما : كانت تلك المنظمتان ضد المفارقات في السياسة النقابية لمنظمة عمال الصناعة العالمية ، حيث ضغطت على العناصر المناضلة واخرجتها من نقاباتها الجماهيرية المحافظة ، ولكنها جمدتها في انعزالية يسارية عقيمة ، وثانيهما : موقف المنظمتين الرافض للنظرية السنديكالية القائلة حينذاك ، بان النقابات ستتحول في المستقبل الى منظمة انتاج في نظام المجتمع المقبل • وكانتا مع رأى خلاصته ، ان منظمة

الانتـاج يجب ان تكون ذات طراز مختلف تماما ، يجب ان تخلق اداريها ، مهندسيها ، واجهزة مراقبتها الخاصة(٦) .

الحركة السنديـكالية البريطـانيـة

عاشت بريطانيـا العظمى في الفترة من ١٩٠٥ـ١٩١٠ تطورا سابقا لأوانه وليس بذي اهمية كبيرة ،حيث نشأت منظمة عمال الصناعة العالمية هناك . ولكنها ايضا تعودت بكثير من الروعـة ، ان تتعرف على الحركـة السنديكالية ـ الفوضويـة ، والتي كانت خصيصة من خصائص الفترة لما قبل الحـرب العالميـة الاولى . ففي ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٠ اتخذت رابطة تكوين العمال الصناعيين السنديكاليين في مدينـة مانشستر اول اشكالها التنظيميـة(٧) . وكان المحارب القديم ، والمحنك الذي اوقف حياتـه كلها للنضال في سبيل الحـركة العماليـة ، والذي لعب دورا هاما في اضـرابات عمال المرافىء اللندنيين عام ١٨٨٩ ، المناضل توم مان ، قائدهـا البارز . لقد استقبلت تلك الحركة لدى اول اعلان عن قيامهـا بالدعم الكبير من الاعضاء البسطاء في الجناح اليسارى ، وكذلك من قادة نقابييـن تقدميين عديدين ، مـن بينهم جورجى هكس ، جى.ف.ويلس ، جون هاملتون ، دبليو . أج. ماينوارنغ ، نوح أبليت ، أى . جى . كوك ، دبليو . دبليو . كرايك ، أى . أى . بورسيل وغيرهم(٨) . وقد القت رابطة تكوين العمال الصناعيين السنديكاليين بثقلها لتوحيد النقابات المهنية بالنقابات الصناعية على اساس سياسة اضرابيـة كفاحيـة وموحدة التنسيق ، وظلت تدين على العموم بأفـكار السنديكاليين الفرنسييـن . وقد ركز السنديكاليـون البريطانيـون جل جهودهم ، بعكس منظمـة عمـال الصناعة العالميـة الاميركية ، على النشاط من داخل النقابـات القديمة .

وبسرعة بالغة اصبح السنديكاليون البريطانيون قوة محركة في الحركة العمالية . فالنقابات كانت ناضجة للوجبة وللأعمـال الاضرابية الهجومية ـ ووقف عمال بريطانيا العظمى ، مثل غيرهم في البلدان الرأسمالية الكبرى ، امام قضايا ملحة هي حصيلـة لنهوض الرأسمال الأحتكارى والاستعمار . ولكن بيروقراطيـة

النقابات الاشتراكيـــة الديمقراطيـــة ، بمفاهيمها حول التعاون الطبقى فى الصناعة ، وبنقاباتها المهنية العتيقة ، وباعمالها عديمة التأثير سياسيا فـى حزب العمال ، لم تستطع ان تقدم للعمـــال قيادة حقيقيـة • وكانت الظـروف تدعـو لسيادة جنـاح يســاري يشغل ، بدل السنديكالية ـ الفوضوية ، مواقع القيادة الفارغـة ، ولهذا بدأت الماركسية اللينينية ، شكلا مقبولا ، وظهرت فى روسيا اولا •

وفى الفترة من ١٩١٠ ـ ١٩١٤ حققت الحركة العماليـــة البريطانية تقدما سريعا لايوصف(٩) • وشننت عدة اضرابـــات ناجحة كان من اهمها اضراب السكك الحديدية واضراب عمـــال النقل والمناجم • فتلك الاضرابات الناجحـــة شلت اقتصاد البلاد تماما ، وتركت الطبقة الحاكمة البريطانية فى رعب قاتل ، واثرت كذلك على معنوية الدخلاء على الطبقة العاملة من عملاء السلطـــة المخلصين ، الذين دقوا ، مثل اسيادهم ، ناقوس خطر الطبقـــة العاملة البريطانية • واتوسع الهجوم الكبير للعمال ليشمل ايرلندا ايضا ، وكان الاضراب الجماهيرى لعمال النقل فى دبلن ، والذى قاده جيم لاركن ، واحدا من الاضرابات العنيفة لتلك الفترة •

وتوسعت النقابات بقوة وبسرعة ، وجرت معها قوى جديدة من العمال غير المتعلمين والنساء • فأزدادت عضوية اتحاد عمـــال المناجم فى سنة واحدة من ١٦٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠٠ عضو • وخلال الفترة من ١٩١٠ ـ١٩١٥ تزايدت اعداد اعضاء التريديونات مـــن ١٫٦٤٧٫٧١٥ الى ٢٫٦٨٢٫٣٥٧ • واذا عرفنا بأن كثيرا من النقابات لم تنضم الى التريدويونات ، لعرفنا كم هو كبير مجموع عدد اعضاء النقابات البريطانية • وقد جرت ايضا حركـة توحيد قوية داخل النقابات ، ونمت الافكار المطالبة بالنقـابات الصناعيـة في كل مكان من البلاد • وكانت اهميـــة ذلك التطور كبيـــرة ، لا سيما وان النقابات المهنيـــة فى بريطانيا كانت غام ١٩٠٧ مشتتـــة تماما ، فمثلا كانت العمال المناجم ٧٥ نقابة ، والعمال المهن الانشائيـة ٧٧ نقابة ، وللعمال فى صناعات النسيج ٢٦٣ نقابة ، وكانت كلهـــا مستقلة بذاتها(١٠) •

ان احدى النتائج الكبيرة لحملة التوحيد تلك ، والتى جرت

بين صفوف الاعضاء البسطاء ، كانت دمج الاتحاد الوطني لنقابات عمال السكك في نقابة صناعية واحدة ، ولكن النتيجة الاكبر اهمية والاكثر جوهرية هي مبادرة عمال المناجم في نيسان ١٩١٤ بالدعوة لتأسيس « الاتحاد الثلاثي » • وكان ذلك الاتحاد ، الذي ضم اهم العمال في الصناعة البريطانية ـ عمال النقل ، عمال المناجم وعمال السكك الحديدية ، بعدد من الاعضاء يزيد على المليونين ـ اتحادا هجوميا ودفاعيا في آن واحد ، ونشأ من خلال الصدامات مع الاحتكارات الراسمالية • وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى ، عبأ « الاتحاد الثلاثي » جميع اعضائه لشن اضراب عام ضد الحرب • وسنرى بعدئذ كيف جبن القادة الاصلاحيون لتلك الحركة العظيمة ، وكيف استفزوا وقتذاك مشاعر وامال العمال المناضلين في العالم كله •

وقد وقف السنديكاليون بقيادة توم مان في مركز ذلك الهجوم العمالي الكبير خلال الفترة من ١٩١٠ ـ ١٩١٤ ، وقد اعتبر ذلك الهجوم العمالي ،بحق ، اعظم ما عرف عن العمال البريطانيين ، وامتدادا تاريخيا لنضالات الشارتيين الباسلة ، ولاضرابات عمال المرافيء اللندنيين الكبرى • واصبح الدور القيادي للسنديكاليين حقيقة معترفا بها من قبل عموم مؤرخي الحركة العمالية • وقدم السنديكاليون لحركة الاعضاء البسطاء الاتجاه الواضح والروحية النضالية الصائبة • وكانت حركتهم المحرك المناسب للنضالات العريضة المتنوعة • اما قادة النقابات الرسميون فلم تكن لهم يد بذلك الانبعاث الجوهري للعمال ، هذا اذا لم يكونوا قد وقفوا ضده وعملوا على تخريبه • فاقوالهم العاصفة عن التقدمية كان يكمن خلفها نهج التآخي الطبقي الذي تضمنه كامل برنامجهم •

ان اندلاع الحرب العالمية الاولى اضر بوضع حركة العمال المتقدمة كثيرا في بريطانيا ، واعطى ايضا اتجاها جديدا للحركة السنديكالية العالمية ، اعطاها تطورا سنعود للتحدث عنه في مكان اخر • فالسنديكالية في بريطانيا العظمى لم تكن في الاعوام اللاحقة دون تأثيرات ثابتة على حركة مسؤولي المعامل ايام الحرب ، بل وساعدت ايضا على بقاء الاشتراكية النقابية المهنية ، القصيرة العمر ، في الحياة بعد الحرب[11] •

السنديكالية ـ الفوضوية في بلدان اخرى

دخلت الحركة السنديكالية ، بهذا الشكل او بذاك ، ولكن عمليا ، في جميع بلدان وسط وغرب اوربا • ففي المانيا نشأت عن اتحاد اختياري للنقابات الالمانية • وقد تراجعت تلك المنظمة وجمدت نشاطاتها حتى تم الغاء القانون الاجتماعي (الاستثنائي) عام ۱۸۹۰ • ففي الفترة التي كان ذلك القانون فيها نافذا ، وجدت النقابات نفسها في تقلص مستمر ، وتنحسر مضطرة الى نطاق محلي فقط ، ولكنها بعد الغاء القانون ، وبدء النقابات بالتنظيم على نطاق الامبراطورية ، رفضت مجموعة «اشتراكية» متماسكة من حوالى ۱۰۰۰۰ عضو الانضمام لها • واصبحت بمرور الايام مركزا للسنديكالية في المانيا • وهي لم تلعب في المانيادورا يستحق الذكر رغم انها صارت تضم في عام ۱۹۱۹ ، ۱۰۰۰۰۰ عضو[١٢] •

وفي البلدان الاسكندنافية تبنت الحركة السنديكالية شكلا افضل نوعا ما ، وكان لها وزن سياسي لاباس به • فهنا استطاعت منظمة عمال الصناعة العالمية الاميركية ان تلعب دورا مؤثرا • وعن النرويج قال لانغه ، بان «حركة من اقلية بسيطة ، نشأت في بدايات ۱۹۱۱ ، منظمة جيدا وموجهة بذكاء ، اعتمدت على النقابات الصناعية وعلى تاكتيك نقابي عدواني aggressiv استطاعت الحصول عام ۱۹۲۰ على اغلبية في مراكز النقابات »[١٣] • وبعد ذلك حاول السنديكاليون اعادة تنظيم الحركة • وفي السويد والدانمارك عملوا لخلق حركة سنديكالية مماثلة ، كما حصلت نفس المحاولة في هولندا وبلجيكا •

اما في شرق اوربا ، فقد وجد في المنطقة التي هي اليوم بولونيا ، وفي جيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا عددا من السنديكاليين وفي روسيا بالذات لم تنشأ حركة سنديكالية ، ولكن انعطافات سنديكالية نشطة وجدت خلال الاعوام الاولى لثورة ۱۹۱۷ ، وتمثلت باقتراحات ومحاولات واسعة لجعل النقابات هي الموجهة للصناعة •

وفي اليابان ، البلد الوحيد في الشرق الاقصى الذي يملك قبل الحرب العالمية الاولى صناعة متطورة بشكل ملحوظ ، فقد

وجدت حركة سنديكالية متبلورة · فنهوض السنديكالية العارم في حوالى ١٩١٠ انعكس على اليابان مثلما انعكس على بقية البلدان الراسمالية الاخرى · فتلقف عدد كبير من المثقفين والعمال اليابانيون الافكار الجديدة · وكان كوتوكو ورفاقه الاحد عشر ، الذين قتلتهم الشرطة في عام ١٩١١ وهم في السجن ، سنديكاليين فوضويين · وظل الاتجاه السنديكالي في الحزب الاشتراكي وفي الحركة النقابية ذا اهمية كبيرة ولمدة طويلة · وقد ادى وجود ذلك الاتجاه الى انشقاق نقابى صغير عام ١٩٢٠ ·

وقد تطورت فى جميع دول «البيض» التابعة (الدومينيون) للامبراطورية البريطانية ـ كندا ، استراليا نيوزيلندة وافريقيا الجنوبية ـ حركات سنديكالية ونتج عنها «النقابة الكبيرة الواحدة» (One Big Union ») ·واتبعت تلك المنظمات الى حد بعيد منظمة عمال الصناعة العالمية الاميركية · واتخذت لنفسها اسما هو : عمال الصناعة العالميين ، وعملت على نطاق اممى ، وحاولت تطوير نفسها الى منظمة عالمية · وبجانب المجموعات الرسمية فى المكسيك ودول اميركا اللاتينية الاخرى ، عمل السنديكاليون بانتظام لاستلام قيادة النقابات فى بريطانيا وفى الدومينيون · ومارست منظمة عمال الصناعة العالمية الاميركية تأثيرا بالغا في كندا وكانوا ايضا عنصرا من العناصر فى افريقيا الجنوبية وفي استراليا · فقد كانوا اقوياء نسبيا في استراليا . حيث منعت المنظمة عام ١٩١٦ بسبب نشاطها المعادى للحرب[١٤]· زالى السنديكاليين يعزى التاثير الكبير فى الاضراب الجماهيرى الاسترالى الذى شارك فيه حوالى ١٠٠٠٠٠ عامل ، (استمر ذلك الاضراب من آب حتى تشرين الاول ١٩١٧) ، وبتأثيرهم كذلك قبلت النقابات بخطة «النقابة الكبيرة الواحدة» عام١٩١٨[١٥]·

٢٣ـ النضال ضد التحريفية النقابية ١٩٠٠ ـ ١٩١٤

خلال العقد السابق للحرب العالمية الاولى ، اخذ النضال ضد الانتهازية وتحريفية برنشتاين (انظر القسم الرابع عشر) ، اشكالا متزايدة الكبر في كل الاممية الثانية • وكانت النقابات ، بالطبع ، قد زجت بعمق في تلك المسالة ، وذلك لان نقطة ارتكاز التحريفية الرئيسية كانت في البيروقراطية النقابية الاصلاحية •

ان التحريفية تعني اكثر من كونها تشويه للمبادىء النظرية لماركس وللأهداف العامة للاشتراكية • انها تعني ايضا اضعاف نضال العمال في سبيل مطاليبهم اليومية والمساومة عليها • ان التحريفية ، التي رضيت نظريا بالرأسمالية ، اعترفت في التطبيق ايضا ، بقيادة البرجوازية ، سياسيا واقتصاديا ، وسارت على نهج التعاون الطبقي المعاكس للسياسة الماركسية في الصراع الطبقي • وبذلك وضعت العناصر التحريفية الحركة العمالية ، من وجهة نظر تاريخية ، في موقف يمثل مصالح ارستقراطية العمال فقط ، وفي سياسة الاندماج التام بسياسة الاحتكاريين الاستعماريين ، وافضلت مصلحة الاقلية من العمال الفنيين على حساب مصالح جماهير العمال غير الفنيين •

ان جوهر التحريفية يكمن في ان التحريفيين او الانتهازيين ينحطون علنا ام سرا في التحالف مع البرجوازية ، ويخونون مصالح الجماهير العريضة من الطبقة العاملة • ويصبح التحريفيون بالتالي عملاء البرجوازية بين صفوف الطبقة العاملة ، كما وصفهم لينين ، وهم يخدمونها كأدوات طيعة لاثارة العمال أو لاكراههم على العمل والحياة بظل ادنى الشروط المعاشية التي يرمونهم بها •

ان النضال ضد التحريفية في الفترة السابقة للحرب اتخذ في الاممية الثانية وفي النقابات ، مظهرين عامين • الاول كان النضال النظري لمواصلة المبادىء الماركسية التي هجروها في الغالب ، وقد دار ذلك النضال ، سياسيا ، بين لينين والمتخاصمين معه ، وكان الجناح اليساري خلال تلك الاعوام قد تقدم كثيرا بتكوين الوحدة الايديولوجية • والمظهر الثاني كان النضال

المترابط ، الذى جرى داخل كل حزب اشتراكى وفى كل نقابة على حدة ، ضد القيادة الانتهازية ومن أجل مطاليب محددة وتطوير سياسة نضالية • وفى التطبيق كانت كلتا الصورتين ، نظريا وعمليا ، متحدتين عضويا مع بعضهما • ان النضال النظرى ضد المنطلقات المختلفة للعناصر البيرنشتاينية ، دار دائما حول مسائل عملية جدا ، وحول مطاليب اقتصادية وسياسية لمنظمة الطبقة العاملة • ان النضال ضد التحريفية بدأ فى حوالى نهاية القرن ، واخذ ، حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ، يشتد اكثر كلما تشبثت التحريفية فى موقفها • وكما رأينا ، فقد عكست الحركة السنديكالية ايضا وعيا عاليا فى تلك النضالات اليومية •

لقد سبب التحريفيون اضرارا بالغة فى تلك الفترة • فشوهوا ايديولوجية العمال واعاقوا نمو الطبقة العاملة ، وخربوا ، على العموم ، النضال اليومى للحركة العمالية خصوصا بعد عام ١٩٠٧ حيث تبلورت وتقوت التحريفية بوضوح • لقد حاول العمال في احيان كثيرة تحطيم جبهة الجهاز البيروقراطي ، فطوروا لهذا الغرض النضالات الجماهيرية اليومية ليؤكدوا من خلالها قوة النضال الكبرى التى يملكها العمال • رأينا ذلك واضحا فى بريطانيا العظمى خلال فترة ١٩١٠ـ١٩١٤ • ولكن نضالهم كان بوجه عام عديم الجدوى • وأصبحت البيروقراطية الانتهازية في النقابات ، بأستثناء روسيا وبضعة بلدان قليلة اخرى ، قوية واكثر رجعية ، فساقت جماهير الشغيلة الى خيانة رهيبة ، الى كارثة الحرب العالمية الاولى •

وكان قطاع البيرنشتاينية هو الاقوى نظريا فى المانيا ، ولكن عنصر التحريفية الاكثر سوءا وانحطاطا في العالم ، كانت البيروقراطية النقابية الغومبرسية في الولايات المتحدة ، فأولئك الذين القوا بالبقية التافهة لديهم من التعاليم الماركسية فوق سطح السفينة كما يقال ، صاروا على المكشوف وبدون حياء مدافعين عن الرأسمالية • واصبحوا مرتشين وعارضين انفسهم لمن يدفع اكثر • فقاد الكثير منهم نقاباتهم بالمسدسات ، ــ واثبتوا بذلك عن عربدتهم وبشقاواتهم ، كما باعوا الاضرابات دون خجل ، وبذلك

سرقوا العمال وابتزوا ارباب العمل على حد سواء • ان الاتجـاه الغومبرسي وقف في تلك الاعوام وسط الحركة العمالية تفوح منـه رائحة الانتهازية العفنة(١) •

في المرحلـة من ١٩٠٠ ، اى حيث تركنا الحركة النقابيـة الامريكية ـ انظر القسم السادس عشر ـ ، وحتى نهاية الحـرب فى ١٩١٧ ، كان النضال ضد التحريفيـة في الولايات المتحدة ، اساسا ، نضالا ضد الجهاز القذر لغومبرس وحلفائه الاشتراكيين اليمينيين • وقد قاد ذالك النضال ، بصورة رئيسية ، اتحاد عمال الصناعة العالمى والجناح اليسارى فى الحزب الاشتراكى • وكانت اغلب مؤتمرات اتحاد العمل الاميركـى ميادين لذلك النضال • وفى المؤتمر المنعقد عام ١٩١٢ اظهرت القوى الاشتراكية انتصارا حاسما على الاتجاه الغومبرسى ، ولم تمكن زعيمه من الوصول مرة أخرى الى الرئاسة ، فقد صوت اغلبية المندوبين ضده •

وفى نفس الوقت ايضا سـار النضال ضد التحريفيـة فى المانيا بدرجة عالية من الحدة والصرامة • وظهر ذالك بسبب تكون بيروقراطية قوية اشرفت على الحزب والنقـابات وتذبذبت نحـو اليمين بأستمرار من جهة ، ومن جهة اخرى تكون بالتدريج جناح يسارى باسل كانت المناضلة البارزة روزا لوكسمبورغ على راسه ، وكان لينين ، النظرى الاساسى لذالك الاتجاه •

المظاهـر العمليـة للنضال ضد التحريفيـة

ان احدى اهم مسائل النزاع فى نضال العمال ضد القـادة النقابيين المحافظين فى شتـى البلدان ، كانت مسالـة النضال النشيط فى سبيل زيادة الاجور وتقليل ساعات العمل وتحسيـن شروطه • فقد وقف التحريفيون ، بهـذا الشكل او بذاك وبسبب التسليم بالتعاون الطبقى بين العمال وارباب العمل ، بشـكل محموم ضد مثـل تلـك السياسـة التى لابد لها من تقريب حدوث اضراب فعال منتظر • وفقط عندما يجبرهم الاعضـاء البسطاء ، وتصبح مقاومتهم غير قادرة على الصمود فى لعبة الشطرنج طويلا ، يتدخلون بالاعمال الاضرابية • واذا وجدوا انفسهم يوما ما وسط اضراب عمالي ، قاتهم ، اعتياديا ، يعملون للمساومة ، اذا لم يكـن

للتخريب ، ولاعادة العمال إلى اماكن عملهم • وبالطبع كانت افكار الاضراب العام تخيف اولئك الانتهازيون كما يخاف المرء من السم الزعاف •

بهذا الشكل ظهرت السياسة المعروفة للمتخاذلين قادة النقابات الاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين في الاضرابات في المانيا ، انكلترا ، اليابان وبلدان اخرى • ولكن الوضع في الولايات المتحدة كان اسوأ • فلأعوام عديدة فشلت ، هنا ، خلالها مئات الاضرابات بسبب النشاط التخريبي لكاسري الاضرابات من قادة النقابات • ذلك يعني ، ان مجموعة من قادة النقابات المهنية ، كانوا يجبرون الاعضاء على العمل بحجة ان اتفاقاتهم النقابية مع ارباب العمل « مقدسة » ، وبذلك ساعدوا ارباب العمل في ضرب الاضرابات • وخانوا ايضا الكثير من الاضرابات الاخرى ببرودة دم مقابل مبالغ من النقود • ومن الطبيعي ان يكون عدد من النقابات استثناء بالنسبة لمثل تلك السياسة القائمة على كسر الاضرابات ، ولكن حيثما وجدت نقابات غومبرسية ، وجد معها اسلوب العمل الرجعي المنسق ، فتلك النقابات كانت على الاكثر اغلبية ، وسيطرت في العموم على الحركة •

وتمثلت احدى السياسات المعرقلة للقادة النقابيين التحريفيين بالامتناع الواعي عن تنظيم الجماهير العمالية العريضة، والاكتفاء بقبول العمال المتعلمين في النقابات ، وبالانسجام مع منطلقاتهم ، اوقفوا تنظيمهم وتاكتيكهم للعمال المتخصصين في الفروع الصناعية بالدرجة الاولى • وكان ذلك الموقف المشين اكثر استهتارا في انكلترا ، اما في المانيا ، وحيث الجناح اليساري قوي ومؤثر ، فكانت وطأته إخف ، ولكنه في الولايات المتحدة كان اسوأ • فقد رفضت كثير من النقابات دخول الزنوج في صفوفها ، وحرمت حتى النساء ، والعمال الاجانب ، وغير المتعلمين من الامريكيين وخصوصا الصينيين من العمل النقابي ، ولمدة نصف قرن • وبدهاء وخبث منع اتحاد العمل الاميركي هو الاخر ، ولمدة طويلة ، حملات كبيرة وحازمة من مواصلة النشاط لتنظيم الملايين من العمال غير المنظمين في فروع الصناعات الاحتكارية الجشعة • ان عمال فروع تلك الصناعات ظلوا حتى عام ١٩٣٥ غير منظمين ،

ولم يتمكنوا الحصول على هذا الحق الا على اساس تحريك تاريخي قامت به لجنة تنظيم العمال في الصناعة ، ضد نهج اتحاد العمل الاميركي الرجعي والمغرق بالبيروقراطية •

ان النضال من اجل نقابات صناعية مثل جانبا واحدا اخر للنضال العملي ضد التحريفية النقابية • ومع ظهور التروستات ونمو منظمات ارباب العمل بعد عام ١٨٩٠ ، اصبحت النقابات المهنية عتيقة تماما • وصار انشاء النقابات في الفروع الصناعية التي تشمل مهنا منفردة متعددة ضرورة ملحة • ولكن قادة النقابات المهنية دافعوا بعناد ، خصوصا في هذه الفترة موضوع البحث ، عن نقاباتهم المهنية البالية ، ووقفوا ضد جميع المحاولات لتوحيد العمل النقابي على اسس صناعية • وفي اغلب البلدان نشأت النقابات الصناعية ، في الجوهر ، من خلال مقاومة الاعضاء البسطاء للنقابات المهنية ولقادتها • ففي المانيا والنمسا وبضعة بلدان اخرى ، كان الحزب الاشتراكي الديمقراطي قويا فناضل وهو يتمتع بجناح يساري فعال • وهناك كان التحول نحو خلق النقابة الصناعية سهلا نوعا ما • ولكن ذلك التحول ظهر صعبا في انكلترا وخصوصا في الولايات المتحدة ، ولم يتحقق الا من خلال نضالات مريرة دامت اعواما طويلة مارسها العمال ضد البيروقراطية النقابية المتباهية بمهنيتها •

ان الفعالية والتنظيم النقابي تصاعدا على العموم من خلال نضال الاجنحة اليسارية والاعضاء البسطاء ، وتحولت النقابات بذلك من القاعدة المهنية الى القاعدة الطبقية • وذلك هو الهدف العام الذي وضعته النقابة الصناعية امام اعينها ، ونالته بكفاحها ، وكان في سبيل سياسة اضرابية جريئة ، وفي سبيل تنظيم العمال غير المتعلمين • وقد عبر ذلك الانعطاف الاساسي عن النضال من اجل ضمان اجتماعي حكومي بالخصوص • اما نقابات العمال المتعلمين فكانت تاريخيا قريبة . في تلك المسألة . من منطلق مهنها الخاصة • اي انها ارادت تكوين نظام للخدمة شديد التعقيد يخص الاتحادات المهنية فقط ، ويترك بموجبه العمال غير المتعلمين وغير المنظمين دون معونة مالية ضد البطالة والمرض والحوادث والعجز • وقد حصل ذلك خصوصا في النقابات المهنية البريطانية

والاميركية ، والتي وقفت دوما ولأعوام طويلة ضد اى نوع من انواع الضمان الحكومي الذي يخدم النقابات • واعلن قادتها بانهم لا يستطيعون دعم النقابات دون انظمة الخدمة • وحتى النقابات الالمانية كانت هي ايضا ، وفي عز ايامها ، غير متخلصة من تلك الروح الحرفية الضيقة ، ولم تهتم للمطالبة بضمان اجتماعي حكومي •

وكان مكسبا تاريخيا للاجنحة اليسارية تحطيم تلك التعقيدات المهنية ، وتثبيت مسالة الضمان الاجتماعي على اسس طبقية ، ولم يكن ممكنا تحقيق ذلك الهدف الكبير لولا النضالات السياسية العامة التي خاضتها الطبقة العاملة ، وفرضت من خلالها شمول الطبقة بكاملها بالضمان الاجتماعي ، وكسر احتكاره على بضعة افراد من ارستقراطية العمال فقط •

النضال في سبيل النشاطات السياسية المستقلة

منذ بدأ النظام الراسمالي ، والبرجوازية تحاول باستمرار جر الطبقة العاملة ، خاصة بعدما نالت حقها في الانتخاب ، الى الخضوع لسيطرتها السياسية • وقد حصل ذلك في الاوقات المبكرة من خلال شكل ما لحزب ليبرالي • وكان واحدا من الاهداف الدائمية للانتهازيين والتحريفيين الترويج لتلك المحاولات الساعية للابقاء على الطبقة العاملة تحت وصاية البرجوازية • ولهذا طرحوا في برنامجهم مسألة التعاون الطبقي باعتبارها النقطة الرئيسية دائما • وصار قادة النقابات الانتهازيون يمقتون الاعمال السياسية المستقلة للطبقة العاملة ، كمقت الراسماليين ذاتهم لها •

ان تأسيس الاحزاب الاشتراكية ، في جميع البلدان الراسمالية تقريبا ، خلال الفترة من ١٨٦٥ـ١٩٠٠ ، كان يعني بالنسبة للطبقة العاملة خطوة كبرى الى الامام • ولكن التخلخل التنظيمي ، والى حد ما السياسي ، في منظمة الطبقة العاملة ، وكذلك الاشراف البرجوازي عليها ، كان دائما ينجم عن التاثيرات البرجوازية المختلفة التي تنقلها العناصر الانتهازية الى الاحزاب الاشتراكية • لقد استطاع العمال من تطوير اعمال ونشاطات طبقية ، وتكوين حركة سريعة لانشاء منظمات طبقية مستقلة في

البلدان الرأسمالية الفتية ، ـ المانيا ، النمسا ، روسيا ، البلدان السكندنافية ، اليابان .. الخ ـ والتي نشأت فيها النقابات والاحزاب العمالية جنبا الى جنب . ولكن النضال في البلدان الرأسمالية القديمة ، ـ خصوصا في انكلترا والولايات المتحدة ـ التي نشأت النقابات فيها قبل الاحزاب السياسية للعمال بأمد بعيد ، جرى حول الاعمال السياسية المستقلة للعمال ، والتي وقف البيروقراطيون النقابيون المحافظون ضدها عشرات السنين . وكان الطابع المميز للأرتباط بوثوق بارباب العمل ، واخضاع الطبقة العاملة سياسيا للبرجوازية ، هو اتحاد « اللب ـ لاب »(*) الانتهازي . انها حقيقة لا زالت حتى ايامنا الحاضرة قائمة ، وهي ان الجناح اليساري وجماهير العمال لم يستطيعوا كسر اتحاد « اللب ـ لاب » ، الذي ربط قادة النقابات الاميركية بأحزاب سادتهم الرأسماليين .

عندما دخلت البيرنشتاينية في الميدان بالمانيا وكانت الفابية في انكلترا هي الشكل النظري الاخر للتحريفية ، كان وجود منظمات واعمال سياسية مستقلة للطبقة العاملة بدرجة قوية ، حقيقة ثابتة ، واذا لم يكن ذلك في بريطانيا العظمى وفي الولايات المتحدة ، فعلى الاقل في كل القارة الاوربية . وقد سار التحريفيون بعناد في خطهم العام في التعاون الطبقي ، وتمكنوا في النهاية من وضع الطبقة العاملة مرة اخرى تحت الاشراف السياسي المباشر للبرجوازية ، وهم لم يستطيعوا بالطبع تصفية الاحزاب الاشتراكية عن طريق مشاريع مكشوفة ، ولكنهم حاولوا عمليا الوصول الى نفس ذلك الهدف بواسطة اشراكهم لتلك الاحزاب بالحكومات البرجوازية من خلال ممثليها المتخاذلين . وكانت عاقبة ذلك هي تحطيم مواقع العمال السياسية تجاه الحكومات ، لقاء انتماء هذا او ذاك من قادة الاحزاب العمالية الى الحكومات الرجعية وتنفيذ برامجها المعادية بأنفسهم . ولم تمر تلك السياسة التحريفية دون نضالات حادة داخل الاممية الثانية .

لقد سارت التحريفية باتجاهها ، فقبلت الاشتراك بوزارة

(*) مأخوذة من الحروف الاولى لكلمتي « ليبرالي ولابور » ، اي اتحاد الليبراليين والعماليين .

والدك ـ روشيه ، ومنحت ثقتها للاشتراكي الكسندر ميلران كي يمثلها عام ١٨٩٩ بالوزارة البرجوازية • وقد جلس ميلران ، دون خجل ، جنبا الى جنب مع الجنرال غاليفه ، جزار عمال كومونة باريس • وقد سبق لتلك الحالة ان بحثت فى مؤتمر الاممية الثانية المنعقد عام ١٨٩٠ ، وادت الى قبول قرار مركزى كان كاوتسكى قد اعده ، ينتقد اسلوب تصرف ميلران بلطف • لقد طرد ميلران من الحزب الاشتراكى الفرنسى ، كما شجبت تحريفيته من قبل الحزب الالماني ايضا • ورغم ذلك فان تلك الهزيمة لم تثن التحريفيين ، فواصلوا التشبث في تكريس موقفهم المعادي للعمال • ففي ١٩٠٥ تسلم جون بورنس ، الاشتراكي البريطاني السابق ، منصب وزير فى حكومة كامبل ـ بانرمان ، واعقبه فى عام ١٩٠٦ ارستيد برياند ورينه فيفيان من فرنسا ، حيث قبلوا مناصب وزارية فى حكومة كليمنصو • واصبحت كل تلك العناصر ، نتيجة لذلك ، خونة للطبقة العاملة • وكانوا « روادا » للكثيرين من الخونة الاشتراكيين الاخرين ، الذين قبلوا خلال الحرب العالمية الاولى مناصب وزارية فى حكومات برجوازية •

ان اتحاد « اللب ـ لاب » في الولايات المتحدة سار بشكل نموذجي بطريقه مع الغومبرسية المغرقة في العفونة • واصبح تحالف القادة النقابيين مع الرأسماليين شيئا متفقا عليه خاصة فيما يتعلق بالاتحاد الوطنى للسكان ، الذى تأسس من قبل قوى Big Business عام ١٨٩٣ • وكان غرض تلك المنظمة العلنى هو ، اضعاف وتدمير الحركة النقابية • وقد عمل غومبرس وقادة نقابيون آخرون من قادة اتحاد العمل الاميركى مع تلك القوى بهذا الاتجاه ، وكانوا خدما مطيعين للطبقة الحاكمة ، ولهذا لم يبق من الضروري اشراكهم في مناصب وزارية • وكان المهم بالنسبة لهم الحصول على مبالغ من المال ، او على عمل مربح فى احد المشاريع الصناعية •

ومن خلال الحماس اميط اللثام عام ١٩١٣ عن كون احد عملاء اتحاد الصناعيين الوطنى واللجنة الوطنية للجمهوريين ، وهو أم • أم • مولهال ، قد صرف مئات الالوف من الدولارات على رشوة كوادر نقابية فى اتحاد العمل الاميركى لغرض مساعدتهم

في الانتخابات ، واصبح امرا معروفا بانه وضع الكثير من اولئك الجنتلمانات ، وهكذا كان القادة العماليون يوصفون ، في قائمة مدفوعاته المنتظمة[٢] • وكان للحزب الديمقراطي ايضا — وهذا امر ليس من الضروري الاسهاب فيه — مولهالتيته كذلك • وليس غريبا ان يكمن فساد مثل هذا في الطبيعة السياسية البرجوازية لقادة اتحاد العمل الاميركي ، ومما يؤكد ذلك ان البيروقراطية الغومبرسية مرت على كامل فضيحة مولهال وكانها تمر على شيء عادي تماما •

الحزب والنقابات

ان الحزب الماركسي — في عصرنا الحزب الشيوعي — هو العنصر القائد للطبقة العاملة • وذلك لانه يرتكز على القوى السياسية المتقدمة للبروليتاريا ، ويهتم بكل المسائل المتعلقة بالمصالح الاساسية للعمال ، ويقتحم الرأسمالية في كل مجالات فكرها ، الايديولوجية والاقتصادية والسياسية ، وهو الحزب القادر على السير في طليعة العمال بنضالهم اليومي لتصفية الرأسمالية وبناء الاشتراكية • انه حزب لينين « من الطراز الجديد » ، طليعة البروليتاريا[٣] •

وقد وقف التحريفيون ، وفي مقدمتهم جميع البيروقراطيين النقابيين المحافظين ، ضد كل الاتجاهات التي استطاعت تأسيس مثل ذلك الطراز لحزب قائد • واستمر ذلك النضال طويلا في جميع البلدان ، ولكنه سار بأشكال متنوعة • ففي مؤتمر شتوتغارت اللأممية الثانية المنعقد عام ١٩٠٧ ، جرت مناقشة مسألة العلاقات بين الحزب والنقابات ، تلك المسألة المتجددة باستمرار ، وكانت نتيجة المناقشات القبول بالقرار النمساوي — البلجيكي — الالماني الاصل — الذي اعتبر بموجبه ان الحديث عن الدور القيادي للحزب امر لا داعي له ، واوضح ، بانه ما دام الحزب يناضل مثل النقابات في سبيل الاشتراكية ، فواجباته اذن ، تعني نفس واجباتها ، وكليهما يجب ان يكون مستقلا[٤] • وكانت تلك ، ما سميت بسياسة حياد النقابات تجاه الحزب ، نصرا للتحريفية •

لقد عمل البلاشفة في سبيل تقوية ارتباطات النقابات

بالحزب نظريا (كما تحقق ذلك الارتباط في حزب العمال البريطاني مثلا ، ولكنه بشكل ملتو) ، ولكنهم لم ينظروا في ذلك الوقت الى مسالة احتمال الانقسام داخل صفوف العمال • وقد بين بليخانوف فى المؤتمر ، بان خمسة عشر حزبا تنازعت فى روسيا على كسب تاييد الطبقة العاملة ، وكان لكل واحد منها محاولة ضيقة لضم النقابات الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى المجال النظرى وبذلك عمقوا فقط الانشقاق • وفى التطبيق عمل البلاشفة ليس في سبيل ارتباط كلي للنقابات بالحزب ، وليس في سبيل حيادها ، بل في سبيل عمل مشترك وثيق بين كل القوى العمالية تحت قيادة سياسية عامة للحزب •

واستمر النضال حول المسالة الملتهبة عن دور الحزب ، اثناء تلك الفترة في كل مكان • ففي بريطانيا استطاع التحريفيون من تاسيس حزب عمالى عريض ، وانتهجوا سياسة اصلاحية ، ولم يهتموا الا قليلا بالمسائل النظرية • واصبح ذلك الحزب خاضعا في الواقع لسيطرة حفنة من الكوادر النقابية المتنفذة ، التي استطاعت الاشراف عليه ايديولوجيا بفضل اكثريتها في اللجنة التنفيذية(٥)• وكانت لهم يد ايضا فى عرقلة جميع المساعى المبذولة لتأسيس حزب ماركسي فعال يستطيع تقديم قيادة بروليتارية حقيقية للحركة العمالية باجمعها •

ان قادة النقابات الحرة فى المانيا ، وهم فقط اعضاء حزبيون ودعاة افكار التحريفية البيرنشتاينية ، عملوا بكل صلافة للسيطرة على الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، وبالارتباط مع النضال الذى شن حول مسالة الاضراب العام ، تسنى لهم عام ١٩٠٦ ممارسة الاشراف على قيادة الحزب • وعندما ادركوا بان الحزب الاشتراكي الديمقراطي اصبح متأثرا – وهو على ابواب انعقاد مؤتمره – بالاضراب العام الذي حدث في روسيا من أجل حق الانتخاب العام ، هيأوا (قادة النقابات) الى مؤتمر للنقابات ، وعقدوه فعلا في ايار ١٩٠٥ ، اي قبل ان يعقد الحزب مؤتمره ، فأدانوا فيه الاضراب العام ، لا بل ادانوا حتى التفكير فيه • ولكن الحزب قرر في ايلول ، اي بعد اربعة اشهر ، اعتبار اسلوب الاضراب الجماهيري هو الاسلوب الصائب ، وكان ذلك في مؤتمره المنعقد

بمدينة يينا • وكانت النتيجة ان وقف جناحا الحركة ، السياسي والنقابي في تعارض شديد مباشر • عاضد احدهم رسميا الاضراب الجماهيري ، بينما عارضه الاخر • وتبعا لذلك عقد في شباط ١٩٠٦ اجتماع مشترك للجنتيهما التنفيذيتين بمدينة مانهايم(*) ، اسفر عن تمكن قيادة النقابات من فرض اتفاق استسلامي على قيادة الحزب يحرم بموجبه ليس الاضراب الجماهيري فقط ، بل حتى بحث موضوعه داخل النقابات(٦) • واصبح ليغن ، ولو بصورة غير رسمية ، ولكن عملية ، قائدا للاشتراكي الديمقراطي الالماني • وقد وقف بعض منشئي الحركة النقابية الالمان ، ومن بينهم تسفنغ ، ضد الحزب ولما كان النصر الحاسم في مانهايم للتحريفية ،فقد اصبح الحزب الالماني مندفعا بقوة وبوضوح نحو اليمين •

ان طريق انهيار التيار الانتهازي كان بيّنا ، وقد تم فعلا بعد سبع سنوات حيث بدأت الحرب العالمية الاولى •

اما في فرنسا فكان القادة النقابيون السنديكاليون ـ الفوضويون ايضا ضد وجود قيادة سياسية قوية للحزب ، وفي الحقيقة كانوا ضد اى حزب عمالي • ولكن معارضتهم قامت على اساس اخر • فهم لم يريدوا ربط العمال بقيادة سياسية للبرجوازية ، بل عملوا لمحاولة « يسارية » ترفض السياسة عموما• وبمرور الوقت برهنت التأثيرات العملية على ان : الموقف المعادى للسياسة يعني لعبة بأيدى التحريفيين اليمينيين ، وهذا الموقف بالذات كان العامل الرئيس الذى جر القادة النقابيين الفرنسيين الى قبول الاتفاقيات الاستسلامية مع مشعلى نار الحرب عام ١٩١٤ •

كان قادة النقابات في الولايات المتحدة ، الغومبرسيون

(*) كما يظهر هنا فان الامر اختلط على المؤلف • فالمفاوضات السرية التي جرت بين اعضاء رئاسة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني وبين اللجنة العامة للنقابات الالمانية كانت في ١٦ شباط ١٩٠٦ في برلين وليس في مانهايم • واعقبها عقد مباحثات في جميع الاتحادات النقابية من ١٩ـ٢٣ شباط ببرلين ايضا • ومن ٢٣ـ٢٩ أيلول ١٩٠٦ عقد في مانهايم مؤتمر الحزب • وفي ذلك المؤتمر انتصر القادة التحريفيون اليمينيون في الخلاف الدائر حول العلاقة بين الحزب والنقابات • ان المصدر الذي اعتمد عليه المؤلف (النضال من أجل النقابات أ• ج• فارفيغ ، موسكو ١٩٢٩) غير مدقق جيدا • الترجمة الالمانية •

المغرقون بالرجعية ، يمثلون بمكافحتهم الجهود لتأسيس حـزب سياسى ماركسى قائد ، اقصى ما وصلت له التحريفية على الاطلاق . فهم لم يريدوا تأسيس حزب سياسى للطبقة العاملة اطلاقا ، حتى ولا بقيـادة البرنشتاينيين . وكافحـوا ضـد الحـزب الاشتراكي وعملوا لازالتـه بالنـار والحـديد مدة جيـل كامل . وكانوا راغبين جدا فى ان يروا هذا الحزب ، الـذى فقد بمرور الوقت نقاوتـه الماركسية وكذلك دوره فى النضال البروليتارى ، يهوى كخرقـة سياسية ، ويصير تابعا ذليلا للبيروقراطية النقابية .

وفى روسيا ، الميدان الاوسع للجدال حول مسألـة الدور القيادي للحزب ، مني التحريفيون عام ١٩٠٥ بهزيمة شنيعـة . وقد سبق ان بحثنا سير ذلك النضال التاريخى الذى جرى بقيادة لينين المبرزة . ولولا انتصار الحـزب للبروليتاريا انذاك ، فان ثورة ١٩١٧ العظمى ما كان يمكن تحقيقها . وبذلك الانتصـار وحده تحول مجرى التاريخ العالمى . وكان حزب لينين من الطراز الجديد شيئا لا غنى عنه لتحقيق الاشتراكية .

٢٤ـ النقابات والنضال ضد الحرب ١٨٨٩ ـ ١٩١٤

كانت الحرب العالمية الاولى عملية قتل بالجملة ، اثارتها وشنتها الدول الاستعمارية الكبرى القائمة على اساس الربح والنهب • فقد قتل بسببها اكثر من عشرة ملايين انسان واصيب اكثر من عشرين مليونا غيرهم بأصابات مختلفة ، وسببت الجوع والفقر لملايين لاتحصى من البشر ، كل ذلك حصل لكي يستطيع الرأسماليون الاحتكاريون ، قطيع الذئاب الشرسة ، من اعادة تقسيم العالم ، ومن تلبية جشعهم الذى لاحدود له • ولكن الحرب شنت تحت شعارات منافقة خادعة حول الدفاع عن الوطن وحماية الديمقراطية فى العالم • وتميزت كذلك ، فى ان الجيوش المقاتلة، على كلتا الجبهتين ، دخلت ذلك الصدام الكبير وهي محملة بالبركات المقدسة للكنيسة المسيحية فى بلد كل منها(١) •

ان مجزرة ١٩١٤ـ١٩١٨ المروعة ، كانت الحصيلة الطبيعية للنظام الرأسمالي • وكان تأثير القانون الذي وصفه لينين بقانون التطور الرأسمالى غير المتجانس ، من اكبر معانى اندلاعها • اى ، ان بضعة دول استعمارية ـ فى المقدمة منها المانيا ، اليابان والولايات المتحدة ـ نمت ، من الناحية الاقتصادية ، اسرع من غيرها ، مثلا اسرع من بريطانيا العظمى ، روسيا وفرنسا • وازاء ذلك الوضع نشأ طريق وحيد يمكن للرأسمالية بواسطته من تغيير علاقات القوى الدولية التى نتجت من ذلك التطور السريع لعدد من الدول الاستعمارية ، وكان ذلك الطريق يعنى ، مذبحة حربية كبرى • وبعقلية رأسمالية صرفة حاولت الدول الاستعمارية المتنافسة تسوية خلافاتها • ولكن اضرار الحرب اصابت جميع الدول الاستعمارية ، اي انها اصابت النظام الرأسمالى بالصميم •

جريمة الحرب وموقف القادة الاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين

ان قسما كبيرا من جريمة الحرب الرأسمالية يتحمله القادة الاشتراكيون الديمقراطيون الانتهازيون ، وكذلك الحركة العمالية،

السياسية والنقابية في كل انحاء العالم ، التي بقيادتهم . فتلك العناصر كانت فى الحقيقة ، كما بينا فى صفحات سابقة ، عميلة للبرجوازية فى صفوف الطبقة العامة (وهى ما زالت هكذا حتى الوقت الحاضر) ، رغم خطبها الرنانة حول الاشتراكية وحول امانتها للماركسية . وكانت واجباتها تنحصر فى ايقاف المطاليب والنضالات العمالية في حدود الاطار الرأسمالي ، وعدم المساس بالمصالح الاساسية للرأسمال الاحتكارى .

وكما هو واضح اليوم ايضا ، فقد كانت اكثرية القادة الاشتراكيين الديمقراطيين عام ١٩١٤ مدافعة عن النظام الرأسمالي ، وقد ادي موقفها ذاك الي تبعية لبرجوازية بلدانها فى تلك المذبحة المروعة ، الحرب العالمية الاولى ، وجرت معها الطبقة العاملة الى ذلك الأتون الرهيب . من الطبيعي ان لا تكون الحنكة تعوز اولئك القادة فى اخفاء كونهم شركاء حرب مكشوفين مع البرجوازية ، ولا في تمويه خيانتهم للطبقة العاملة من خلال الخداع والشعارات المضللة . ولكن الواقع اكد على كونهم عجلة لا يستغنى عنها في آلة الحرب الكبرى للأستعمار العالمى .

ازاء المزاعم والتبريرات العديدة لخط الخيانة الاشتراكي الديمقراطي خلال تلك الازمة المدمرة في التاريخ البشري ، وقف بعض القادة الاشتراكيون ، دون التدخل اصلا ، امام ازمة اذهلتهم سرعة حدوثها وكبر تعقيداتها وعدم التهيؤ لها . بينما الحال كان يتطلب عكس ذلك ، فقد تطور امر وقوع الحرب منذ ٢٥ سنة قبل وقوعها ، وبصورة مكشوفة عرف الجميع ذلك . فقد تنبأ أنجلس قبل ٢٠ سنة بوقوعها ، وحلل ذلك الامر بوضوح ، وكان ادراك دنوها يشكل احدى مسائل الفهم الماركسي العام . وحول ذلك الموضوع ، نظمت اغلب الاحزاب الاشتراكية حملات نشطة ومثمرة ضد الحرب بعد نهاية القرن . ولكن محاولة الانتهازيين بعدئذ هدفت الى اهانة الروحية النضالية للجماهير ، والقت مسؤولية نشوب الحرب وجريمة السكوت عنها على عاتق العمال ، الذين دخلوا بنشاط فى النضال ضد الحرب وضد محاولة قادتهم الذين ارادوا جعلهم ادوات بيد الشوفينية البرجوازية ، ومنجرفين بهستريا الحرب . ولكن هناك حقيقة لابد من ذكرها ، فبدعم

الاشتراكيين الديمقراطيين اليمينيين للبرجوازية فى الحرب العالمية الاولى ، انسجم تماما مع خط وبرنامج قادة الاممية الثانية الانتهازيين • كما ان الحركة الكبرى المعادية للحرب ، التي قادتها الاحزاب الاشتراكية ، اشارت بوضوح تام ، قبل نشوب الحرب ، الى ان العمال كان بمقدورهم مقاومة الحرب ودرئها ، لو توفرت القيادة المناسبة لهم •

ان نضال عمال العالم الذي دام عشرات السنين ضد خطر الحرب الداهم ، كان حسب واقع الحال ، نضالا على جبهتين • جبهة ضد الدول الاستعمارية التى هيات على المكشوف لحرب عالمية ، وجبهة ضد القادة الاشتراكيين الديمقراطيين التحريفيين الذين تطوعوا باختيارهم لقبول واجبات غير مشرفة هي احباط مقاومة العمال المهيأين تماما لدرء اندلاع الحرب العظمى • وعلى هذا الاساس فقط يمكن فهم تاريخ الاممية الثانية فى الفترة من ١٨٨٩ـ١٩١٤ •

ان جزءاً كبيرا من مسؤولية التدهور الشنيع للأممية الثانية، خاصة فى عام ١٩١٤ ، تتحمله اكثرية القيادات العليا للنقابات الاشتراكية الديمقراطية (والسنديكالية ـ الفوضوية) • وكما مر ، فان اولئك القادة العماليين تسلطوا على الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، وخصوصا على الحركة العمالية الالمانية الاكثر حسما ، وفرضوا سياساتهم عليها باشد درجة • ولو انهم أرادوا اتخاذ موقف معاد للحرب ، لحظوا بالتأكيد على دعم الملايين من العمال المتحدين فى جميع انحاء العالم لمجابهة الحرب • ولكن ذلك كان اخر ما يمكن للمرء ان يتوقعه من خونة متعجرفين • فقد تفسخوا ، منذ امد بعيد ، بعملهم المشترك الوثيق والمنسق مع الرأسماليين ، وفقدوا ، منذ امد بعيد ايضا ، طموحهم البروليتاري، وقطعوا صلاتهم بالمبادىء والتطلعات الاشتراكية ، واصبحوا نواة للتحريفية • وبينما كان الامتحان الكبير فى آب ١٩١٤ يواجه العمال المنظمين ، كان بالنسبة لأولئك القادة ليس امتحانا ، بل موقفا ينسجم وتطلعاتهم الموالية للرأسمالية ، اذا لم يكونوا قد عملوا شيئا مشتركا مع الاستعماريين فى الحرب •

سير النضال ضد الحرب

منذ تأسيس الاممية الاولى (١٨٦٤) والعمال مهتمون بقضية انهاء واحدة من الحروب التى اشعلها الرأسماليون(٢) . وقد انسحبت تلك المساعي السلمية لدى نشوء الاممية الاولى على درء مخاطر الحروب المماثلة المحتملة الوقوع ، كمحاولة الرجعية الانكليزية لتوريط بريطانيا العظمى فى الوقوف الى جانب الاتحاد الجنوبى فى الحرب الاهلية الاميركية ، وفى الحرب النمساوية ـ البروسية عام ١٨٦٦ ، وفى الحرب الالمانية ـ الفرنسية عام ١٨٧٠ . ان الطابع المميز لتلك الحروب يكمن فى كونها كانت حروبا وطنية ، بين دولتين كما هو مألوف عادة ، وان العملية التأريخية لها كانت تتمثل بأنشاء دول برجوازية عصرية فى اوربا واميركا : ولكن مشكلة الحروب اصبحت ، بعد تأسيس الاممية الثانية (١٨٨٩) ، شيئا اخر ، اصبحت جالبة للنوائب ، وازدادت خطورتها اكثر من ذى قبل . فصارت بداية لمرحلة من الحروب الاستعمارية التى تعنى صدامات ضخمة بين مجموعات كاملة من الدول العدوانية الهادفة الى تقسيم جديد للعالم . وبذلك اصبح النضال ضد الحرب مسألة حياة او موت بالنسبة للحركة العمالية العالمية .

لهذا تحتم على جميع مؤتمرات الاممية الثانية بحث الخطر المتزايد لنشوب حرب استعمارية مروعة . ولغرض فهم طبيعة الحرب، التى كانت تطل بشبحها بوضوح ، قدم أنجلس وكاوتسكى وغيرهم من الماركسيين فى تلك الفترة ، تحليلا واضحا ، وبرهنوا بجلاء ، على أن الحرب العامة المهددة ، هى حرب ذات طابع استعمارى ، وليس للعمال اية مصلحة فيها ، ولهذا يجب مكافحتها بجميع قوى البروليتاريا العالمية . وقد ادى ذلك الاستنتاج الى موافقة الكثير من مؤتمرات الاممية الثانية على اصدار قرارات ضد الحرب ، وكان ايضا اساس لحملات عامة نظمتها الاحزاب الاشتراكية ضد الحرب المحتملة الوقوع .

لقد طرحت البرامج المعادية للحرب ، والتى كانت تظهر فى المناقشات خلال سنوات طويلة ، تدابيرا مثل : التصويت (في

البرلمانات) ضد الاعتمادات الحربيــة ومنع الحكومات من تحقيق ذلك ، تحديد منظم للتسلح ، نزع السلاح الشامل ، الاستفتــاء جول اعلان الحرب واخذ النتيجة الشعبية بنظر الاعتبار ، انشاء ميليشيا شعبية بدلا من الجيوش النظامية ، مواصلة كشف نــوايا الطبقــة الاستعمارية المولدة للحرب وفضحها من قبل الاتحادات والاحزاب العمالية •

ان الوفود الفرنسية والاسبانية وغيرها من ممثلي الحركات التي لها وشائج فوضوية ، دللت باقتراحها الداعي للرد على اعــلان الحرب بالاضراب العام ، من مؤتمر الى اخر • فقد إصبح الحديث عن الاضراب العام يطرح نفسه بالحاح بعد الاضراب الجماهيرى الكبير خلال الثورة الروسيــــة عـــام ١٩٠٥ • فقد كانت جميع المؤتمرات ، منذ مؤتمر جنيف المنعقد عام ١٨٦٦ ، تصوت ، الواحد تلو الاخر ، ضد اقتراحات الاضراب العام ، باعتبارها اقتراحــات غير عملية •

وافقت الاممية الثانية في مؤتمر شتوتغارت لعام ١٩٠٧ على برنامجها النهائي المعادى للحرب الاستعماريــة • وكان ذلك عملا للينين بالتعاون الوثيق مع روزا لوكسمبورغ • وقد اتخذ شــكل ملحق تكميلي لقرار سابق معاد للحرب ، ولكنه مبتور ، كان قد قدمه أوغوست بيبل • ونص ذلك الملحق على : « ان الطبقة العاملة وممثليها في البرلمانات يتوجب عليهم ــ ازاء تهديد بنشوب الحرب ــ تعبئة كل شيء لاحباطهــا ، بواسطــة استخــدام الاداة التي هي بالنسبة لهم اكثر فاعلية ، وتشديد الصراع الطبقي داخل البلدان المشتركة في الحرب ، والهاب الوضع السياسى العام • وفى حالة نشوب الحرب ، فان الواجب يصبح ، الشــروع الفورى بالتغييــر الكبير ، ولذلك ينبغى زج جميع القوى الساعية للتعجيل بالازمة الاقتصاديــة والسياسيـــة التى تخلقها الحرب ، واستثمار هذه الازمة لتحريك الشعب ومن خلال ذلك ، الاسراع بتصفية التسلط الطبقي الرأسمالي »(٣) •

لقد عمل بيبل وغيــره علــى « تخفيف » ملحق لينين ــ لوكسمبورغ ، ولكنهم رغم ذلك ظلوا يحملون بوضوح سياســة ثورية ، هي مجابهة نشوب الحرب الاستعمارية بنضال العمال ،

وفي سبيل ازالة الرأسمالية وتحقيق الاشتراكية • وكما برهنت الثورة الروسية بعد ذلك ، فان سياسة لينين ، لو اتبعت ، لتم التغلب على الرأسمالية الاوربية ، والتحقق انتصار الاشتراكية في اقسام كبيرة من اوربا ، اذا لم يكن في جميع انحائها • ولكن خونة عديدين في الجناح اليميني لم يؤيدوا في مؤتمر شتوتغارت وجهة النظر تلك ، ورفضوا بشكل مكشوف الموافقة على اقتراحات ثورية مثل تلك الاقتراحات ، ولكنهم ازاء الجو المعادي للحرب ، اعتبروا الصمت في المؤتمر كأحسن شيء للجرأة ، والم يرفعوا صوتا ضد الملحق المرحلي • واصبح القرار التاريخي الصائب مقبولا ككل باستحسان •

خلال السنوات الست التالية اشتدت ازمة الحرب اكثر فاكثر ، وضاعت على الحلف الثلاثي ، المانيا وحليفتيها النمسا وايطاليا ، فرصا عديدة ، واصاب الحلفاء (بريطانيا العظمى ، روسيا وفرنسا) هوس شديد للروحية العدائية العامة • لهذا فقد وقفت مسألة الحرب فارضة نفسها على مؤتمر كوبنهاغن عام ١٩١٠ وكونفرنس بازل عام ١٩١٢ ـ اللذين دعيا للانعقاد لغرض حل ازمة حرب البلقان ـ ، وكانت في مقدمة جميع المواضيع • وقد اتخذت في كلا اللقائين قرارات كانت تنسجم مع الملحق التاريخي للينين ـ لوكسمبورغ • وكما كان الاهتمام بمسألة الاضراب العام ، فقد طرحت ايضا ، ومن جديد ، هذه المسألة بتشديد اكبر ، واصبحت النقطة المركزية في الاعمال التحضيرية للمؤتمر الذي كان مقررا عقده في ٢٣ آب ١٩١٤ بمدينة فيينا ولكن ذلك المؤتمر لم ينعقد مطلقابسبب نشوب الحرب العالمية الاولى قبل موعد انعقاده بثلاثة اسابيع •

خيانة قضية العمال لدى اندلاع الحرب

هناك اسس كثيرة للنضال يمكن على ضوئها اعتبار العمال في القسم الاكبر من اوربا كانوا على استعداد للنضال بنشاط ضد الحرب ، لو هم تلقوا من قادتهم النداء لمجابهتها •ففي شتى البلدان كان العمال على درجة عالية من الاستعداد النضالي • فقد ناضل العمال الاسبان عام ١٩٠٩ ضد الحرب المراكشية • وخلال الازمة

البلقانية عام ١٩١٢ اتخذت الاحزاب الاشتراكيــة المعنيــة بتلك المنطقة موقفا واضحا ضد الحــرب • وكان عمال روسيا ممتلئين بشكل بيّن بروحية كفاحية • وبرهنت التظاهرات الضخمة المعادية للحرب ــ والتي حصلت في المانيا ، بريطانيـا العظمى ، فرنسـا ، بلجيــكا وفي غيرها ، لدى صدور اولى بيانات الحرب في الدول المشتركة ــ على معنى واحد فقط ، هو : ان عمـال اوربا كانوا على استعداد لحسم الامر وعدم السماح للقتلـة الرأسماليين الذين هيأوا لاغراق العالم بدماء جماهير المستغلة •

كان يمكن للاممية الثانية ان تكون تحذيرا كبيرا بشـير ان قوة البروليتاريا • ففي قلب اوربا الرأسمالية اصبحت احزابهـا تحظى بتأييد ١٢ مليون ناخب ، وكان لها كتل برلمانيــة هامة • واصبح اعضاء النقابات التي بقيادة الاشتراكيين • (عـدا اتحـاد النقابات الدولي) يعدون بما لا يقل عن عشرة ملايين ، فهم قوة استراتيجية بامكانها شمل اية صناعة في القـارة • كمـا اشـرف الاشتراكيون الديمقراطيون على حركة تعاونية كبيرة • تجمع بين صفوفها قوة تعد بالملايين ، فلو انها وجهت لاتخاذ موقف حازم من الحرب ، لكان بمقدورها احباط المساعي الحربية وجعلها مستحيلة الوقوع • وعلى فرض ان القادة الاشتــراكيين ما كانوا في وضع يستطيعون معــه تلافي الحـرب ، الا انهم كانوا يملكون الاسس لأنهائها ثوريا ، كما حصل في روسيا •

على الرغم من كل ذلك فقد حصلت خيانة كبرى يتحمل القادة الاشتراكيون الديمقراطيون مسؤوليتها • وبدات في المانيا ، حيث صوتت المجموعة الاشتراكية الديمقراطية في الرايخشتاغ عــلى الاعتمادات الحربية في الثالث من آب ، وكالعادة فقد بررت موقفها الشائن ذاك بواجهة الدفاع عن الوطن• ونحت الاحزاب الاشتراكية في النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبلجيكا •• الـخ نحوها ، وبنفس الوقت عملت النقابات على العموم ، وبضمنها السنديكالية الفرنسية ، بما ينسجم وذلك النهج الخياني • وصار الرأسماليون المسيطرون على العالم يضحكون بالســر ، عندما رأوا اغلب قـادة العمال يخذلون الطبقة العاملة ، ويجندون انفسهم علنا لخدمــة المجزرة الجماهيرية الرهيبة • ووقف العمال ، في جميــع انحـاء

العالم تقريبا ، يتحاربون فيما بينهم بسبب تلك الخيانة ٠

ولكن لم يتصرف الجميع بذلك الشكل المتخاذل : فالطبقة العاملة في روسيا ، بقيادة الحزب البلشفي ولينين العظيم على رأسه ، وقفت امينة لبيان شتوتغارت وللمصالح الاساسية للعمال في العالم كله ٠ وتحدى ممثلوها في البرلمان ارهاب النظام القيصري ، وصوتوا ضد الاعتمادات العسكرية ، واعلنوا النضال العام ضد الحرب ٠ وكانت تلك السياسة بمثابة الخطوة الاولى للرد على الرأسمالية بضربة مميتة ، بالثورة الروسية ٠

اما العمال الصربيون فقد اتبعوا المثل الروسي ، كما وقف ايضا الاشتراكيون البلغار ، والحزب الاشتراكي الكندي ، واقليات اشتراكية في استراليا ونيوزيلندة ، واكثرية اعضاء الحزب الاشتراكي الايطالي . وجماهير الحزب الاشتراكي الاميركي ومنظمة عمال الصناعة العالمية ومنظمات مختلفة غيرها ، موقفا معاديا للحرب طيلة فترة نشوبها ٠ ولكن ذلك التصرف الجريء لتلك المجموعات المعادية للحرب لم يكن بقادر على تصفية الحساب مع الخيانة الرهيبة لقادة الاحزاب الاشتراكية في البلدان القائدة في اوربا ٠ فالطبقة العاملة كانت قد بيعت من قبل اولئك القادة كوقود لمدافع تجار الحرب ٠

لقد نشأ انعطاف لالقاء تبعة الحرب كلها ، وبكل بساطة ، على الاشتراكي الديمقراطي الالماني ٠ فذلك الحزب يتحمل مسؤولية في تحطيم جبهة العمال في الحرب ، لانه كان الحزب القائد للاممية الثانية ، والمتباهي بمحافظته على تقاليد الطبقة العاملة ، والملتف حول قيادته السياسية بحماس ٠ وقد طمح العمال في العالم ان يجدوا فيه مثالا للشجاعة البروليتارية ، وللوضوح ازاء الامتحان الاساسي ، أي ازاء نشوب الحرب ٠ واذا به يخيب امالهم ، فيرفض تماما أخذ مسؤولية القيادة ، ويصبح أول حزب يؤيد متعاطي الحروب الاستعماريين ، وبسبب موقفه حصلت التأثيرات المدمرة والمربكة على الاحزاب العالمية وعلى النقابات في جميع البلدان الباقية ٠

ولكن رغم ذلك لا يصح الانخداع بذلك الواقع ، ففشل السياسة العمالية المعادية للحرب ، كان تتويجا طبيعيا للسياسة الانتهازية التي مارستها قيادات الاحزاب الاشتراكية الاكثر حسما في العالم . وكذلك قيادة الاممية الثانية خلال العقدين الاخيرين قبل نشوب الحرب

العالمية الاولى • وكان ثمرة للتعــاون الطبقي المهلك على الصعيــد النقابي • فتلك السياسة (سياسة التعاون الطبقي) حطمت الروحية الجهادية لدى النقابات ، وكانت عامل نضج للتآويل الانتهازية لدى القادة العماليين الذين اشغلوا انفسهم ، منذ مدة طويلة ، بالدفــاع المتزايد عن الاستعمار والعسكرية ، وتمثلت النتيجة الحتمية لوجهة النظر الانتهازية ، في ذلك العام بالذات • فقد فرق الانتهازيون تلك الحرب الاستعمارية بين حرب « هجومية » وحرب « دفاعية » ، وانهم يؤيدون حكومات بلدانهم بحروب « دفاعية » ! ان انهيار الاشتراكية الديمقراطية في الحرب العالمية الاولى ، كان بالنتيجة يعني ، انهيارا للتحريفية البيرنشتاينية العالمية بشتى اشكالها وطرزها •

أما جماهير العمال فلم تسأل عن رأيها بذلك القرار الرهيب • فالخيانة كانت اولا واخيرا من عمــل البيروقراطيين المتنفذين الذين تسلطوا على قيادات الاحزاب والنقابات والجمعيات التعاونية وغيرها من التنظيمات العمالية • وقد عكس ميتشلس في كتابه « الاحــزاب السياسية » الذي كتبه عشية الحرب ، صورة دقيقة لنبذ الديمقراطية من قبل طغمة القياديين ، خصوصا في الاشتراكي الديمقراطي الالماني الذي وجه منظمات الطبقة العاملة العالمية ، ووصفها بالروتين الساخر والعسكرية الشديدة والفساد السياسي • لقد برهنوا ، في اللحظة الحرجة من عام ١٩١٤ ، على انهم ادوات طيعة بيد الطبقات المتسلطة التي استدعتهم للعمل معها ، لزج الشعوب بالحرب الرجعية ومــن أجل مواصلة مشاريعها التوسعية الاستعمارية •

دور النقابات

لعبت البيروقراطية النقابية في كل من المانيا ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، النمسا ، الولايات المتحدة وفي غيرها من البلدان ، دورا بارزا في حدوث الكارثــة المروعة في اب ١٩١٤ • وذلك لانهم تحولوا ، منذ زمان ، الى معاوني الرأسمالية ، واذا لم يحصل ذلك دائما في الاقوال ، الا انه حصل بالاعمال ، فقد نظرت تلك العناصر الى نفسها كالشركاء الضروريين ، أو كعملاء ، للرأسمالية ، ولم تتردد بتلبية نداء سادتها لتنظيم وقود للمدافع • وكان القادة النقابيون الاعلى درجة ، والذين ايدوا الحرب، اكثر ضجيجاواكثر شوفينية في جميع المنظمات العمالية •

ولولا دعمهم النشيط ومبادراتهم المتوالية لتنفيذ الخيانة الكبرى . لما اصبح بامكان اهم الاحزاب الاشتراكيـة قهر الجناح اليسـارى المصمم على الوقوف ضـد الحرب • ومن الملاحظ ان تلـك العناصر اليمينيـة ، باستثناء قليل من قادة النقابات ، اعلنـت بعد تاييدها واستحسانها للحرب الاستعمارية ، بان موقفها كان خطـأ ، حتى لانقول جريمة •

لقد سار القادة النقابيون ، عموما ، بسرعة على اثار العناصر المتنفذة في الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، وبادروا لتأييد الحرب رسميا • كما اعطى ليغن في المانيا ، وهو الرئيس الفعلي للحـزب الاشتراكي الديمقراطي ، زخما للخيانة الكبرى عندما بشر بـ « السلام المتضامن » • ففي ٢ آب ، اي قبل يوم واحد فقط على تصويت الحزب على الاعتمادات العسكرية ، هيأ لخط موال للحـرب ، وبذلك أثـر في اليوم المشؤوم التالي بقوة على الحزب[٤] • وفي انكلترا تحول الحزب والتريديونات في ٤ آب ، اي بعد يوم واحد على خيانة زملائهم الالمان الى معسكر الحرب • ونفس الشيء حصل في بلجيكا • اما في فرنسا ، حيث كان القادة السـنديكاليون — الفوضـويون مايزالون يدعون بشكل ديماغوغي للاضراب العام في حالة قيام الحرب ، فقد خطـا جمهور الكوادر النقابية بليونة نحو الحرب ، وجنبا الى جنب مـع قيادة الحزب الاشتـراكى الذى جر الجماهير معـه • وفي اليابان قدم سوتسوكي ، غومبرس ذلك البلد ، تبريكاته للحرب • وفي ايار ١٩١٥ دخلت ايطاليا الحرب • فجند قادة نقاباتها الاشتراكيون الديمقراطيون الانتهازيون اليمينيـون — الذين هـددوا في الرابع من اب عام ١٩١٤ بشن الاضراب العام حال تدخل ايطاليا بالحرب — جندوا انفسهـم في زحمة من العبارات الراديكالية لتأييد الحرب • وفي الولايات المتحدة كان تاكتيك البرجوازية يكمن ، اولا وقبل اي شيء اخر ، في البقـاء خارج ميدان الحرب والحصول منـها على المنافع • وفي ذلك الوقت ظلت سياسة غومبرس — البيروقراطية ، مثل سياسـة الاحتكاريين في « حياد صارم » • ولكن عندما قرر الرأسماليون بأن وقت دخول الحرب قد حان ، ودخلوها فعلا في نيسان من عام ١٩١٧ ، وقف قادة النقابات الغومبرسيون في الصفوف الامامية من جبهة الحرب المروعة وساهموا في كسر المقاومة العنيدة للعمال •

ان موقف القادة النقابيين التحريفيين المؤيد للحرب اصبح واضحا تماما من خلال الرفض التام لاتحاد النقابات الدولي بالعمل مطلقا على ضد الحرب • فذلك الكيان الهزيل ، الذي تأسس عام ١٩٠٠ بأسم السكرتارية الدولية لمراكز النقابات المحلية (انظر القسم التاسع عشر) ، لم يبحث في يوم من الايام خلال الفترة السابقة ، مسألة الحرب التي كان خطرها ينمو على المكشوف من عام الى اخر • فجهاز ليغن المتسلط وقف عند رأي مفاده ، ان كل هذه المسائل تحل في وقتها المناسب بقدرة الدولية السياسية • ولهذا ظل اتحاد النقابات الدولي خاملا حتى في ازمة اب ١٩١٤ ، ولم يبد ادنى اهتمام للتراجيدية الكبرى ، التي خلقتها الحرب ، وهي تلف العالم بدخانها المهلك • وجاء افلاسه التام مطابقا لافلاس المنظمة السياسية التحريفية التدقيقة ، الاممية الثانية •



٢٥ـ الحركة النقابية العالمية بين ١٨٧٦ و ١٩١٤

قبل البحث في تعاليم الحركة النقابية اثناء المجازر المرعبة للحرب العالمية الاولى ، لابد من الوقوف لحظة للنظر في بضعة صفحات هامة من تاريخ الحركة العمالية ، نموها ، نضالاتها ومشاكلها خلال المرحله التي نبحثها في هذا الفصل من هذا الكتاب . اي منذ حل الاممية الاولى عام ١٨٧٦ حتى سقوط الامميه الثانية بنشوب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ .

تميزت تلك الفترة عموما ، بنمو الرأسمالية السريع وبتوسعها وقوتها . ففى غرب اوربا والولايات المتحدة ، مواطن النظام الرأسمالى ، لم تحصل حركة تصنيع سريعة حسب ، بل تكونت ايضا اتحادات للصناعة وللنقل والتمويل ، ونشأت الاوليغارشية المالية التى سيطرت على الانظمة الصناعية وعلى الجمعيات السياسية ايضا . وكانت الرأسمالية ، كما حللها لينين ، قد انتقلت من مرحلة المنافسة الحرة الى مرحلة الرأسمالية الاحتكارية ، أو مرحلة الاستعمار . وفى النضال العدائى والدائم بين القوى الرأسمالية حول السيطرة ، كانت الولايات المتحدة فى المقدمة ، ومن ابرز الدول فى السعى بهذا الاتجاه . فبريطانيا العظمى ، التى كانت دون شك القوة الصناعية القائدة للرأسمالية العالمية ، صارت فى صراع المزاحمة هذا متخلفة كثيرا . فمثلا ، اصبحت الولايات المتحدة تنتج من الصلب ، وهو العامل الحاسم فى الصناعة ، مرتين ونصف اكثر مما تنتج بريطانيا العظمى ، والمانيا تنتج منه مرتين اكثر منها . وسادت نفس الاوضاع فى تطور الفروع الاخرى للأقتصاد العالمى .

بمرور تلك الاعوام دخلت الرأسمالية عنوة في مجالات جديدة كثيرة . فشيدت بلدان شرق ووسط اوربا كلها صناعات مختلفة ، رغم تفاوت حجم انتاجها . وفى تلك المرحلة ايضا تقاسمت الدول الاستعمارية فيما بينها المناطق الشاسعة البعيدة فى افريقيا وجزر الهند الشرقية ، واستغلت مئات الملايين من سكانها ابشع استغلال وبنفس الاسلوب اضطهدت عمليا اسيا وامريكا اللاتينية بكاملهما على شكل مستعمرات او شبه مستعمرات . وعشية الحرب العالمية

الاولى ، وصلت الرأسمالية الى اعلى درجة فى قوتها وسيطرتها ٠ فقد صفيت الاقطاعية تماما وفى كل الجبهات ، وتعين نظام المجتمع الجديد ، الاشتراكية ، كخلف تاريخي للرأسمالية ، ولكنه لم يبدأ بعد بتأشير مداه ٠

نمو الحـــركة العمـــالية

فى عـام ١٨٧٦ ، وكما ذكرنا فى القسم الثانى عشـــر ، لم يتعد مجموع النقابيين فى جميع البلدان المليونين ٠ ولـــكن ذلك العدد ارتفع فى عام ١٩١٤ الى ستـة اضعافـه ٠ فحسب معطيات مكاتب العمل التابعة للأممية وصل عدد النقابيين فى عام ١٩١٤ ما مجموعه ١٣٫٢٢٢٫٠٠٠ عضو ، بضمنهم اعضاء النقابات المسيحية (٥٤٢٢٦٤) ، واعضاء النقابات الهرش ـ دنكرية (٦٥٠٠٠) ، وبضعة نقابات صغيرة على شاكلتها(١) ٠ وكانت اهم المجموعـات النقابيـة الوطنيـة هى : بريطانيا العظمى ٤٫١٩٩٫٠٠٠ عضو ، الولايات المتحدة ٢٫٦٧٢٫٠٠٠ ، المانيا ٢٫٢٧١٫٠٠٠ ، فرنســا ١٫٠٢٦٫٠٠٠ ، ايطاليا ٩٦٢٠٠٠ ، البلدان السكندنافية ٣١٩٠٠٠ ، استراليا ٥٢٣٠٠٠ ، البلاد المنخفضة ٢٢٧٠٠٠ ، بلجيكا ٣٠٣٠٠٠ وكندا ١٦٦٠٠٠ عضو ٠ ومن الملاحظ ان الحركـة النقابية ، رغم توسعها البيـّن ، كانت ما تزال محصورة في اوربا ، الولايات المتحدة وفى استراليا ٠ فأهم النقـــابات فى اسيا كانت حتى ذلك الحين مقتصرة على اليابان ، ورغم ذلك فانها لم تتعـــد ، وقتـــذاك ، الـ ١٠٠٠٠٠ عضو ٠ وقد وجدت نقابات قليلـــة وصغيرة فقط فى بلدان اميركا اللاتينيـــة ، اما فى افريقيا فلم توجد ايـة نقابات تستحق الذكر ٠

بالانسجـام مع النمو السريع للنقابات تغير تصنيف تبادل العمال فى الانتاج بدرجة كبيرة ٠ ولم تعد الحركة معتمدة عـــلى اعضائها من العمال المتعلمين فقط ، كما كان الحال قبل عام ١٨٧٦ ٠ واصبح العمال الميكانيكيون يشكلون عاملا رئيسا بشكل متزايد ٠ كذلك اصبحت اعدادا كبيرة من النساء تعمل في الصناعات وتنخرط في النقابات ٠ واندفع عدد هائل من العمـال الزراعيين للانضمام في النقابات كذلك ، ولعبوا دورا بارزا فى الحركة العماليـــة ، كما

استخدم عدد منهم فى شتى الاعمال المهنية ـ كمعلمين ، شغيلة مكاتب ، شغيلة متاجر والخ • ولم يجر تحول النقابات فى بعض البلدان من الاشكال والاساليب [illegible] التقليدية الى قبول تلك الفئات الجديدة من الشغيلة الاجراء بين صفوفها ، دون صعوبات معينة • وكانت الولايات المتحدة خصوصا تكون مثلا بارزا على تلك الصعوبات ، فقد تواجد هناك البيروقراطيون الغومبرسيون المغرقون فى الرجعية ، والذين لم يكتفوا بتقليص اهتمامهم بالعمال المتعلمين فقط ، بل واغلقوا نقاباتهم عمدا بوجه النساء والزنوج • وكالمعتاد تنكروا لأبسط الواجبات فى تنظيم الجماهير غير المتعلمة من العمال والمستخدمين الزراعيين •

وبمرور الفترة موضوع البحث (١٨٧٦ ـ ١٩١٤) غيرت النقابات تركيبها بشكل اساسى ينسجم وضرورة قيام منظمات كفاحية تلائم التطور العام الحاصل فى مختلف المجالات • فقد اصبح الوقت ملائما لبناء نقابات وطنية متماسكة ومجالس محلية واتحادات قطرية فى شتى البلدان • ولكن الخطوة المهمة الكبيرة فى تقدم الحركة النقابية ، كانت ، بالنسبة الى تركيبها ، هى تحول النقابات من مهنية الى صناعية • فالنقابة الصناعية صارت ، بنشوء التروستات ، وبنهوض اتحادات ارباب العمل الجبارة في جميع الصناعات ، وانعدام الاهمية الحاسمة للعامل المتعلم فى الصناعة ، ضرورة ملحة • ولكن فى الوقت الذى حصل التحول الى اعلى اشكال التنظيم الصناعى فى الحركات العمالية التى قادها الماركسيون بسهولة نسبية (فى المانيا ، روسيا ، النمسا وغيرها)، جابهته في البلدان الاخرى معارضة قوية من قبل الداعين « للنقابية الخانصة » • وقد تجسدت تلك المعارضة في الولايات المتحدة قبل غيرها ، حيث كانت النقابة المهنية ضرورة حياتية للجهاز الغومبرسى • ان التقدم من النقابة المهنية الى النقابة الصناعية كون ايضا رمز تقدم الحركة العمالية ، والتعبير الصائب عن المصالح الخاصة للعمال المتعلمين مثلما هو للمصالح العامة للطبقة العاملة بأجمعها •

وعند نمو وتوسع النقابات ، برز ايضا دور المنظمة السياسية للطبقة العاملة بصورة فعلية • ففى وقت حل الاممية الاولى عام ١٨٧٦ ، وجد حزب اشتراكي حقيقي واحد فقط ، وهو الحزب الذي

تأسس في المانيا عام ١٨٦٩ • ووجدت فقط بدايات اولية لاحزاب اشتراكية في هولندة (١٨٧٠) ، الدنمارك (١٨٧١) وفي الولايات المتحدة (١٨٧٦) •وكانت الاصوات الانتخابية المؤيدة للاشتراكيين لم تتعد في العموم بضعة مئات الالاف فقط •

ولكن ذلك الحال تغير بسرعة • فتكونت في ١٨٨٩ احــزابا اشتراكية شتى ، وفي آب ١٩١٤ وجدت جميع البلدان الرأسمالية الهامة احزابا عمالية تابعة للاممية الثانية ، وقــد اطلق اغلبها على نفسه اسم الحزب الاشتراكي الديمقراطي • واصبح للاممية الثانية وقتذاك ٢٧ حزبا اشتراكيا في ٢٢ بلدا ، وكانت تتمتع بتأييد ١٢ مليون ناخب ، ولها في جميع البرلمانات تقريبا كتل هامــة : في المانيا ١١٠ نواب ، في فرنسا ٧٣ ، في بريطانيا العظمــى ٤٢ ، في بلجيكا ٣٤ ، في الدنمارك ٣٢ ، في النرويج ٢٣ ، في روسيا ١٣ وفي هولندة ١٦ نائبا[٢] • وكان لحــزب العمــال الاشتراكي الاسترالي الاغلبية في البرلمان الاتحادي حينذاك[٣] • ولان العمال الامريكيين المنظمين اتبعوا ، بصورة عامة ، سياسة « اللب ـ لاب » الغومبرسية ، وصوتوا لصالح المرشحين الرأسماليين ، او ما سمو ب « اصدقاء العمال » ، فانهم لم يحصلوا على غير نائب واحد فقط في كونغرس الولايات المتحدة • وقد وقف القادة الغومبرسيون من ذلك النائب موقفا عدائيا •

اما الحركة التعاونية لتلك المرحلة فقد حققت هي الاخرى ايضا تقدما يلفت الانتباه • فتطورت التعاونيات الاوربية ، من حركة متواضعة في عام ١٨٧٦ ، الى حركة ناميـــة تجاوز مجموع اعضائها الستة ملايين في عام ١٩١٤ ، واتبعت القيادة الاشتراكيـــة الديمقراطية •

نضـــالات الطبقة العاملة

من خلال العقود الاربعة التي نتحدث عنها هنا ، شن العمال في مختلف البلدان اضرابات وخاضوا نضالات أخرى لا تحصى • وكانت تلك النضالات تاخذ باستمرار مدى اوسع وميلا نحو العنف اكبر • وتطورت اضرابات لمهن وصناعات معينة ، حتى اصبحت امرا مألوفا على الصعيد الوطني • وقد حصلت اضرابات جماهيرية محلية

لا يمكن عدها ، وكذلك اضرابات جماهيرية قطرية كثيرة . وفي نفس الفترة حصلت ايضا معارك سياسية عديدة ، كانت في سبيل حق الانتخاب ، تقصير وقت يوم العمل ، حول الانتخابات البرلمانية ، تشريع قانون ضمان اجتماعي جذري ضد البطالة والمرض وكذلك في سبيل تقاعد المسنين . ان اغلب النقابات (باستثناء الغومبرسية) كانت قد تعلمت اخيرا بانها لا تستطيع حل قضايا الضمان الاجتماعي من خلال انظمة خدمتها النقابية الخاصة بالمساعدة المتبادلة ، بل يجب عليها الطموح بسن تشريع من قبل الدولة يضمن هذا الحق ، وكان ذلك بالنسبة للنقابات ذات الاسلوب القديم يشكل خطوة جبارة الى الامام .

وبدأت تلك المرحلة بالاضراب الوطني الجريء الذى قام به عمال السكك الحديدية في الولايات المتحدة عام ١٨٧٧ ، وعلى اثره مباشرة نشبت عدة معارك طبقية مماثلة خاضتها الطبقة العاملة الاميركية ببسالة . وبمرور تلك العقود حصلت عدة نضالات في مختلف البلدان ، كان منها النضال المرير الناجح للعمال الالمان ضد القانون الاجتماعي (الاستثنائي) الذى فرضه بسمارك من ١٨٧٨ ـ ١٨٩٠ ، والاضراب الكبير لعمال المرافيء الانكليز عام ١٨٨٩ ، والاضراب الوطنى العام للعمال الاميركيين ١٨٨٦ ، واضرابات العمال البلجيكيين فى (١٨٩٣ ، ١٩٠٢ ، ١٩١٣) ، والعمال السويديين (١٩٠٢ ، ١٩٠٩) ، والعمال الهولنديين (١٩٠٣) ، وكانت الاضرابات العامة للعمال الروس فى عام ١٩٠٥ من ابرزها جميعا . فتلك الحركة العظيمة التى صعدت نضالات العمال الى درجة اعلى بكثير مما وصلت اليه فى الثورة الاوربية لعام ١٨٤٨ ، واثناء كومونة باريس عام ١٨٧١ ، كانت ممارسة ثورية وسط قلب الرأسمالية وتركت كيان الرأسمالية العالمية بأكمله يهتز منها . وخلال تلك المرحلة من النضالات العنيفة اضحت الاممية الثانية بقيادة الطبقة العاملة الالمانية .

لقد نال العمال فى شتى البلدان مكاسب هامة انتزعوها من ارباب العمل خلال تلك النضالات المريرة . ويقف تقصير يوم العمل فى المرتبة الاولى من تلك المكاسب جميعا . ففى البلدان التى كانت فيها النقابات قوية تقلص يوم العمل ، فبينما كان فى

الماضي يمتد من ١٢ ـ ١٥ ساعــة ، اصبح يتراوح بين ٨ ـ ١٠ ساعات ، وصار حقا مكتسبا في صناعات رئيسية بموجب قانـون عام • كما استمر النضال لجعل يوم العمل ثمان ساعات وصار امرا عاما وثابتا قانونا • وفاز العمال في بلـــدان عديدة بقانون أولي للضمان الاجتماعي وبإجراءات مراقبة وتفتيش المعامل لغرض التأكد من شروط العمل الصحية وبتحسينات في الحق الانتخابي •

ان نضالات العمال العديدة لتحسين الاجور ادت هي الاخرى الى التخفيف ، ولو جزئيا ، من شدة استغلال ارباب العمل للعمال • وحصلت في البلدان الرأسمالية المتقدمـة بضعـــة تحسينات في المستوى المعاشي في تلك المرحلـــة ، خصوصا بالنسبـــة للعمال المتعلمين • وفيما يخص الولايات المتحدة ، البلد الرأسمالي المتقدم ، فقد اكد فاولكنر بان ارتفاعا نسبيا حصل في الاجر الحقيقي بين ١٨٩٧ ـ ١٩١٤[٤] • ومن الممكن تعميم ذلك التحسن في الاجور على انكلترا والمانيا ايضا • ولـــكن الافقار الاساسي التام والمطلق للعمال ينعـــكس بتأثيرات شتى اعمق من ذلك ، يعني اولا ، كما اثبت ذلك ماركس ، ان العمال رغم زيادة سرعـــة انتاجية عملهم لكنهم لم يحصلوا منها الا على حصة اقل ، وثانيا ان التحسينـات القليلة والثانوية للاجر الحقيقي في البلدان الاستعماريـــة ، هي بالنسبة للطبقة العاملـــة ككل لا توازي زيادة البطالـــة وحوادث العمل ، وخصوصــا بالتدهور الفضيع للمستوى المعاشـــي فـــي المستعمرات وشبه المستعمرات الذي ينجم عن الاستغلال الاستعماري لسكانها (اكثر من مليار نسمة) •

وكون الطابع السياسي المتزايد واحدا من الاسس الهامة جدا لنضال العمال الواسع في تلك الفترة • وينعكس ذلك الاتجـــاه نحو السياسة ليس فقط بانشـــاء الاحـــزاب الاشتراكية والنشاطات السياسية لها ، بل في الطبيعـــة المتغيرة للاضرابات ايضا • ففي العقود الاولى من نشوء الحركة النقابيـــة اتصفت الاضـــرابات في مختلف البلدان بطابع اقتصادي محض • اي انها كانت متوجهـــة بشكل رئيس للاضرار بارباب العمل المعنيين ووضعهم امام خيـــار هو ، اما الدخول بمفاوضات او التمرد على العمل • ولكن الاضرابات الوطنية الكبرى ـ اضرابات النقابات المهنية والصناعية والاضرابات

الجماهيرية — التي حصلت عشية الحرب العالمية الاولى على تطور حاسم ، كانت ، دون ان تفقد ميزاتها الاقتصاديـــة ، ذات تأثير سياسي ضخم • وقد اصبح ذلك الانعطاف واضحا مما حدا بالدولة ان تنظر الى تلك الاضرابات على انها تشكل تهديدا مباشرا لمصالحها الخاصـــة ، ولهذا وقفت منها بماينسجم واهميتها ، كما لم يتوان ارباب العمل مطلقا عن دعوة الحكومة لتقديم المساعدة الفعالة لقمع الاضرابات • ان ذلك الانعطاف فى تحول النضالات العماليـــــة وبروز طابعها السياسي اشار — رغم جهود القادة الانتهازية لطمسه وتجاهله — الى حتمية الاتجاه الرئيسي لنضال الطبقة العاملة اليابانية في سبيل الفوز بالسلطة السياسية •

التقدم العمالى والاخفاقات الايديولوجية

ان الخسارة الكبيرة التى منى بها عمال العالم فى تلك الفترة كانت موت كارل ماركـــس في ١٤ اذار ١٨٩٣ وفريدريك انجلس في ٥ آب ١٨٩٥ • فقد كانا رواد الحركة الاشتراكية والنقابية • وحللا النظام الرأسمالي والمشاكل التي واجهت عمال العالم ، وانجـــزا البرنامج الاساس ، الاقتصادى والسياســـى للعمال ، وارسيـــا الستراتيج والتاكتيك العامين ، وبواسطتهما امكن لذلك البرنامج ان ينجز الكثير منه بظل الرأسمالية ، واستطاعا توضيح المبادىء التي يتطور وينظم النظام الاجتماعي الجديد ، الاشتراكية ، بموجبها . مع تأكيدهما دائما على — ان ليس حتميا ان يجرى كل ذلك فى كل البلدان على نفس الطريق — • وبقوتها الخاصة الهائلة استطاعت الطبقة العاملة خلال الفترة التى فقدت فيها قادتها العظام ، ماركس وأنجلس ، ان تربى قائدا اخر مثلهم ، ذا قدرة غير متناهية هو ، ف • أ • لينين •

وعبر نضالاتهم العديدة ، القاسية والمريرة ، خلال تلك الاعوام استطاع العمال من الحصول على كثير من المكاسب الاقتصاديـــة والسياسية الهامة • ولكن اكبر انتصاراتهم تمثـــل بقدرتهم على تكوين التنظيمات النقابية والسياسية الكبرى • وقد قيم ماركس وأنجلس الصدامات اليومية للعمال على انها « النتيجـة الحقيقيـة لنضالهم ، فهى ليست ذلك النجاح المباشر الثانوى ، بل هذا الاتحاد

التضامن دوما بين العمال[*] »[٥] • وفي تعبير « الاتحاد المتعاظم دوما » يصبح التطور الايديولوجي للعمال شاملا ايضا •

بهذا الخصوص حققت شغيلة العالم كله عبر المرحلة ، تقدما حقيقيا في حركتنا العمالية • فمثلا صارت الماركسية رغم المحاولات الكثيرة لتشويهها وتصفيتها من الداخل والخارج ، الايديولوجيا الغالبة بين عمال العالم المنظمين • ورسخت كايديولوجية للطبقة العاملة بواسطة الادبيات الطبقية للينين خصوصا وتجارب الطبقة العاملة فى الثورة الروسية للعام ١٩٠٥ • وعلى نفس الارضية جرى التغلب تماما على الايديولوجيات الانعزالية التى عرقلت حياة الاممية الاولى • فتعاليم برودون وبلانكي ولاسال التى كان لها فى المرحلة السابقة صيت ذائع ، قد صفيت بمرور الاعوام التالية من خلال الصراع الطبقى • اما تعاليم باكونين ، المقص الذى شقت به الاممية الاولى ، فقد واصلت حياتها فى شكلها الاصلى ، الفوضوى الخالص ، مع مجموعات منعزلة تماما • فتلك الدعوة البدائية للنقابية الخالصة ، بأساتها للاشتراكية وبرفضها للاعمال السياسية للطبقة العاملة وبارتباطاتها التنظيمية مع الاحزاب السياسية الراسمالية وبنقاباتها المهنية الملوثة ، كانت هى الاخرى قد غلبت • وظل مرتكزها الوحيد الباقى فى النقابات الغومبرسية البالية والمرتشية فى الولايات المتحدة •

كل تلك كانت جوانب ايجابية . ولكن هناك ايضا جوانب سلبية جديدة فى التطورات الخاصة بأيديولوجية العمال • فقد حصل، كما رأينا ، تطور الفوضوية ــ السنديكالية منذ الثمانينات ، وكان اصل هذه الحركة فى فرنسا ومراكزها الرئيسية فى البلدان الرومانية ، وحاولت ، بعد حوالى عام ١٩٠٦ ، ان تصبح حركة عالمية • فتلك الايديولوجية تمثلت بخليط من الفوضوية ومن النقابية المجاهدة بملامح من تصور ماركسي عن الصراع الطبقي • ومارست تأثيرا مربكا ومضعفا فى الحركة العمالية •

ان تأسيس وقيام النقابات الكاثوليكية « المسيحية » التى

(★) وردت ترجمة هذه الجملة في طبعة موسكو ـ دار التقدم ، للبيان الشيوعي ص ٤٩ كالاتي : والنتيجة الحقيقية لنضالهم هي هذا التضامن المتعاظم بين جميع الشغيلة ، لا ذلك النجاح المباشر الوقتي • المترجم •

عاشت في الفترة ما بعد عام ١٨٩٠ ، كان اسفينا لقوى معادية مارست تأثيره المربك داخل منظمة الطبقة العاملة وفي ايديولوجيتها • واصبحت تلك الحركة منذ ذلك الحين وفي بلدان عديدة عائقا جديا بوجه اندفاع الطبقة العاملة •

وجاءت المرحلة من ١٨٧٦ ـ ١٩١٤ كذلك بشكل من الماركسية « فوق اليسارية » • وقد لعب ذلك الانعطاف اليساري المتطرف دورا مؤلما بين صفوف العمال المنظمين • وكان التعبير الواضح لذلك الانعطاف في اراء دي ليون في الولايات المتحدة • فدانيال دي ليون بتشويهه الايديولوجي الانعزالي للماركسية اعلن بان النضال في سبيل مطاليب فورية امر عديم الجدوى بل ومضر ايضا • وقال ، بان العمال لهم مطلب واحد فقط هو الثورة الاشتراكية • وكان ضد العمل المشترك مع النقابات القديمة ، وخطط لمشروع طوباوي صرفا ، لنقابات صناعية ثورية « تماما » • وتجاهل النضالات القاسية للزنوج ولفقراء الفلاحين • وبالنظر للمركز الذي يحتله دي ليون كرئيس لحزب العمال الاشتراكي ، في الوقت الذي كان معترفا به كحزب للجناح اليساري ، سببت انعزاليته للحركة العمالية اضرارا بليغة ، وعزلت الماركسيين عن المنظمات الجماهيرية وعن النضالات الرئيسية للعمال وكذلك عن بقية الجماهير الديمقراطية •

ان التشويه الغث الثاني الذي وجه للماركسية ، والذي توسع وقتذاك ايضا ، كان « الارتداد » أو الكاوتسكية • وقد تم فضح وتعرية ذلك الاتجاه من قبل لينين ، حيث قال عنه بانه اتجاه مع الكلام الثوري ، ولكن ضد العمل الثوري • وقد موه مؤيدو كاوتسكي انفسهم بكنز المصطلحات الماركسية الكبير ، ولكن سياستهم العملية كانت مندمجة بالجناح اليميني • قال لينين عن كاوتسكي وزميله الروسي بليخانوف بانهما « سرقا الماركسية روحها الحيوية الثورية وسط مغالطات مكشوفة خبيرة فالمرء منهما يقبل بكل شيء من الماركسية ، سوى الوسيلة الكفاحية الثورية ، فالدعاية لتلك الوسائل الكفاحية ونشرها كفيل بتثقيف الجماهير مباشرة بهذا الاتجاه »(٦) • وقد تطورت وجهات نظر كاوتسكي في المانيا بشكل اقوى مما في غيرها ، ولكن كان لها ممثلوها في جميع البلدان • فالمركزية بدأت في توسيع شكلها العلني خلال العقد

الاخير قبل الحرب العالمية الاولى ، وحيث نشبت الازمة العالمية الكبرى ، وصار واجب تروتسكي الرئيس يكمن في اقناع الجماهير بأسلوبه الخياني مع تشديده بالكلام على الاتجاه الراديكالي ، وقد حدث ذلك وسط تمردات جماهيرية ضد اليمين ومن اجل السير باتجاه يساري • وقد ناضل لينين ضد مركزية كاوتسكي بوصفها خطرا رئيسا خلال المرحلة الحاسمة للحرب العالمية الاولى والثورات المتعاقبة •

الا ان اكبر تلك الاخطار الداخلية بالنسبة للطبقة العاملة ، والتي نشأت ونضجت في تلك المرحلة ايضا ، كانت التحريفية اليمينية • فذلك الوباء انتشر في الحركة العمالية باشكال مختلفة في شتى البلدان : تعاليم بيرنشتاين في المانيا ، الجمعية الفابية وماك دونالدس في بريطانيا العظمى ، الشعبيون في روسيا وغومبرس وبيرغر في الولايات المتحدة ، ولكنها على العموم كانت جميعها في الجوهر تعبيرا متماثلا متشابها للتأثير البرجوازي داخل صفوف الطبقة العاملة • ان تلك الارتدادات الاساسية ، والتي ما زالت حتى اليوم ضالة في خيانتها ، تروج من محور واحد لجميع الانحرافات اليمينية و « اليسارية » •

فمنذ الايام الاولى للحركة النقابية ولنضالات الطبقة العاملة وجدت عناصر محافظة انتهازية يمينية مختلفة اعتقدت ، بان العمال سيحصلون على مكاسب اكبر لو انهم توسلوا بارباب العمل بدلا من محاربتهم بصورة مكشوفة • ان خاصية التحريفية اليمينية تكمن في كون هذه التحريفية نتاج واضح للرأسمال الاحتكاري • وقد نمت وازدهرت في مرحلة نشوء الاستعمار • فمثلت ، قبل أي شيء اخر ، المساعي المنظمة للقوى المؤيدة للرأسماليين في الحركة العمالية من أجل السيطرة على الطبقة العاملة ومن ثم منعها عن توجيه الضربات الحازمة للبرجوازية • لقد تطورت التحريفية منذ اواسط التسعينات . وشبت جنبا الى جنب مع الاستعمار • وكانت التيار السائد لدى القوى التي قادت الاممية الثانية في عام ١٩١٤ • وخلال الحرب العالمية الاولى وصل التحريفيون او الاشتراكيون الديمقراطيون اليمينيون الى اعلى درجة كقوى ثورة مضادة ، كمدافعين علنيين عن الرأسمالية ، وضد الهجمات الثورية للطبقة العاملة ـ وكانوا في

الحقيقة ، كما وصفهم لينين ، « الجناح اليساري » للبرجوازية . ان المنبع الرئيس لتلك القوى المضادة للثورة كانت القيادات النقابية الرجعية التي ارتكزت على الارستقراطية العمالية .

رأينا في الاقسام السابقة كيف ان التحريفية ، أي الاشتراكية الديمقراطية اليمينية ، شلت تقدم ونضال الطبقة العاملة ، وخلقت بيروقراطية فظيعة (عنصرا جديدا وخطرا فى حياة الطبقة العاملة) خنقت بها كل روح ديمقراطية فى الاحزاب الاشتراكية وفى النقابات وكونت العائق الرئيس لتطور النقابات الصناعية والتنظيم اوسع الجماهير ، وكانت ضد قيام قيادة سياسة حازمة للحزب ، ودعت لسياسة « حياد » النقابات . اذن ماذا يعني الاذلال والخنوع الذي مارسه قادة النقابات الانتهازيون اكثر من ذلك !؟ فتأثيرهم السلبي كان يترك اثاره على كل اضراب عام تشنه الطبقة العاملة . فهم الذين دمروا الثورة الروسية لعام ١٩٠٥ ، وكما رأينا ، كيف احبطوا بخيانتهم مقاومة العمال ضد الحرب العالمية الاستعمارية الاولى . وانفسهم صاروا يحيكون لتجنيد العمال وجعل البروليتاريا وقودا للمدافع وتسليمها ، بالنفاق والالاعيب ، الى مجزرة جماهيرية مروعة .

وفي الاقسام التالية سنرى كيف ان الاشتراكيين الديمقراطيين ناهضوا الموجة العظيمة من الثورات البروليتارية في مرحلة ما بعد الحرب ، وكيف برهنوا على انهم دعامة رئيسة من دعائم النظام الرأسمالي المتوحش .

انتهى الفصل الثاني ويليه
الفصل الثالث

مصادر البحث

القسم الثالث عشر

١ ـ **ف. أي. لينين** الاستعمار اعلى مراحل الراسمالية ، برلين ١٩٥٢ ص ٩٦ .

٢ ـ The Trust Prapblem; NewYork 1926, S.96.

٣ ـ **انا روشستر** Rules of American; NewYork 1936, S.22

٤ ـ **ايتون** المصدر السابق ص ١٥٠ .

٥ ـ نفس المصدر ص ١٤٧ .

٦ ـ **ف. أي. لينين** المصدر السابق ص ٨٤ .

٧ ـ Vgl. Les Trois Internationales, Paris 1955.

٨ ـ **لوسوفسكي** كارل ماركس والنقابات ، زوريخ ١٩٣٤ ص ٦٥ .

٩ ـ **أي. تراختنبيرغ** تاريخ يوم الاول من ايار ، نيويورك ١٩٤٧ .

القسم الرابع عشر

١ ـ **تسفنغ** المصدر السابق ص ٣٤ .

٢ ـ **فارفغ** المصدر السابق ص ٩٢ .

٣ ـ **صاموئيل ب. أورث** الاشتراكية والديمقراطية في اوربا ، نيويورك ١٩١٣ ص ١٣٢ .

٤ ـ **كارل ماركس** نقد برنامج غوتا ، برلين ١٩٥٥ .

٥ ــ Das Erfurter Programm ist im Anhang des vorstehenden Titels enthalten.

٦ ــ **فارفغ** المصدر السابق ص ١١٢ ·

٧ ــ **تسفنغ** المصدر السابق ص ٤٦ ·

٨ ــ **باول بارتهل** كتاب مختصر عن مؤتمرات النقابات الالمانية ، دريسدن ١٩١٦ ص ٣٠١ ·

٩ ــ **نستربكه** المصدر السابق الجزء الاول ص ٢٥٦ ·

١٠ــ **فارفغ** المصدر السابق ص ١٢٩ ·

١١ــ **بارتهل** المصدر السابق ص ٨٢ ·

١٢ــ **باول امبرايت** ٢٥ سنة من الحركة النقابية الالمانية ، برلين ١٩١٥ ص ١٨٠

١٣ــ **كوتسنسكي** حالة العمال في أوربا الغربية ، ص ٧٥ ·

١٤ــ نفس المصدر ص ٩٦ ·

١٥ــ **كوتسنسكي** تاريخ حالة العمال في الولايات المتحدة الاميركية ، برلين ١٩٥٥ الجزء الثالث الفصل الثاني ١٣٦ ·

القسم الخامس عشر

١ ــ **ايتون** المصدر السابق ص ١٣٥ ·

٢ ــ **ماركس ــ انجلس** الرسائل المختارة ، برلين ١٩٥٣ ص ١٣١ ·

٣ ــ **روثشتاين** المصدر السابق ص ٢٧٧ ·

٤ ــ **الزوجان ويب** المصدر السابق ص ٣٢١ ·

٥ ــ نفس المصدر ص ٣٢١ ·

٦ ــ نفس المصدر ص ٣٨٠ ·

٧ ــ نفس المصدر ص ٣٨٤ ·

٨ ــ **هوت** المصدر السابق ص ٣٢ ·

٩ ــ **الزوجان ويب** المصدر السابق ص ٣٧٤ ·

١٠ــ **مقتبس عن ماركس وانجلس** حول النقابات ، برلين ١٩٥٣ ص ٢٢٦ ·

١١ـ الزوجان ويب المصدر السابق ص ٢٧٥ .
١٢ـ توم مان From Single Tex to Syndicalism; London 1913

١٣ـ هوت المصدر السابق ص ٣٨ .
١٤ـ كوله وبوستاغ المصدر السابق ص ٤٠٦ .
Vgl, dazu auch Grossbitannien hatte
١٥ـ Dick Beamish sein "Kasseler Urteil"; a Neues Deutsch land", Nummer vom 12.2.1956.S.5

١٦ـ والاس المصدر السابق ص ٢٠ .
١٧ـ نفس المصدر ص ٢٨ .

القسم السادس عشر

١ ـ The Econommic Almanac; 1948, S.9.
٢ ـ فونر المصدر السابق الجزء الاول ص ٣٨١ ص ٤٦٥ ـ ٤٦٩
٣ ـ صاموئيل يلن نضالات العمال الاميركان ، نيويورك ١٩٣٦ ، ص ١٠١ ـ ١٣٠
٤ ـ انتوني بيما The Molly Maguieres; NewYork 1932.
٥ ـ كومونس المصدر السابق الجزء الثانى ص ٥٠٧
٦ ـ يلن المصدر السابق ص ١٣٦ ـ ١٧٠ .
٧ ـ كومونس المصدر السابق الجزء الثانى ص ٤٩٣
٨ ـ وليم د. هايوود Unter Cowboys and Kumpels; Berlin 1930

٩ ـ تراختنبيرغ تأريخ الاول من ايار ، نيويورك ١٩٤٧
١٠ـ ناثن فاين Labor and Farmer Parties in the United States (1828-1928); NewYork 1928, S.51-87.
١١ـ فوستر الشعب الزنجي في التأريخ الاميركي ، ص ـ ٣٧٩
١٢ـ فونر المصدر السابق الجزء الثانى
١٣ـ ريشارد ت. الي الحركة العمالية فى اميركا ، بوسطن ١٨٨٦ ص ٧٨

١٤- American Federation of Labor, History Encyclopedia Reference Book; Washington (D.C.) 1919,S.169.

١٥- لويس لوروين — اتحاد العمال الاميركي ، واشنطن (د· سي) ١٩٣٣ ص ١٣

١٦- (نيويورك ليدر) — عدد ٢٥ تموز ١٨٨٧

١٧- تلخيص ذونر — تاريخ الحركة العمالية في الولايات المتحدة ، الجزء الثاني ·

١٨- تيرنس ف· بودرلي — ثلاثون عاما من العمل ، كولومبيا ١٨٨٩

١٩- غومبرس — المصدر السابق الجزء الاول ص ٢٨١

٢٠- ماركس - انجلس — رسائل الى الاميركيين ، نيويورك ١٩٥٦ ص ١٦٢ - ١٦٧

٢١- فوستر — تاريخ الحزب الشيوعي في الولايات المتحده ص ٩٦ - ١١٢

القسم السابع عشر

١ - والتر غالنسون Comparative Labor Movements: NewYork 1952. S.320.

٢ - ليغن — المصدر السابق ص ٧٠

٣ - ليفرانس — المصدر السابق ص ١٩٤

٤ - — نفس المصدر ص ١٨٦

٥ - م· فولتير — فيرناندو فولتير ، باريس ١٩١١

٦ - اميل بوغت — التخريب ، باريس ١٩١٠

٧ - فولتير — المصدر السابق ص ٤٧

٨ - ليفرانس — المصدر السابق ص ٢٥٣ - ٢٥٧

٩ - كانديلورو — الحركة السنديكالية في ايطاليا ص ٢٦

١٠- اندريه تريدون — الوحدة الجديدة ، نيويورك ١٩١٤ ص ١٤٨

١١- كانديلورو — الحركة السنديكالية في ايطاليا ص ٦٩

١٢- تلخيص غوالتير — المصدر السابق ص ١٧٩

١٣ـ ولفريد اج كروك — الاضرابات العامـــة ، جابلهيل ١٩٣١ ص ١٨٧

١٤ ـ كانديلورو — المصدر السابـق ص ٦١

١٥ـ سلفادوردى مادرياغا — اسبانيا ، شتوتغارت ١٩٥٥ ص ١٠٦

١٦ـ انطونيـــو راموســـ اوليغيرا — Politics, Economics and men of Modern spain (1808-1946), London 1946, S.145.

القسم الثامن عشر

١ ـ غالنسون — المصدر السابق ، ص ١٠٥ ـ ١١٨

٢ ـ تسفنغ — المصدر السابق ص ١٢٠ .

٣ ـ فلكس غروس, The Polish Worker, NewYork 1945, S.145.

٤ ـ دات The Labor International Handbook; S.229

٥ ـ — سيرة حياة جورجى ديمتروف ، صوفيا ١٩٤٨ ص ١١

٦ .. تسفنغ — المصدر السابق ص ١٢٠

٧ ـ فوستر — موجز التاريخ السياسى لاميركـا ص ٥١٣ ـ ٥٤٩

٨ ـ فيكنتي لومباردو توليدانو — In "CTAL News"; Septemberheft 1950.

٩ ـ كنت ك. كوريهارا — عامل في اقتصاد الفليبين ، ستانفـور ١٩٤٥ ص ٦٠ ـ ٦٩

١٠ـ بلاس روكا — Los Fundamentos del Socialism en Cuba .

١١ـ American Federation of Labor, History Encyclo pedia Reference Book, S. 57.

١٢ـ أي. غتشام و اف. ج. ترمباث — المنظمة العمالية في جنـوب افريقيـــا ، دورتهام (انكلترا) ١٩٢٦

١٣ـ ر. ك. كوبه — Comrade Bill; Capetown.

١٤ـ « النيويورك تايمس » عدد ١٣ ايلول ١٩٥٥ ·
١٥ الانسكلوبيديا البريطانية ، المجلد ٢١ ص ٦٠
١٦ـ ر· بالم دات الهند اليوم ، برلين ١٩٥١ ص ٣٢٧ و ١٣٩
١٧ـ هو جياو ـ مو ثلاثون سنة من تاريخ الحزب الشيوعي الصيني ، برلين ١٩٥٤
١٨ـ او· تانين و اى يوهان العسكرية والفاشية في اليابان ، نيويورك ١٩٣٤ ص ٢٥ و ٢٧
١٩ـ اى· اج· نورمان انبثاق اليابان كدولة عصرية ، نيويورك ١٩٤٠
٢٠ـ كاناياما المصدر السابق ص ٣٨
٢١ـ أ· روت Dilemma in Japan; Boston 1945, S.197.

القسم التاسع عشر

١ ـ شتكلوف المصدر السابق ص ٨١
٢ ـ الزوجان ويب المصدر السابق ص ٣٩٦
٣ ـ وقائع مؤتمر الاممية الاشتراكي ، شتوتغارت ١٩٠٧ ، ص ٥٥
٤ ـ لبنس الاممية الثانية وتراثها، هامبورغ ١٩٣٠، ص ١٦
٥ ـ American Federation of Labor, History Encyclopedia Reference book, S.81.
٦ ـ نفس المصدر ص ٨١
٧ ـ اورورين العمال والاممية ص ٩٧
٨ ـ جون ساسنباخ ٢٥ سنة من تاريخ الحركة النقابية العالميه، امستردام ١٩٢٦ ص ٨
٩ ـ امبرايت المصدر السابق ص ١٣٨
١٠ ـ ساسنباخ المصدر السابق ص ٨٤

١١ ـ دات The Labor International Handbook, S.199

١٢ ـ Report of the A.F. of L. Repressentative at Budapest (Hungary); 10.-12. August 1911.

١٣ـ لويس ل٠ لوروين الحركة العمالية العالمية نيويورك ١٩٥٣ ص ٣٣ ٠

١٤ ـ American Federation of Labor, History Encyclo pedia Reference Book, S. 83.

١٥ ـ ساسنباخ المصدر السابق ص ٣٦

١٦ ـ اس نستربكه الحركة النقابية ، شتوتغارت ١٩٢١ ص ٣٠٠

١٧ ـ لوروين الحركة العمالية العالمية ، ص ١٥٣ـ١٦٢

القسم العشرون

١ ـ ى ٠ ف ستالين المؤلفات ، برلين ١٩٥٣ الجزء العاشر ص ٨١

٢ ـ لوسوفسكى دور النقابات في الثورة الروسية ص ٧

٣ ـ ر٠ لوكسمبورغ الاضراب الجماهيري ، الحزب والنقابات، لايبزك ١٩١٩ ص ١٢ ـ ١٦

٤ ـ تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي برلين ١٩٥٥ ، ص ٣١

٥ ـ لينين ما العمل ؟ برلين ١٩٥١ ص ١٥٧

٦ ـ نفس المصدر ص ٥٩

٧ ـ نفس المصدر ص ٣٢

٨ ـ لينين ثورة ١٩٠٥ ، فينا ـ برلين ١٩٣١ ص ٥٢

٩ ـ كروك الاضراب العام ص ١٧١

١٠ ـ (فى سبيل سلم دائم ، فى سبيل ديمقراطية شعبية) عدد ٢٨. كانون الثانى ١٩٥٥

١١ ـ لوسوفسكى النقابات فى روسيا السوفياتية ،

برلين ١٩٢٠ ص ١٥

١٢ـ ماركواند وآخرون — المصدر السابق ص ٢٨٩

١٣ ـ أى ٠ م ٠ بانكراتوفا — تاريخ الحركة النقابيـة فى الاتحـاد السوفياتى ، برليـن ١٩٥٦ ، ١٠٦

١٤ ـ لوسوفسكى — دور اتحاد العمال فى الثورة ص ٨

القسم الحادي والعشرون

١ ـ كروك — المصدر السابق ص ٥ ـ ١٢

٢ ـ لوكسمبورغ — المصدر السابق ص ٣

٣ ـ ى ٠ ف ٠ ستالين — مسائل اللينينية ، برلين ١٩٥٥ ص ٢١

٤ ـ كروك — المصدر السابق ص ٣٨

٥ ـ — نفس المصدر ص ٥٤ ـ ١٠٢

٦ ـ — نفس المصدر ص ١٠٢ ـ ١٤٤

٧ ـ لينين — ثورة ١٩٠٥ ص ٦٧

٨ ـ بارتهل — المصدر السابق ص ١٣٠

٩ ـ لينين — ثورة ١٩٠٥ ص ٦٢

١٠ ـ لوكسمبورغ — المصدر السابق ص ٢٧

١١ـ يوسف اي٠ برانت — في سبيل اسبانيـــا جديدة ، شيكاغو ١٩٣٢ ص ٣٦٢

القسم الثاني والعشرون

١ ـ ليغن — المصدر السابق ص ١٧٧

٢ ـ كانديلورا — الحـركة السنديكاليـة في ايطاليـا ص ٦٩ـ٧٩

٣ ـ القس فينسنت جون — The IWW Its History, structure and Methods; Chicago 1919.

٤ ـ باول اف٠ برسندان — تاريخ عمال الصناعة العالمين (I W W) نيويورك ١٩٢٠ ص ٣٥١

٥ ـ — نفس المصدر ص ٣٤١

٦ ـ وليم ز٠ فوستر — التريديونية الاميركية ، نيويورك ١٩٤٧ ص ١٥ـ٢١
٧ ـ مان — المصدر السابق ص ٩٢
٨ ـ كوله وبوستاغ — المصدر السابق ص ٤٣٢
٩ ـ هوت — المصدر السابق ص ٤٤ـ٥٥
١٠ ـ روتشتاين — المصدر السابق ص ٢٧٤
١١ ـ أمي هيوس — Guild Socialism; NewYork 1922.
١٢ ـ نستربكه — الحركة النقابية ، الجزء الثاني ص ٣٦٢ ـ ٣٨١
١٣ـ ماركواند وآخرون — المصدر السابق ص ٢٥٤
١٤ ـ برسندان — المصدر السابق ص ٣٤٢
١٥ـ اى٠ دبليو٠ كامبل ـ تاريخ الحركة العمالية في استراليا

القسم الثالث والعشرون

١ ـ وليم ز ٠ فوستر — Misleaders of Labor; Chicago 1927.
٢ ـ روبرت هنتر — العمال في السياسة ٠ شيكاغو ١٩١٥
٣ ـ ستالين — مسائل اللينينية ص ٨٥ـ٩٨
٤ ـ — وقائع مؤتمر الاممية الاشتراكي ، شتوتغارت ١٩٠٧ ص ١٩١ ٠
٥ ـ أ٠ اشترمتال — Unity and Diversity in European Labor; Glencoe 1953, S.42.
٦ ـ فارفغ — المصدر السابق ص ١٦٩ـ١٧٩
٧ ـ ايراكبنس — الحركة الاشتراكية الاميركية (١٨٧٩ـ١٩١٢) . نيويورك ١٩٥٢

القسم الرابع والعشرون

١ ـ لينين — المؤلفات ، فينا ـ برلين ١٩٢٩ المجلد ١٨
٢ ـ وليم ز ٠ فوستر — تاريخ الاممية الثالثة ، نيويورك ١٩٥٥
٣ ـ — وقائع مؤتمر الاممية الاشتراكي ، ص ٦٦

٤ ـ فارفغ المصدر السابق ص ٢١٩

القسم الخامس والعشرون

١ ـ Internasional Labor Office Memorandum; Gemf, 16. Februar 1921.

٢ ـ دونالد د. اغبرت وشتوف بيرسونس Socialism in American Life; Princeton, 1952, Band 1, S.65.

٣ ـ هاري لادلر الاشتراكيـــة في النظريـــة والتطبيـق ، نيويورك ١٩٢٠ ، ص ٤٧٨

٤ ـ فاولكنر تاريخ الاقتصـــاد الاميركي ، درســـدن ١٩٢٩، الجزء الثاني ص ٣٥٥

٥ ـ ماركس ـ انجلس البيان الشيوعي ص ١٨

٦ ـ لنيـن المؤلفات ، المجلد ١٨ ص ٢٦٢

الفهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

طبع على مطابع دار الثورة ـ بغداد
كانون الثاني ١٩٧٤